مركز بيت الخبرة للبحوث والدراسات الاجتماعية الأهلي
House of Experience for Social Studies

أوقاف علي عبدالعزيز الدويان
Awqaf Ali Abdulaziz Al-Dowayan
عطاء بإحسان

دليل الإرشاد الأسري 11

التخبيب بين الزوجين وكيف يتعامل معه المرشد الأسري؟

شارك في الكتابة:

الدكتور/ تركي بن حسن القحطاني
الدكتور/ خالد بن سعود الحليبي
الدكتور/ خالد بن حمد الرشيد
الدكتور/ عبد العزيز بن عبد الله المقبل
الدكتورة/ سناء بنت محسن العتيبي
الأستاذة/ خديجة بنت علوي بافقيه
الأستاذ/ يحيى بن عبد الله الحربي
الأستاذة/ مها بنت عبد الله العومي
الأستاذة/ نورة بنت مسفر آل هملة

مراجعة
البروفيسور/ محمد بن مسفر القرني
أستاذ العلاج الأسري في جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الإشراف العلمي والتحرير
الدكتور/ عبد الله بن ناصر السدحان

١٤٤٤هـ /٢٠٢٣م

مركز بيت الخبرة للبحوث والدراسات الاجتماعية الأهلي
House of Experience for Social Studies

أوقاف علي عبدالعزيز الدويان
Awqaf Ali Abdulaziz Al-Dowayan
عطاء بإحسان

دليل الإرشاد الأسري 11

التخبيب بين الزوجين
وكيف يتعامل معه المرشد الأسري؟

شارك في الكتابة *:

الدكتور/ تركي بن حسن القحطاني
الدكتور/ خالد بن حمد الرشيد
الدكتور/ خالد بن سعود الحليبي
الأستاذة/ خديجة بنت علوي بافقيه
الدكتورة/ سناء بنت محسن العتيبي
الدكتور/ عبد العزيز بن عبد الله المقبل
الأستاذة/ مها بنت عبدالله العومي
الأستاذة/ نورة بنت مسفر آل همله
الأستاذ/ يحيى بن عبد الله الحربي

مراجعة
البروفيسور/ محمد بن مسفر القرني
أستاذ العلاج الأسري في جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الإشراف العلمي والتحرير
الدكتور/ عبد الله بن ناصر السدحان
١٤٤٤هـ /٢٠٢٣م

* تمّ ترتيب الأسماء أبجديا

ح عبد الله بن ناصر السدحان، ١٤٤٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السدحان، عبد الله بن ناصر
التخبيب بين الزوجين وكيف يتعامل مع المرشد الأسري. الرياض
٠٠٠ ص
ردمك: ١ - ٢٦١٧ - ٠٤ - ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١- الإرشاد الأسري ٢- العلاقات الأسرية أ - العنوان
ديوي ٣٦٢,٨ ١٤٤٤/٩٨٤

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٩٨٤
ردمك: ١ - ٢٦١٧ - ٠٤ - ٦٠٣ ـ ٩٧٨

جميع الآراء والأفكار الواردة في هذا الدليل تُعبر عن وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر بقية المشاركين

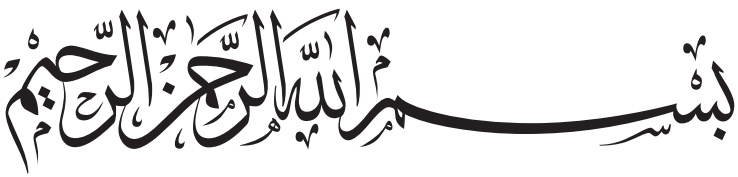
بسم الله الرحمن الرحيم

في البدء كلمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما وبعد:

فبفضل من الله تتوالى إصدارات هذه السلسلة المباركة من أدلة الإرشاد الأسري، والتي بدأت في العام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م بالجزء الأول وهو (**الإرشاد الهاتفي**)، ثُمّ الجزء الثاني وهو (**الإرشاد بالمقابلة**) ثُمّ توالت الإصدارات ففي كل سنتين كان يصدر جزء وفق حاجة الساحة الإرشادية ولله الحمد والمنة، حتى وصلنا إلى هذا الجزء الحادي عشر، الذي يتحدث عن (**مشكلة التخبيب بين الزوجين وكيف يتعامل معها المرشد الأسري**).

وإن من دواعي السعادة أن تأتي هذه المشاركة العلمية المتنوعة في هذا الدليل من ذوي التخصصات العلمية، والعملية، والأكاديمية، ولا شك أن في ذلك تنوعاً في الطرح وإثراءاً في الخبرات الإرشادية للمرشدين الأسريين والمرشدات الأسريات الذين يتصدون لعلاج المشاكل الأسرية عموماً ومشكلة التخبيب بين الزوجين خصوصاً.

لقد حرص (الفريق العلمي المشرف على أدلة الإرشاد الأسري) على استكتاب نوعية معينة من المختصين والمختصات، ممن لهم سابق خبرة في الإرشاد الأسري، وممارسة ميدانية في العملية الإرشادية بين الزوجين، فكانت المعلومات التي قدمها المشاركون في الدليل ثريّة وعلميّة مرتكزة على الجانب النظري، ومعزَّزة بالممارسة العمليّة من خلال الإرشاد والإصلاح والتعامل مع المسترشدين بشكل شبه يومي.

لقد كان الدليل مجرد فكر حالمة، وعززها الدعم المعنوي والعلمي من رائدي الإرشاد الأسري في المملكة العربية السعودية، سعادة الدكتور/ عبد العزيز بن عبد الله المقبل وسعادة الدكتور/ خالد بن سعود الحليبي، فكان وضع المخطط ثمّ المراجعة والاجتماع معهما لتطوير المشروع ووضع الضوابط المنهجية له، فلهما باسم كل أسرة يُلم شملها، ويصلحُ حالها دعوة قلبية أن يصلح حالهما ويلم شملهما وكل من سعى في هذا الدليل.

ولابد من الشكر الجزيل والعرفان الكبير إلى السادة أوقاف علي عبد العزيز الضويان بالدمام وللأمين العام للوقف سعادة الأخ الدكتور/ أحمد بن فهد الضويان على مشاركتهم الكريمة في دعم هذا الجزء من سلسلة أدلة الإرشاد الأسري، ويتواصل الشكر إلى السادة مركز بيت الخبرة للبحوث والدراسات الاجتماعية بقيادة سعادة الأخ الدكتور/ خالد الحليبي على المشاركة في طباعة الدليل على حساب المركز ونشره من خلال المتجر الالكتروني للمركز.

ولا أنسى أن أشكر جميع المشاركين والمشاركات في كتابة فصول الدليل محتفياً بخبراتهم العريقة في الإرشاد الأسري، وتخصصاتهم الأكاديمية المميزة، وتقدير وشكر خاص إلى سعادة البروفيسور/ محمد بن مسفر القرني أستاذ العلاج الأسري في قسم الخدمة الاجتماعية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة لمراجعته العلميّة المتقنة للدليل، وتصويباته السديدة، فكتب الله للجميع الأجر الجزيل على جهودهم.

بارك الله في الجهود وسدَّد الخطى، ونفعَ بالدليل وأثابَ من بذل فيه جهداً وشكراً لمن أسدى نصحاً أو سدّ خلةً، إنه سميع مجيب وبالإجابة جدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين له إلى يوم الدين.

المشرف على مشروع أدلة الإرشاد الأسري

د. عبد الله بن ناصر السدحان

ansadhan@gmail.com

مدخل
عاصفة التخبيب تضرب خيمة الأسرة

د. خالد الحليبي

ليس التخبيب جديدًا على المجتمع المسلم، فقد حذَّر منه النبيُّ صلى الله عليه وسلم قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمن بمفهومه الواسع الذي يشمل كل أنواع إيقاع البغضاء والمشاحنة بين اثنين؛ سواءاً أكانا زوجين، أو صديقين، أو سيدًا وخادمَه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ليسَ منَّا مَن خبَّبَ امرأةً على زوجِها، أو عَبدًا على سيِّدِهِ**" (حديث صحيح).

وحديثنا هنا عن حالة واحدة تتلون بأطياف كل عصر ومستجداته؛ أن يقوم شخص بالتدخل بين زوج وزوجته ويكون الهدف والقصد من ذلك إفساد الحياة الزوجية فيما بينهما، سواءً أكان هذا الشخص رجلا أو امرأة، بأن تتدخل امرأة ما لتفسد الزوجة على زوجها، وتحرضها على الطلاق منه، أو رجل يقوم بتحريضها على عصيان زوجها والخروج عن طاعته أو الطلاق منه.

وازدادت عاصفة التخبيب تخريبًا وسطوة، حين امتطت موجاتِ الأثير الإلكتروني، فجاء في ملابس تنكرية مختلفة؛ نصوص مكتوبة أو مسموعة أو مرئية، تهدف إلى تأجيج النزاع بين الزوجين بقصد التفريق بينهما.

تماما كما يفعل السحرة حين {**يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**} من [الآية: ١٠٢، سورة البقرة]، وكما تفعل الشياطين تمامًا وفق ما ذكره المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال: "**إنَّ إبْليسَ يَضَعُ عَرْشَهُ علَى الماءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَراياهُ، فأدْناهُمْ منه مَنْزِلَةً أعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: فَعَلْتُ كَذا وكَذا، فيَقولُ: ما صَنَعْتَ شيئًا، قالَ ثُمَّ يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: ما تَرَكْتُهُ حتَّى فَرَّقْتُ بيْنَهُ وبيْنَ امْرَأَتِهِ، قالَ: فيُدْنِيهِ منه ويقولُ: نِعْمَ أنْتَ**". [رواه الإمام مسلم].

ولا غرو أن يفرح الشيطان الأكبرُ بذلك؛ لأنه سيظفر بعدد من أهدافه، يبدأ بتفكيك الأسرة بالطلاق الشرعي، أو العاطفي، ويُثني بتضييع الأطفال، وتشتيتهم، وإبعادهم عن أحد الوالدين على الأقل، ثم يُثلث بالآثار النفسية المدمرة التي قد تحرق قلبي الزوجين، وربما تبقي أحدهما دون زواج، بل ربما أفسد ذات البين بين أسرتين، وإذا لم يحدث الطلاق، فقد تحدث الخيانات الزوجية!

ولو تأملنا أسباب التخبيب ودوافعه الحديثة، لوجدنا جزءًا منها يدل على عدم قصد التفريق، وجزءًا منها يدل على إرادة التفريق عمدًا وإصرارًا.

فمما يبدو أنه بغير قصد:

الجهل بحكم التخبيب وعواقبه، وعدم التفريق بين النصيحة وبين التخبيب، والعاطفة الجارفة تجاه المراد تخبيبه؛ كالرغبة في حمايته من استغلال الطرف الآخر أو قسوته، والغيرة الخفية وهي أصعب من الغيرة الظاهرة والملموسة وهي إحدى الحيل التي يستخدمها الشخص لارتكاب جريمة الرغبة في إفساد العلاقة أو تعكيرها، وقلة الوازع الديني والبعد عن التجرد عن هوى النفس وحظوظها، وسوء التربية والتهاون في إفساد ذات البين، وعدم وجود من يدعم نجاح الأسر الناشئة، أو عدم وجود ثقافة الاستشارة، والاستجابة السريعة غير المدروسة.

ومن ذلك الاغترار - أحياناً - من صاحب الخبرة والمختص والمصلح بعلمه ودرايته؛ فيظن أنه يستطيع أن يبت في كل مسألة، وأنه قادر على حل المشاكل كلها، ويُضاف إلى ذلك بُعده عن الاستعانة بالله ودعائه عزّ وجل بالفتح والتوفيق وأن يرزقهم الحكمة في القول والعمل، والاستعجال ونفاد الصبر؛ خاصة لو كان الزوج لا يبدر منه التحسن في التعامل مع الزوجة أو العكس، فيتعجل المخبَّب في الحل المعروض عليه، الذي هو آخر الحلول، والمثالية الزائدة في تقييم أطراف المشكلة والحكم على الأمور بمثالية مفرطة والتي تدفع من يقوم بالتخبيب بتضخيم الزلات وتصعيد الأمور، والبعد عن منهج الكتاب والسنة في معالجة المشكلات الزوجية و غيرها، والخلل الجوهري في شخصية المُخَبب؛ التي تتغذى على أجواء المشاكل لعقد نفسيّة، والتدقيق وغياب مهارتي التغافل والتغابي، وجهل التعامل مع مشكلة التصادم بين دائرتي الوالدين والزوج والزوجة، والخلط بين الطاعة والبر، والتعدي من أحد الوالدين والظلم الذي يأمران به أبناءهم المتزوجين ضد الطرف الآخر، وعدم الوعي بآثار تفكك الأسر على جميع أفراد الأسرة وعلى المجتمع، والبعد عن الوسطية في النظر للأمور وحل المشكلات.

وقد يكون التخبيب بالحث على الإهمال والاستهتار، أو بالمبالغة بطلب الكمال وعدم الواقعية، وضعف التأهيل الأسري للأزواج والوالدين والأبناء والبنات، وقلة التوعية بشأن خطر التخبيب وإفساد ذات البين.

ومما يظهر فيه القصد والترصد: حالات الرغبة بالظفر بأحد الزوجين من قريب، أو مرشد، أو صديق، أو غيرهم؛ خاصة لو كان هناك مطمعٌ في مال، أو جاه، أو حسن خلق، أو جمال، والرغبة في الانتقام أو الحقد على الطرف الذي سيتضرر من التخبيب لوجود أحقاد، أو غلّ قديم.

ولو تأملنا أسباب التخبيب السابقة بشقيها (المقصودة وغير المقصودة)، لعلمنا أنه قد يقع من الوالدين (شفقة أو غيرة أو عداوة للطرف الآخر)، ومن الأبناء والبنات (رغبة في حياة أفضل، أو عداوات، أو جهل)، ومن الأخوات (غيرة)، ومن الأصدقاء (المزاح بالزواج الثاني دون وعي، أو الخيانة)، ومن الصديقات (تصوير خادع لحياة المطلقة)، ومن النسويات (بدعوى الدفاع عن حقوق المرأة)، ومن المغرضين والمغرضات (مغازلات، واستدراج شيطاني، وابتزاز، وتهديد)، ومن بعض المستشارين غير الموثوقين رسميًّا (تعجلاً، وقصورًا في العلم والخبرة)، ومن بعض المتحدثين في الشأن الأسري، (الذين لا يمتلكون حكمة، ولا كفاءة علمية، يطرحون مواضيع مغلوطه عن العلاقة الزوجية تتجه إلى المثالية، فيكون أثرها سلبيا)، ومن إحدى الزوجات على زوجة له أخرى.

ويبدو أن صورًا أخرى نشأت مؤخرًا صارت بيئات مريضة لتكاثر هذا الوباء، مثل مواقع الدردشة المفتوحة (تعارف مشبوه، طرح المشكلة الزوجية أمام من ليس متخصصا، التفكه بالزوج أو بالزوجة شكلاً ومحتوى)، وكذب مشاهير السناب على متابعيهم، في حياتهم العاطفية واستعراضاتهم الخادعة، وحتى الأفلام والمسلسلات؛ التي تقدم محتوى خادعًا ذا رسائل خفية، وتعميم الحالات السيئة، والقصص المفبركة والمبالغ فيها، التي تعطي صورة سيئة عن الزوج، فتسعى إلى شيطنته حتى تبغض الزوجة زوجها، من خلال مجموعات (الواتس والتيلجرام والسناب وتيك توك) وغيرها، مما يؤدي إلى شحن الزوجة ضد زوجها بالمقارنة بين شكلها وشكله، أو مقامها ومقامه، وتصوير الزواج أنه قفص وسجن، وذبح للحرية، وإلباس التخبيب ثوبَ النصيحة، وتظاهُر المُخبِب بالشفقة على من يريد تخبيبه، وهو باب يتسلل منه إلى قلب من يريده، ثم ينتقل إلى إظهار مساوئ أحد الزوجين، واستعراض بعض الزوجات ما لديهن أمام الأزواج الآخرين بالتصوير والحديث، واستعراض بعض الأزواج سفراتهم، وهداياهم لزوجاتهم، وحديثهم الجميل لهن.

وهنا نتساءل لماذا يقع كل هذا؟ هل الأمر لمجرد التشفي والانتقام، أم حسدًا للزوجين على حياتهما التي تبدو سعيدة؟

الواقع يقول: إن هناك من تقول: "زوجي ليس فيه عيب، لكن كل زميلاتي مطلقات، ويسافرن كما يردن، ويرتدن المقاهي، والاستراحات، وأنا مربوطة بهذا الزوج؟!"
لا تدري من الذي يتكلم!! الزوجة أم شيطانها!! وأي قوة لتأثير أولئك النسوة المُخبِبات!!

وهناك من تقول: "أعطيته من عمري ٢٠ عامًا، يكفي، أريد أن أعيش حياتي"، بعد أن امتلأت أوعية نفسها بغثاء النسويّات، أو بعض دورات تطوير الذات: شوفي نفسك، دللي عمرك، خذي حريتك، انطلقي ورفهي عن نفسك، لا تهتمي حتى بعيالك.. غدًا سيكبرون ويتركونك!!

وهناك من تأثرت بمن يخبها بطريقة تتمسح بالمصطلحات الشرعية، فيقول لها: من قال لك أنك مسؤولة عن خدمة زوجك وتدبير المنزل؟ أو أنك مسؤولة عن تربية أولادك، أليسوا أولاده أيضًا؟! لابد أن تعلمي بأنك لست ملزمة بطاعة زوجك ولك أن تخرجي بدون إذنه!!

ولا تسأل عن المفتيات اللاتي ملأن مساحات تويتر بنصائحهن المدمرة، فلا تكاد امرأة تكشف ستر بيتها، وتتحدث عن زوجها، إلا بادرنها: "ردي عليه وتحرري منه، تطلقي وانطلقي!!".

وتأمل هذه الواقعة: المنشورة في صفحة فيسبوك مخصصة للملابس النسوية وخاصة العرائس، تقول فيها الزوجة: "أبلغ من العمر ٢٧ سنة، متزوجة منذ ٥ سنوات، أم لطفلين، كنت أعمل في إحدى الشركات الوطنية غير أنني بعد ولادة ابني الثاني استفدت من عطلة أمومة لمدة ٣ أشهر ثم ٣ أشهر أخرى بدون راتب، وعندما أردت العودة للعمل رفض زوجي وطلب مني البقاء في البيت لتربية أولادي وهو ما لم نتفق عليه مسبقا، فقد كان دائماً يحثني ويشجعني على العمل وقد تغيرّ مؤخراً واعتبر الأمر محسومًا، فكيف أتصرف؟

كيف كانت التعليقات؟ لقد تتابعت النصائح التحريضية على هذا المنوال: طلب الطلاق والبدء من جديد، فعملها أهم بكثير من الزواج فالزوج سيتغير لا محالة وقد يتخلى عنها في يوم من الأيام، لكن العمل هو ضمانها وسلاحها في المستقبل. التمسك بعملها وخروجها إليه حتى وإن رفض زوجها ذلك فلا يجوز له أن يصادر حقها في العمل. العمل هو وحده سلاح المرأة أما الأمومة والمنزل فهي حياة روتينية تناسب السيدات البدائيات! كما تذكر بعض تلك المواقع.

ولعل بعض السيدات أدركن متأخرات أنهن جنين بأيديهن على أنفسهن وتسببن في خسارة ما كُنَّ فيه من عزٍ وسعادة، بعد أن أصغين لمن يُطلقن على أنفسهن صفة الصديقات وهن في الحقيقة عدوَّات مخببات.

تروي لنا (صبيحة)[1] حكاية انفصالها عن زوجها بعد أن عاشت معه خمس سنوات أنجبا خلالها طفلين وبنت، وكانت حياتهما هادئة لا يشوبها خلاف أو نزاع إلى أن بدأت جارتها تتقرب منها وتستفسر عن أدق تفاصيل حياتهما الزوجية، وبمرور الوقت بدأت تطمئن لها وتقص عليها كل شيء، فأصبحت تحرضها على زوجها وتتهمه بالبخل والتقتير، وتخبرها بأنه يصرف أمواله على عشيقاته بينما يحرمها وأبناءها من ضروريات العيش، وهي الفكرة التي صدقتها فبدأت نيران الغيرة والحقد تدمي قلب الزوجة ليختفي الحب الكبير وتحل محله المشاكل إلى أن انفصلا.

وبعد الطلاق وعودة (صبيحة) لمنزل والديها اكتشفت أن الجارة المُخبِبة كان هدفها فقط إفساد حياتها وهي معتادة على فعل ذلك مع الجيران ودافعها الحقد والغيرة فقط لا غير، فندمت في وقت لا ينفع الندم.

الحقيقة أننا بالفعل في حاجة ماسة للقيام بحملات توعية يشترك فيها العالم الشرعي، والمختص الاجتماعي، والمذيع الإعلامي، والدارس الأكاديمي، ليتفهم المجتمع كله، رجاله ونساؤه خطر التخبيب، والوعي بآثاره التي تبدأ بتفكيك الأسرة، وتنتهي بالتأثير على أمن الوطن كله.

لابد أن يعي الذي يتعرض للتخبيب أن من حقه أن يحمي نفسه ومستقبل أسرته من هؤلاء المفسدين، ويسعى لإقامة البينة عليهم، وإحالتهم إلى القضاء؛ لأنهم مجرمون في حق الأسرة والمجتمع بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

وهو ما ضمنه الشرع المطهر الذي قام عليه النظام السعودي، الذي ينص على أن من حق أحد الزوجين رفع دعوى التخبيب على كل شخص يسعى ليحرض عليه شريكه، وأن أي عبارة تؤدي إلى التحريض يمكن أن تُقام ضدها دعوى تعزير.

ويشمل ذلك ما يكون مباشرًا بالدفع إلى الطلاق أو الخلع أو الفسخ، بأن يُثبتَ الزوج على الرجل (المُخبِب) أنه كان على علم أن تلك المرأة متزوجة قبل التحدث إليها في الأساس، أو أن تُثبت الزوجة أن المرأة (المُخبِبة) تعلم بأن الرجل متزوج، وتتعمد في تلك الحالة إثارة الفتنة فيما بينهما ليقع الطلاق، أو أنها قامت بدفع الزوجة إلى أن تترك زوجها أو ترفض طاعته وما إلى ذلك.

---

(١) الاسم رمزي.

وقد يكون غير مباشر ينتهي بالطلاق: وهو الذي يقع بأقوال أو أفعال ينتج عنها بالتبعية تدهور وإساءة العلاقة بين الرجل وزوجته، مع وضع المغريات؛ مثل أن يقول للزوجة في حالة وقوع الطلاق: سوف تحصلين على الحضانة وبيت للسكن ونفقات أولادك، أو ستحصلين على الحرية، والرجال غيره كثير، ونحو ذلك، يكون التخبيب غير المباشر.
والنوعان محرمان شرعًا ويُعاقب عليهم القضاء الشرعي، والنظام السعودي.

في حال إقامة علاقة بين المُخبِب والزوجة، ولو كانت ليست علاقة جنسية، بل مجرد تواصل من أي نوع سواء أكان هذا التواصل على شكل محادثات أم مكالمات أم أي نوع من العلاقات، يحاول فيها الرجل إفساد العلاقة بين الزوجين، ففي حال إثبات وجود هذه العلاقة، فإن الرجل يُعاقب بأنه مخبب ويُقيم علاقة غير شرعية مع امرأة متزوجة، وهنا الشرط الأساس في رفع دعوى التخبيب في النظام السعودي هي سوء النية، وحتى إن كان الأمر من أقرب الأشخاص.

وعندما يطرح المُخبِب موضوع الطلاق بين الزوجين بدلاً من الصلح بينهما كحل للمشكلة في حال كان خلاف، وكان هذا هو الأساس. في حال ثبتت كافة الأدلة، ترفع دعوى التخبيب في النظام السعودي كدعوى قضائية ويكون الحكم بالعقوبة التعزيرية.

من الواجب علينا جميعًا أن نحمي مجتمعنا من كل ما يجدُّ فيه من ظواهر تستهدف أساس بنيانه وهي (الأسرة) وأن نبذل كل ما نستطيع من أجل بث الوعي وكشف الخلل ووضع الحلول المناسبة التي تبقي الأسرة المعقل الآمن والقوي والصامد أمام كل محاولات الهدم والتفكيك، والله المستعان على كل حال.

لأجل هذا وذاك يأتي هذا الدليل الذي يمكن أن يسترشد به كل من يقوم بالإصلاح بين الزوجين حال مشاكلهما حتى لا يقع في هذه المعضلة دون قصد، كما يساعد المرشد الأسري على كيفية التعامل مع تلك المشكلة الأسرية التي بدأت بوادرها في المجتمع السعودي تنذر بالخطر.

الفصل الأول

تعريف التخبيب وماهيته

د. تركي بن حسن القحطاني

الفصل الأول
تعريف التخبيب وماهيته

د. تركي القحطاني

إنّ موضوع التخبيب بين الزوجين من المسائل القديمة الحديثة التي كانت وما زالت تعصف بالمجتمعات الإسلامية، وقد أدت إلى دمار عدد غير قليل من الأسر، إضافة إلى ما يجنيه عليها من قلق واضطراب، وعدم استقرار.

والمتابع لشأن الأسرة المسلمة في الوقت الحاضر يرى أنّ التخبيب بدأ يأخذ - في بعض جوانبه - صورة العمل الجماعي الممنهج الموجه إلى الأسر عامة، وساعد على ذلك انتشار وسائل الاتصال الحديث، وتعدد القنوات التي يمكن أن يبث أصحاب التوجهات الهدامة سمومهم تجاه الأسر المحافظة من خلالها.

وسنتناول التعريف بالتخبيب من ناحية اللغة والاصطلاح، بالإضافة إلى التأصيل الشرعي، والقانوني، والاجتماعي، وأيضاً مقومات عملية التخبيب، وسنختم بأنواع التخبيب.

المحور الأول: تعريف التخبيب

أ) تعريف التخبيب في اللغة:

التخبيب في اللغة: من خَبّ، وهو الخداع، والإفساد، والمكر. والفعل منه: خبّ، يخبّ، خباً. فالخَبُّ بفتح الخاء، والخِبّ بكسرها: هو الذي يسعى بين النّاس بالفساد، فيقال في الوصف: رجُل خِبٌّ، وامرأة خِبَّةٌ.

ب) تعريف التخبيب اصطلاحاً:

إنّ مصطلح التخبيب يستعمل لدى الفقهاء في موضعين:

الأول: التخبيب الواقع في شهادة الصبيان فيما بينهم على الجراح والقتل، فقد جوَّز المالكية شهادتهم في ذلك قبل افتراقهم أو تخبيبهم، وذلك بإفساد شهادتهم بدخول كبير بينهم على وجه يمكنه تلقينهم ما يقولون، أو يصرف شهادتهم عن وجهها. وهذا الاستعمال- وإن كان يتفق مع المعنى اللّغوي للتخبيب- إلا أنّه خارج عن محلّ هذا الدليل الإرشادي.

الثاني: التخبيب الواقع في العلاقة الزوجية، وهو موضوع هذا الدليل الإرشادي.

ولقد تباينت اتجاهات الفقهاء في تعريف التخبيب الوارد على العلاقة الزوجية من الناحية الاصطلاحية التي يمكن أن تُجمل في اتجاهين على النحو الآتي:

أولاً: تعريف التخبيب بمعناه اللغوي:

ذهب جمع من العلماء إلى تعريف التخبيب بمعناه اللغوي، وهو الإفساد، ومن ذلك قول ابن حجر الهيتمي في تعريفه: " تخبيب المرأة على زوجها: أي إفسادها عليه، والزوج على زوجته".

ثانياً: تعريف التخبيب بصور من صوره:

ذهب بعض العلماء إلى تعريف التخبيب بصور من صوره، ومن ذلك تعريف العالم المظهري في كتاب (المفاتيح في شرح المصابيح) حيث قال في شرح حديث التخبيب: "أن يُوقع أحدٌ عداوةَ زوجِ امرأةٍ في قلبها، بأن يَذكر مساوئه عندها، ويَحملَها على أن تُؤذيَه، وتطلبَ الطلاقَ منه".

لذلك خلص أحد الباحثين المعاصرين إلى تعريف التخبيب بأنه: " الوشاية، والخداع، والإفساد؛ من أجل التفريق، أو الإفساد بين الزوج وزوجته، والعامل وربّ العمل، بجميع صوره وحالاته". وهذا التعريف على ما فيه من إجادة إلا أن فيه تطويلاً، وذكراً لبعض الألفاظ التي يمكن أن يغني بعضها عن بعض؛ كما لا يمكن أن نغفل التوسع والتنظيم في استخدام الوسائل لإفساد العلاقة الزوجية؛ لذلك يمكن أن يُعرّف التّخبيب بأنّه: "ما يبذله الشّخص من جهد لإفساد العلاقة الزوجية".

شرح التعريف:

قوله: "ما": نكرة تفيد العموم، ويشمل ذلك جميع الوسائل القديمة أو المعاصرة.

وقوله: "يبذله": دلالة على أنّ التخبيب فعل يقوم به المُخبِب، وليس امتناعاً عن فعل.

وقوله: "الشخص": تدلّ على الفاعل للتخبيب، ويشمل الشخص الطبيعي والاعتباري على حدٍّ سواء؛ لأنّ التخبيب كما يقوم به الأشخاص، تقوم به المؤسسات، والتيارات الفكرية المعادية للأسرة، ولقيم المجتمع.

وقوله: "من جهد": يقصد به: كل فعل مادي يقوم به المُخبِب، ويشمل ذلك: القول، والفعل، في صورة أي وسيلة من وسائل التخبيب على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقوله: "ليفسد العلاقة الزوجية": بيان الهدف الذي يسعى له المُخبِب، وهو فساد العلاقة الزوجية، سواء أدى ذلك السعي لإنهاء العلاقة الزوجية بحصول الفرقة بين الزوجين طلاقاً أو خلعاً، أم أدى إلى اضطراب الحياة الزوجية، وجعلها جحيماً، أم نجح في زرع بذور الشقاق بينهما. وهذا القيد يشمل كلا الزوجين، فلا يختص بأحدهما دون الآخر.

ثالثاً: العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي:

تتجلى العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي في توافقهما في النقاط الآتية:

١- الفساد؛ فالخبّ يفسد العلاقة الزوجية.

٢- الاضطراب، فالتخبيب مدعاة لاضطراب العلاقة بين الزوجين.

٣- الخداع؛ فالخِبّ يمشي في الخديعة، والحيلة؛ ليفسد المرأة على زوجها.

٤- العداوة، فالخِبّ عدو لنفسه، ولمجتمعه، وللإنسانية جمعاء؛ حيث يسعى لإفساد استقرار الأسرة التي هي نواة المجتمع.

المحور الثاني: تأصيل التخبيب

إن عملية التخبيب لها أصل في الشريعة، كما عالجتها الأنظمة القانونية في المملكة العربية السعودية، ولها بعد اجتماعي، فلابدّ أن يتنبه لها المرشد عند تناول هذا الموضوع؛ لأنها تساعد في اختيار أفضل الطرق للتعامل مع المسترشد، كما يمكن أن تُستخدم من ضمن وسائل الإقناع عند الحديث مع المسترشد.

أولاً: التأصيل الشرعي للتخبيب:

الأول: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من خبب امرأة على زوجها، أو عبداً على سيده». رواه أبو داود، وصححه الألباني. وفي لفظ: " «من خبب عبداً على أهله فليس منا، ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا». رواه النسائي، وابن حبان في صحيحه.

الثاني: عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من حلف بالأمانة، ومن خبّب على امرئ زوجته أو مملوكه فليس منا". رواه أحمد، وصححه الألباني. وجه الدلالة: بين النبي صلى الله عليه وسلم أنّ التخبيب الذي هو السعي لإفساد العلاقة الزوجية ليس من هديه، ولا من سيرته، ولقد خُصَّ في الحديث تخبيب المرأة على الزوج؛ لأنّ ذلك يقع منهنّ أكثر من الرجال، مع أنّ إفساد الزوج على الزوجة كذلك في الحكم نفسه.

الثالث: عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يدخل الجنة نمَّام». رواه مسلم في الصحيح. وجه الدلالة: النّميمة هي السعي بين الناس بالكلام بقصد الإيقاع فيما بينهم، والتخبيب ضَرْبٌ من ضروب النميمة، فيدخل المُخبِب في عموم الحديث.

الرابع: المعقول:

لقد جاء الشرع الحنيف للحفاظ على كرامة الإنسان، وصون الأعراض، والأموال، ومنع كل وسيلة تؤدي إلى الإضرار بالمجتمع، وسدّ كل طريق تؤدي إلى الفرقة والعداوة بين النّاس، كمنع الخطبة على خطبة الآخرين، والسوم في البيع على سوم الآخرين، والتخبيب إفساد صريح للعلاقة الزوجية بعد قيامها، واعتداء على حرمة الآخر دون مبرّر، واعتراض على قدر الله تعالى أن وفق بينهما برابط الزواج، فيؤدي فعل المُخبِب إلى فساد النّفوس، ويجرِئُها على الغدر والخديعة، ويشعل في نفس المغدور الرغبة في الانتقام، ويعدم الثقة بين أفراد المجتمع الواحد، ويجعل الأحوال بين الناس غير مستقرة، والثقة بين الأزواج مهزوزة؛ لذلك كان المنع منه متفقاً مع مقاصد الشريعة الكبرى.

ولقد وُجّه إلى اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية برئاسة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى سؤالاً حول التخبيب تحت رقم (٩٨٤٢) جاء فيه: "س: هنالك أهل زوجة يقومون بتخبيب الزوجة على زوجها، ومنعها من زوجها بالضغوط وبالتهديد، ويطلبون الطلاق، ما حكم الشرع بمثل هؤلاء في هذا الزمان؟ أفتونا مأجورين". وكان الجواب: "يحُرم تخبيب المرأة على زوجها؛ لورود الأدلة بالنهي عن ذلك، ومرتكب ذلك آثم وفاسق بفعله المنكر. وبالله التوفيق". وسئل الإمام أحمد. رحمه الله. عن رجل قال لآخر: طلق زوجتك لأتزوجها بكذا وكذا من الدراهم؛ فأنكر هذا إنكاراً شديداً، وقال: أيفعل هذا أحد؟! لا يجوز.

ثانياً: التأصيل القانوني للتخبيب:

اجتمع في تخبيب الزوجين أو أحدهما أركان الجريمة الثلاثة، وهي:

١) **الركن الشرعي:** المتمثل في الصفة غير المشروعة للفعل، وهو السعي لإفساد العلاقة الزوجية، وقد ورد النّص الشرعي بالتحريم، مما يجعله جريمة.

٢) **الركن المادي:** المتمثل في الفعل الضار، وهو التخبيب، ونتيجته المتحصلة في وقوع الضرر باضطراب العلاقة الزوجية أو فسادها، والعلاقة السببية بين الفعل الضار الذي هو التخبيب، والنتيجة التي هي اضطراب العلاقة الزوجية أو فسادها.

٣) **الركن المعنوي:** المتمثل في القصد الجنائي، وهو الإرادة المقترنة بالفعل، سواء اتخذ صورة القصد أم اتخذ صورة الخطأ، وهذا الركن يتكون من العلم، والذي هو الوعي والتمييز، وكذلك الاختيار. وهذا الركن يظهر في التخبيب في اختيار المُخبِب لفعل التخبيب عالماً بأثره الذي يتسبب في إفساد العلاقة الزوجية.

والعقوبة التي يستحقها المُخبِب عقوبة تعزيرية يرجع في تقديرها لولي الأمر؛ لعدم ورود النّص الشرعي بإيجاب حدّ أو كفارة. وعلى هذا الاتجاه القضائي في المملكة العربية السعودية كما يظهر ذلك في الأحكام الصادرة من الدوائر الجزائية، والمصادق عليها من محاكم الاستئناف، والتمييز. ولا يقتصر الأمر على الدعوى الجنائية، بل يستحق المُخبِب عليه الرجوع بالتعويض عما أصابه من ضرر في حال إدانة المُخبِب من قبل المحكمة الجنائية، وعلى ذلك يكون في دعوى التخبيب شِقَّان:

١) **شِق جنائي**، يظهر في صورة استحقاق المُخبِب للعقوبة التعزيرية نتيجة الجريمة التي اقترفها.

٢) **شِق مدني**؛ يتمثل في استحقاق المُخَبب عليه للتعويض نتيجة الفعل الضار الصادر من المُخبِب، وتقوم المحكمة بتقدير الضرر الذي لحق بالمُخَبب عليه.

ثالثاً: التأصيل الاجتماعي:

التخبيب عدوان على المجتمع، ومدمر من مدمرات العلاقة الأسرية، ووقود للخيانة الزوجية، وانتهاك صارخ لحرمة البيت الآمن، وخصوصية الميثاق الغليظ كما سماه الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾ [النساء: ٢١].

فالمُخبِب يتسلل بأساليب متنوعة ليستغلّ فجوة في العلاقة الزوجية، أو ظرف من الظروف المادية؛ ليفرض نفسه طرفاً جديداً في علاقة زوجية مستقبلية تقوم على أشلاء الأسرة الحالية، بنظرة أنانية، متجردة من جميع مشاعر المسؤولية، والإنسانية، والانتماء إلى المجتمع.

فلا غضاضة من القول: إنّ التخبيب انحراف سلوكي من المُخبِب لعدم امتثاله لمجموعة القيم الاجتماعية المقبولة لدى المجتمعات الإسلامية المحافظة.

المحور الثالث: مقومات عملية التخبيب

عند عرض الحالة على المرشد يتوجب عليه أن يبحث عن الأجزاء الأساسية التي تتشكل منها عملية التخبيب الموجهة للعلاقة الزوجية، فليس كل فساد في العلاقة الزوجية يكون نتيجة لعملية تخبيب، وتتألف عملية التخبيب من مجموعة من المقومات، وهي:

أولاً: المُخَبِّب:

وهو من يتولى عملية إفساد العلاقة الزوجية، وسواء أكان مطلوباً أم مفروضاً، بمعنى أن يكون ضحية عملية التخبيب، حيث يلجأ للمُخبب لطلب المساعدة في أمر من الأمور، كالرقية، أو الاستشارة الأسرية، أو أي صورة من صور التواصل؛ لأي سبب كان، ثم يتحول ذلك الأمر إلى سعي لإفساد العلاقة الزوجية. كما يشمل ذلك أن يفرض المُخبِب نفسه على الضحيّة بعرض خدماته، أو إبداء استعداده للمساعدة في أمر من أمور الحياة، ومنها: الحياة الزوجية.

ويُشترط في المُخبِب شروط عدة منها:

١- التكليف، بأن يكون عاقلاً بالغاً.

٢- قصد إفساد العلاقة الزوجية؛ لأنّها محلّ الهدف الخبيث للمُخبب.

ولا يشفع للمُخبِب النّظر بعين الرأفة للمُخبَب، أو تقديمه المساعدة، أو العلاج، أو الرقية الشرعية، أو عدم رضاه عن الوضع الذي يعيشه الشخص المُخبَّب كما لو كان قريباً له، ويتعذر بتعلق قلبه به، أو ضعفه أمام المغريات؛ لأنّ ليس لأحد التدخل في العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة إلا بإذنهما معاً، وهذا ما لا يتوفر في حال المُخبِب، فضلاً عن اشتراط نيّة الإصلاح، وليس الإفساد، علاوة على أنّ تعلق القلب بامرأة لا تحلّ له من الأصل، ولا سبيل لها إلا بإفسادها على زوجها؛ أمر لا يجوز.

ثانياً: المُخَبَّب:

وهو الذي ينصب عليه جهد المُخبِّب لإفساده، وقد تكون المرأة، وهي الغالب، وقد يكون الرجل.

ويشترط فيه ما يأتي:

١- أن يكون طرفاً في العلاقة الزوجية.

٢- أن يكون اضطراب العلاقة الزوجية بسبب التخبيب لا بسبب آخر.

أما إذا كان الشخص قد اتخذ قراره بالانفصال، أو تأكدت لديه القناعة بعدم فائدة الاستمرار في العلاقة الزوجية، فتدخل الآخرين هنا بعد هذا القرار، قد لا يعتبر تخبيباً بالمعنى الاصطلاحي، ولكنّه عمل مشين، وربما يدخل في الإعانة على الإثم، ويقول الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]؛ لأنّ المُخبِب يساعد ويشجع على استمرار الإنسان في قراره، ويعجل في زوال رابط الزوجية، وربما عدم تدخله يدفع الشخص إلى إعادة النّظر في قراره، أو يسهل قبوله للنّصح.

ثالثاً: المُخبَّب عليه:

وهو من يُفسد عليه المُخبِّب زوجه، ويشترط فيه:

١- أن يكون الطرف الآخر في العلاقة الزوجية.

٢- أن يكون له رغبة في استمرار العلاقة الزوجية.

ولا يشترط فيه أن يكون مثالياً، بل حتى لو ظهر منه تقصير، فلا يجوز لأحد أن يتدخل بينه وبين زوجه، ويذكر تلك المساوئ التي تؤدي إلى قناعته بعدم الجدوى في الاستمرار في العلاقة الزوجية.

رابعاً: وسيلة التخبيب:

وهي ما يستخدمه المُخبِب للتأثير في المُخبَّب ليصل إلى مبتغاه، ويشترط فيها ما يأتي:

١- أن تكون موجهة للمُخَبَّب سواء بطريقة مباشرة أم غير مباشرة.

٢- أن يكون لها أثر في إفساد العلاقة الزوجية.

٣- أن تكون مستخدمة بشكل خاص من المُخبِب.

وفي وقتنا المعاصر تنوعت الوسائل بين مقروء، ومرئي، ومسموع، وبين عام، وخاص.

ومن أعظم الوسائل انتشاراً وسائل التواصل الاجتماعي المعروفة التي يكتب فيها الكثير تحت أسماء مستعارة، أو رمزية ترمز إلى التحرر، أو العزوف عن الزواج، والدعوة إلى الحرية المطلقة بعيداً عن ضوابط الشرع، والعادات والتقاليد الأصيلة.

خامساً: موضوع التّخبيب:

وهو ما يتناوله المُخبِّب، ويجعله مدخلاً لإفساد العلاقة الزوجية، ويشترط فيه:

١- أن يكون من الموضوعات المتعلقة بالحياة الزوجية بطريق مباشر أو غير مباشر كما لو أثار المُخبِب مسألة الحصول على شهادة عليا، أو الحصول على وظيفة، أو تطوير المهارات الذاتية.

٢- أن يكون التناول بطريقة سلبية لا إيجابية.

فمتى ما توفرت المقومات السابقة، نكون نحن أمام عملية تخبيب، يدخل صاحبها في الوعيد الشديد الذي ورد به الشرع، ويستحق العقوبة النظامية بحسب ما هو مقرر في القضاء النظامي، وعلى المُرشد في هذه الحالة تتبع القصة من أين بدأت، وكيف تطورت، وأن يركز على تغيير الفكرة وفقاً لما هو معمول به في مدرسة العلاج المعرفي السلوكي، أو غيرها من المدارس التي يلمّ بها أو يراها مناسبة للحالة.

المحور الرابع: أنواع التّخبيب

التخبيب لا يأتي على نوع واحد، بل له أنواع عدة بحسب دوافعه، وأثره، والقائم به، وتوجيهه، ودرجة قرابته من المُخبب، ومن حيث المستهدف منه. وعلى المُرشد أن يسعى لمعرفة النّوع؛ لأنّ ذلك يساعده في التشخيص الصحيح لدوافع المُخبِب، كما يجعله على بينة من التعامل مع المُخبِب، فقد يكون من الأهل أو الأصدقاء الملازمين للشخص.

وبيان أنواع التخبيب على النحو الآتي:

أولاً: أنواع التخبيب من حيث دوافعه: ينقسم التخبيب من حيث دوافعه إلى نوعين:

١) تخبيب يقصد به الإفساد، وهو الذي يسعى المُخبِب من خلاله لإفساد العلاقة الزوجية، سواء أقصد استغلال هذا الفساد بالوصول إلى الضحيّة ليغرس أنياب شهوته، أم قصد الحقد أو الرغبة في الانتقام، أو إثبات أنّه إنسان مؤثر له قابلية لدى الجنس الآخر.

٢) تخبيب يقصد به الإصلاح، وهذا النوع يكون عادة من الأهل، والأصدقاء الناصحين، أو من بعض المرشدين، أو المصلحين الأسريين دون تنبه منه إلى مآلات الأمور عند تقديمه للإرشاد، أو النصح. ويظهر هذا النوع عادة في صورة نصيحة وحرص؛ يؤديان إلى تدهور العلاقة الزوجية وصولاً إلى انهيارها في مرحلة من المراحل.

ثانياً: أنواع التخبيب من حيث أثره: ينقسم التخبيب من حيث أثره إلى نوعين:

١) تخبيب يؤدي إلى الفراق بين الزوجين، سواء بالطلاق، أم الخُلع، أم التطليق من قبل القاضي عند استحكام الشقاق بين الزوجين.

٢) تخبيب يؤدي إلى اضطراب العلاقة الزوجية، وعدم استقرار الأحوال، نتيجة انعدام التوافق بين الزوجين لتأثير الوسائل التي يستخدمها المُخبب في الحياة الزوجية.

ثالثاً: أنواع التخبيب من حيث القائم به: ينقسم التخبيب من حيث القائم به إلى نوعين:

١) تخبيب يقوم به شخص طبيعي، وهو الذي يتولاه الأفراد.

٢) تخبيب يقوم به شخص اعتباري، وهو الذي تتولاه المؤسسات أو التيارات الفكرية الهدامة المعادية للأسرة والمجتمع.

رابعاً: أنواع التخبيب من حيث توجيهه: ينقسم التخبيب من حيث توجيهه إلى نوعين:

١) تخبيب مباشر: وهو الذي يقصد به إفساد العلاقة الزوجية بطريق مباشرة، فيكون هدم الكيان الأسري غايته، وفساد الرابطة الزوجية هدفه.

٢) تخبيب غير مباشر: وهو الذي لا يقصد به إفساد العلاقة الزوجية مباشرة، بل يهدف إلى تغيير الوضع الذي هي عليه؛ بتنبيه الشخص على بعض الأمور التي يجهلها، فيكون في إثارتها تغيير للوضع الأسري بين الزوجين، أو التعريض ببعض الأمور التي يعاني منها الشخص، أو ذكر أمثلة غير واقعية لبعض الشخصيات، وطريقة حياتهم؛ تؤدي إلى تأثر الشخص، والنقمة على حياته، والسعي إلى إشباع النقص فيها.

خامساً: أنواع التخبيب من حيث درجة قرابة المُخبِب: ينقسم التخبيب هنا إلى نوعين:

١) تخبيب من الأهل والأصدقاء، ويظهر في صورة نصيحة أو تعليمات يجب على أحد الزوجين القيام بها، وتؤدي إلى مردود عكسي عادة، وقد تظهر في صورة تحكم ومصادرة رأي لأحد الزوجين.

٢) تخبيب من الأجانب، وهم الذي لا يكون بينهم صلة قرابة أو معرفة مع الزوجين.

سادساً: أنواع التخبيب من حيث المستهدف منه: ينقسم التخبيب من حيث المستهدف منه إلى ثلاثة أنواع:

١) تخبيب الزوجة، وهو الأغلب.

٢) تخبيب الزوج.

٣) تخبيب الزوجين معاً.

المراجع

- أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.
- أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، بإشراف: عبد الله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر، بيروت- لبنان، دار الفكر.
- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.
- الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حققه: شعيب الأرناؤوط، بيروت.
- الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح، وزارة الأوقاف الكويتية.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي.
- اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة - جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.
- خليل أحمد السهارنفوري، بذل المجهود في حل سنن أبي داود، اعتني به: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، الهند.
- عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي، عُيُونُ المَسَائِل، تحقيق: علي محمَّد بورويبة.
- فهد بن صالح بن محمد اللحيدان، تخبيب الزوجة وآثارها: دراسة فقهية مقارنة، الجمعية العلمية القضائية السعودية.
- مجموعة الأحكام القضائية لعام: ١٤٣٥هـ، وزارة العدل السعودية، ١٤٣٨هـ
- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب.
- محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، الرياض
- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب.
- مسلم بن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح، بعناية: محمد زهير الناصر.
- منصور بن يونس البهوتي، كشاف القناع عن الإقناع.
- يوسف بن عبد العزيز التويجري، المسؤولية الجنائية في التخبيب: دراسة تأصيلية تطبيقية.

الفصل الثاني:

التخبيب في الأنظمة والتشريعات في المملكة العربية السعودية

د. سناء بنت محسن العتيبي

إن العلاقة الزوجية مِن أهم العلاقات التي اعتنى بها الإسلام وحصنها ووضع التشريعات والضوابط التي تضمن المحافظة عَلَى الميثاق الغليظ بَين الزوجين، وتعدُّ مؤسسة الأسرة (الزوج والزوجة والأولاد) من المؤسسات الأولى التي حصّنتها وتولّتها بالرعاية والحماية شريعتنا الإسلامية الغرّاء، فقد حرص الإسلام على حماية الأسرة وتحصينها ضد أي أمر يؤدي لتقويض بنيانها، وكون الأسرة تقوم على الزوج والزوجة اللذين يشكلان الركنين الأساسيين في بناءها، فإن إفساد العلاقة بينهما يهدم أركان الأسرة ، وبالتالي كل ما يؤدي إِلَى مفسدة في هَذَا الجانب هو محرم شرعاً. لذلك حرّم الإسلام إفساد العلاقة الزوجية وعدّهُ جريمة وعاقب عليها بأشد العقوبات، وإفساد العلاقة الزوجية بين الزوجين هو ما يُسمى بالتخبيب.

وسنلقي الضوء عَلَى جريمة التَّخْبِيب وأركانها والأنظمة التي أشارت إليها بشكل غير مباشر، ولكن وردت مقيدة بالفعل أو القول حسب بعض النصوص والأنظمة الواردة.

المحور الأول: أركان جريمة التخبيب

أولاً: أركان جريمة التَّخْبِيب: لابد من توفر أركان محددة لاعتبار التخبيب جريمة تستحق العقوبة:

١. الركن الشرعي: وهو خضوع الفعل لنص شرعي يتضمن التحريم، وعدم خضوع الفعل لأي من أسباب الإباحة عن طريق التبرير فيجب الموازنة بين علة التجريم وعلة الإباحة.

٢. الركن المادي: يتضمن الركن المادي الفعل بالتعدي غير مشروع المعاقب عليه، والنتيجة الناشئة عنه وهي الأثر الخارجي الذي نتج عن الاعتداء على حق تحميه الشريعة، والرابطة السببية بينهم التي تثبت أن حدوث النتيجة يرجع إلى وقوع الفعل.

٣. الركن المعنوي: وهو القصد الجنائي ويعني الإرادة التي يقترن بها الفعل سواء أتخذت صورة القصد أم الخطأ. ويشترط لذلك الوعي والتمييز أي الإدراك بماهية الفعل وطبيعته والنتائج التي قد تنتج عنه، والحرية بمعنى حرية الإرادة أي أن يكون مدركا ومختاراً للقيام بالفعل المتسبب للافساد والتفريق.

ومتى ما اجتمعت الأركان الثلاثة في جريمة التخبيب فأصحابها يتحملون المسؤولية الجنائية والعقوبة عليها.

المحور الثاني: التخبيب في الأنظمة والتشريعات في المملكة العربية السعودية:

أولاً: النظام الأساسي للحكم:

صدر النظام بالأمر الملكي رقم أ/٩٠ بتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٤١٢هـ وتضمن الآتي:

١. جاء في المادة التاسعة من نظام الحكم " الأسرة، هي نواة المجتمع السعودي، ويربى أفرادها على أساس العقيدة الإسلامية، وما تقتضيه من الولاء والطاعة لله، ولرسوله، ولأولي الأمر، واحترام النظام وتنفيذه، وحب الوطن، والاعتزاز به وبتاريخه المجيد".

٢. ونصت المادة العاشرة من النظام على حرص "الدولة على توثيق أواصر الأسرة والحفاظ على قيمها العربية والإسلامية، ورعاية جميع أفرادها وتوفير الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم وقدراتهم".

٣. وفقاً لما قضت به المادة (الثامنة والثلاثون) من النظام الأساسي للحكم، من أن "العقوبة شخصية، ولا جريمة ولا عقوبة إلا بناءً على نصٍ شرعي، أو نص نظامي، ولا عقاب إلا على الأعمال اللاحقة للعمل بالنص النظامي".

شرح النصوص:

بحسب النظام فإن جود نص شرعي يجرم الفعل بعُد كافيًا لاستحقاق العقوبة. وعقوبة التَّخْبِيب في الشرع، أن المعصية التي لا حد فيها ولا كفارة عقوبتها التعزير، فالتعزير يجب في جناية ليست موجبة للحد. قال ابن قدامة: التعزير هي العقوبة المشروعة عَلَى جناية لا حد فيها، أو الجناية عَلَى إنسان بما لا يوجب قصاصا ولا دية. وهَذَا ما ينطبق عَلَى عقوبة التَّخْبِيب. وذهب جمهور العلماء أن للقاضي أن يحكم بحبس المخبب.

ثانيًا: التَّخْبِيب ونظام الحماية من الإيذاء:

صدر هذا النظام بالمرسوم الملكي رقم م / ٥٢ في ١٥ / ١١ /١٤٣٤هـ وتضمن الآتي:

١. نصت المادة الأولى عَلَى تعريف " الإيذاء: هو كل شكل مِن أشكال الاستغلال، أو إساءة المعاملة الجسدية، أو النفسية، أو الجنسية، أو التهديد به، يرتكبه شخص تجاه شخص آخر، متجاوزاً بذلك حدود ما له مِن ولاية عليه أو سلطة أو مسؤولية أو بسبب ما يربطهما مِن علاقة أسرية، أو علاقة إعالة، أو كفالة، أو وصاية، أو تبعية معيشية. ويدخل في إساءة المعاملة امتناع شخص أو تقصيره في الوفاء بواجباته أو

التزاماته في توفير الحاجات الأساسية لشخص آخر مِن أفراد أسرته، أو ممن يترتب عليه شرعاً أو نظاماً توفير تلك الحاجات لهم"

٢. العقوبات: رتب نظام الحماية مِن الإيذاء عقوبة عَلَى مرتكب الإيذاء المنصوص عليه في المادة الثانية مِن النّظام بما ورد في نص المادة الثالثة عشرة:

- "مع مراعاة ما تقضي به الفقرة (٢) مِن هَذِه المادة، ودون إخِلَال بأي عقوبة أشد مقررة شرعاً أو نظاماً، يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن (شهر) ولا تزيد عَلَى (سنة)، وبغرامة لا تقل عن (خمسة) آلاف ريال ولا تزيد عَلَى (خمسين) ألف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل مِن ارتكب فعلاً جريمة مِن أفعال الإيذاء الواردة في المادة (الأولى) مِن النّظام. وللمحكمة المختصة إصدار عقوبة بديلة للعقوبات السالبة للحَرِيَّة.

- تكون عقوبة الجريمة المشار إليها في الفقرة (١) مِن هَذِه المادة السجن مدة لا تقل عن (سنة) ولا تزيد عَلَى (خمس) سنوات، وغرامة لا تقل عن (خمسين) ألف ريال ولا تزيد عَلَى (ثلاثمائة) ألف ريال، في حالة اقترانه بأي مما يأتي:

أ- إن كان مِن تعرض للإيذاء مِن الأشخاص ذوي الإعاقة، أو أحد الوالدين، أو ممن تجاوز (الستين) عاماً، أو الحامل إذا نتج عن ذَلِك سقوط جنينها.

ب- إن وقع الإيذاء في مكان العمل، أو الدِّرَاسَة، أو العبادة.

ج- إن وقع الإيذاء ممن يناط بهم تطبيق أحكام هَذَا النّظام.

د- إن وقع الإيذاء مقروناً باستخدام أحد الأسلحة.

هـ- إن تعددت أفعال الإيذاء في الواقعة.

شرح النصوص:

بموجب هَذِه المادة فإن نظام الحماية مِن الإيذاء يجرم صورتين مِن صور الإِفْسَاد بَين الزوجين باعتبار مرتكبيها.

الحالة الأولى:

ممارسة الأب أو الأم سلطتهم ومسئوليتهم تجاه أولادهم بما يؤدي إِلَى استغلالهم مِن خِلَال ارتكاب فعل أو قول أو ما يقوم مقامهما في صورة إلزام أو تهديد أو تحريض مباشر سالب لإرادة الأبناء في مواجهة والديهم بقصد إنهاء العلاقة الزوجية.

الحالة الثانية:

التدخل مِن الأقارب عَلَى اختلاف درجة القرابة بقصد غير مشروع، مِن خِلَال النصيحة أو المعالجة والإصلاح أو غير ذَلِك مما تستلزمه الرابطة الاجتماعية بما يفضي بالأقوال والأفعال وما يقوم مقامهما إِلَى إِفْسَاد العلاقة الزوجية أو إنهائها الرابطة الزوجية.

ثالثًا: جريمة الإِفْسَاد بَين الزوجين ونظام الأحوال الشخصية:

صدر النظام بالمرسوم الملكي رقم م / ٧٣ في ٦ / ٨ / ١٤٤٣ هـ ، واعتنى بتنظيم الروابط الزوجية بَين الزوجين وأحكامها ولم يتطرق إِلَى التأثير فيها مِن طرف خارجي بشكل مباشر إلا أن ما تضمنته المادة الثانية والأربعون مِن النّظام على النحو الآتي:

- يلزم عَلَى كل مِن الزوجين حقوق للزوج الآخر وهي: المحافظة عَلَى مصلحة الأُسرَة ورعاية الأولاد وحسن تربيتهم. وعَلَى الزوج النفقة بالمعروف والعدل بَين الزوجات في القسم والنفقة الواجبة وعَلَى الزوجة الطاعة بالمعروف وإرضاع أولادهما ما لم يكن هناك مانع.

شرح النص:

يعتبر هَذَا الْجُزْء مِن هَذِه المادة محددا لمحل جريمة إِفْسَاد العلاقة الزوجية بإيقاع التأثير عَلَى أحد الزوجين بالإِخِلَال بهَذِه الحقوق أو بعض منها.

رابعًا: نظام الإعلام المرئي والمسموع ولائحته التَّنفِيذِيَّة:

صدر هذا النظام بالمرسوم الملكي رقم م / ٣٣ بتاريخ ٢٥ / ٣ / ١٤٣٥ هـ، وقد تضمنت المواد (١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١) العقوبات النّظامية والاختصاص القضائي لمخالفات النّظام وأصدرت الوزارة جدولا بالعقوبات.

١) ورد في المادة الأولى التعريفات التالية: المحتوى الإعلامي المهني: ويراد به المحتوى الإعلامي - كما ورد تعريفه في النّظام- الَّذِي يتم إنتاجه تجاريا ويستثنى منه أي محتوى إعلامي ينتجه الأفراد للمشاركة المحدودة عَلَى وسائل التواصل الاجتماعي أو غيرها مِن الأغراض غير التجارية أو الشخصية البحتة.

والمحتوى المحلي: يراد به المحتوى الإعلامي المهني وَالَّذِي يتم إنتاجه في المملكة أو يشارك في إنتاجه مقدمو محتوى إعلامي مقرهم في المملكة، أو يتم تأليفه أو كتابة نصوصه مِن قبل مواطن أو أكثر مِن مواطني المملكة وتتم صناعتها عَلَى يد عاملين مقيمين في المملكة بشكل رئيس، أو يطابق أي معيار آخر تحدده الهيئة مِن وقت لآخر.

٢) ورد في المادة الثانية أهداف تنظيم الإعلام المرئي والمسموع ومنها: " ترسيخ مبادئ الدين الإسلامي، والنّظام الأساسي للحكم، والسياسة الإعلامية في المملكة، وحماية وإثراء الثقافة والتراث والهوية الوطنية".

٣) ورد في المادة الرابعة مِن اللائحة ضوابط المحتوى الإعلامي:

- حماية النّظام العام وتعزيز اللحمة الوطنية، والمحافظة عَلَى النسيج الاجتماعي.
- الحفاظ عَلَى القيم والفضائل بَين الشباب، وتعزيز القيم الاجتماعية، مِن خِلَال إبراز دور الأُسرَة بوصفها حجر الأساس لبناء المجتمع.
- عدم الإخِلَال بثوابت المملكة العربية السعودية، كما هي محددة في نظام الحكم
- عدم إلحاق الضرر بحقوق المرأة أو الطفل في المملكة.

شرح النص:

حَيْث إن التَّخْبِيب بمفهوم النقد لكيان الأُسرَة والتَّحْرِيض عَلَى عدم استقرارها وتأليب الأزواج بعضهم عَلَى بعض يتصور وقوعه مِن خِلَال الطرح الإعلامي العام، فتكون مخالفات المحتوى الإعلامي في نطاق اختصاص الهيئة حسبما ورد في النّظام ولائحته التَّنفِيذِيَّة، وقد اشترطت اللائحة أن تكون الدعوى مِن ذي علاقة ومصلحة أو محالة مِن الوزير المختص.

خامسًا: التخبيب في نظام مكافحة جرائم المعلوماتية:

صدر هذا النظام بالمرسوم الملكي رقم م/١٧ بتاريخ ٨ / ٣ / ١٤٢٨هـ، وتضمنت المادة التاسعة منه الآتي: "يعاقب كل من حرَّض غيره، أو ساعده، أو اتفق معه على ارتكاب أيٍّ من الجرائم المنصوص عليها في هذا النظام؛ إذا وقعت الجريمة بناء على هذا التحريض، أو المساعدة، أو الاتفاق، بما لا يتجاوز الحد الأعلى للعقوبة المقررة لها، ويعاقب بما لا يتجاوز نصف الحد الأعلى للعقوبة المقررة لها إذا لم تقع الجريمة الأصلية".

شرح النص:

يقصد بالتحريض الحث على الشيء ويعرفه الفقه والقضاء دفع غيره على ارتكاب الجريمة، أما المنظم السعودي فلم ينص على تعريف محدد للتحريض؛ ولذلك يكون مقصودة هو ما يفهم عادة من هذا

اللفظ فمفهومه واسع يشمل كل ما من شأنه حمل شخص على التصرف على وجه معين متمثل في القيام بفعل أو عمل معين له أثر مؤكد.

ومن صور التحريض:

- الإيعاز: وهو خلق فكرة الإفساد والتفرقة لدى غيره والإثارة: وهي إضافة بواعث جديدة لدى غيره من شأنها تقوية عوامل الإقدام على ارتكاب الفعل مثل تشويه صورة أحد الزوجين والتشكيك فيه، بحيث يكون للإثارة طلب الطلاق والانفصال.
- التعزيز: وهو دعم عزم غيره على ارتكاب الطلاق بإضافة بواعث جديدة تقوي عزمه وتدعمه.
- التحبيذ: وهو انضمام معنوي إلى جريمة غيره ، كأن يزين الشخص فعل الطلاق بعد وقوعه أو تمجيد مرتكبه مثل حفلات الطلاق وادعاء الحرية.

سادسًا: السوابق القضائية:

السوابق القضائية هي مجموعة من القرارات القانونية السابقة التي كتبتها المحاكم والهيئات القضائية المماثلة في سياق البت في القضايا، والتي تم فيها تحليل القانون باستخدام هذه القضايا لحل الغموض في البت في القضايا الحالية. وتُسمى هذه القرارات السابقة بـ «السوابق القضائية» أو السابقة القضائية.

الشرح:

السند التجريمي هو مبدأ السوابق القضائية، لأن المحاكم السعودية سبق وأن نظرت قضايا التخبيب وفصلت فيها وعاقبت مرتكبها ويوجد وقائع قضائية وردت في مدونة الأحكام القضائية، فقد كشفت مصادر بوزارة العدل أن المحاكم نظرت خلال فترة ثمانية أشهر من عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٦م) ٦٢ قضية «تخبيب» زوجة ضد زوجها أو زوج ضد زوجته، كان أعلاها محاكم الرياض بواقع ٢٢ قضية في حين نظرت محاكم نجران ومحاكم جازان قضية واحدة فقط لكل منطقة، وبلغت القضايا في عام (١٤٤٠ هـ/٢٠١٩م) نحو ٢٥٥ حالة وهي مرتفعة بنسبة ٥٦ ٪ عن العام الذي سبقه. فالإحصائيات الآن تشير إلى زيادة عدد قضايا التخبيب، بما يعني توافر سوابق قضائية في محاكم المملكة العربية السعودية ينظر لها القاضي ويحكم بموجبها.

مثال على بعض السوابق القضائية:

- قضية تخبيب الزوجة على زوجها باستخدام وسائل التواصل أدت للطلاق: القضية بدأت في الشرطة، ثم النيابة، ثم المحكمة الجزائية، وقد حكم القاضي بالسجن والغرامة فطلب الاستئناف زيادة العقوبة لازدياد ظاهرة إفساد الأسر والتسبب في الطلاق فصدر حكم مشدد بسجن المخبب ٣ أشهر مع الغرامة.

- سابقة قضائية: صديقة الزوجة قدمت النصيحة للزوجة بالطلاق فغُرمت بمبلغ مالي يدفع للزوج وأُخذ التعهد عليها.

سابعًا: المعصية التي لا حدّ فيها ولا كفارة عقوبتها التعزير:

التعزير هي العقوبة المشروعة بغرض التأديب على معصية أو جناية لا حد فيها ولا كفارة، أو فيها حد، لكن لم تتوفر شروط تنفيذه، فالتعزير يجب في جناية ليست موجبة للحد. قال ابن قدامة: التعزير هي العقوبة المشروعة على جناية لا حد فيها، او الجناية على إنسان بما لا يوجب قصاصا ولا دية.

الشرح:

إن المُشرّع حرص على صيانة الأسرة فأبطل عمل الساعين في التفريق بين المرء وزوجه بتحريض الزوجة على مضارة زوجها أو إغرائها بمال أو سواه، والنظام السعودي لم ينص على عقوبة جنائية مقرَّرة، وإنما وضع عقوبة شرعية تعزيرية يقرِّرها ناظر الدعوى، ويدخل فيها السجن والجلد.

إن تدخُّل أجنبي بين الزوجين وقت نزاعهما وسعيه في حصول الطلاق بينهما يُعد جريمة تستحق العقوبة، موضحًا أن التخبيب هو إفساد قلب المرأة على زوجها، وتخبيب الزوجة يعني استغلالها من طرف أجنبي عند وجود خلاف بينها وبين زوجها بإفسادها، من باب الحسد أو الغيرة أو الاعتقاد بالحماية والإرشاد للصواب.

وطرق إثباته محصورة في الغالب بوسائل التخبيب التي باشرها المخبب رسائل مكتوبة أو الكترونية أو اتصالات ونحو ذلك، وشهود إذا أمكن ذلك حسب الحال، وبعد الطلاق إذا تقدم المخبب للزوجة المطلقة تُعَد قرينة على ما ذكر سابقاً.

لقد أصبح التخبيب في الآونة الأخيرة ظاهرة شائكة ومنتشرة، وقد يقع بعض المرشدين أو المرشدات الأسريين في فخ التخبيب أثناء محاولته إصلاح المشكلة بقصد أو بغير قصد. وبعض الحالات من المشاكل الزوجية تصل إلى بعض المرشدين/ المرشدات وتتفاقم، لذا يجب على من يقوم بالإرشاد الأسري أن يكون مؤهلا تأهيلا كافيا ومدركًا لأبعاد الاستشارات الأسرية قانونيًا، ومن المهم على المرشدين/ المرشدات الاسريين التحذير من خطورة التخبيب عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمؤثرين أو نصائح الأصدقاء أو غيرها من الوسائل المشروعة.

ختاماً لابد من التنويه بخطورة التخبيب؛ لأن التخبيب يُعَبَر عن انتهاك شرعي وقانوني وخطورة وفساد اجتماعي وأخلاقي؛ فيعمل المخبب جاهداً على خلق فوضى داخل المجتمع وتشويه لمؤسسة الأسرة والزواج من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه يقوم بتدمير للأفراد ذاتهم وللأفكار والقناعات، مما يخلق صورةً ذهنية مشوهه للعلاقة بين الزوجين وصورة الرجل وصورة المرأة، ويكون بذلك قد جسد الفكر الموجب للعقاب القانوني.

المراجع

-التويجري، يوسف بن عبد العزيز، إبراهيم، إياد أحمد محمد مشرف.. (٢٠١٣). المسئولية الجنائية في التخبيب، بحث مكمل لرسالة (الماجستير)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض

-المطير، وليد بن محمد، & النجار، مصلح بن عبد الحي السيد مشرف. (٢٠١١). سلطة ولي الأمر في التعزير على فعل المباح. بحث مكمل لرسالة (الماجستير) - جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

-النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية الصادر بأمر ملكي رقم أ/٩٠ بتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٤١٢هـ، مجموعة الأنظمة السعودية، هيئة الخبراء بمجلس الوزراء.

-جدو، & حاتم. جرائم التعزير في التشريع الإسلامي, ٢٠١٤ , بحث مكمل لرسالة (الماجستير) - جامعة محمد خيضر، الجزائر.

-سلامي، علي محمد علي محمد. (٢٠٢٠). التخبيب وصوره المعاصرة في النكاح: دراسة فقهية تأصيلية. رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

-قناطف، شمس، موفق، & طيب الشريف/مؤطر. (٢٠٢٢). سلطة التجريم والعقاب في ظل نظام التعزير (جامعة احمد دراية-ادرار).

-مدونة الأحكام القضائية لعام ١٤٣٥هـ وزارة العدل ١٤٣٨هـ.

-نظام الأحوال الشخصية الصادر بالمرسوم الملكي رقم م / ٧٣ في ٦ / ٨ / ١٤٤٣ هـ، مجموعة الأنظمة السعودية، هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، المملكة العربية السعودية.

-نظام الإعلام المرئي والمسموع ولائحته التَّنفِيذِيَّة الصادر بالمرسوم الملكي رقم م / ٣٣ بتاريخ ٢٥ / ٣ / ١٤٣٥ هـ، مجموعة الأنظمة السعودية، هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، المملكة العربية السعودية.

-نظام الحماية مِن الإيذاء الصادر بالمرسوم الملكي رقم م / ٥٢ في ١٥ / ١١ /١٤٣٤ هـ، مجموعة الأنظمة السعودية، هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، المملكة العربية السعودية.

-نظام مكافحة جرائم المعلوماتية الصادر مرسوم ملكي رقم م/١٧ بتاريخ ٨ / ٣ / ١٤٢٨، مجموعة الأنظمة السعودية، هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، المملكة العربية السعودية.

الفصل الثالث:

الصور القديمة والمعاصرة للتخبيب

د. عبد العزيز بن عبد الله المقبل

الصور القديمة والمعاصرة للتخبيب

د. عبد العزيز المقبل

إن التخبيب، بمعناه العام، هو إفساد العلاقة بين اثنين، وأقرب من يتجه له هذا الأمر هما الزوجان. وقد عدّ القرآن الكريم عقد العلاقة الزوجية (ميثاقاً غليظاً)، كونها أعمق العلاقات في ذاتها، وفيما يترتب عليها، ولم يطلق القرآن ذلك على علاقة أخرى سوى النبوة، وهي حمل الرسالة من الله إلى عباده.

ومع أن تخبيب أحد طرفي العلاقة الزوجية سيئ بجملته، إلا أن سوءه (يتضاعف) حين يكون هدف المُخبِب بناء علاقة مع أحد طرفي العلاقة الزوجية بعد أن يكون خطّط لذلك، في إقناع أحدهما، والتأثير فيه، في ترك شريكه الأصلي، وإيثار المخبب عليه.

ولأن هناك ميلاً فطرياً بين الجنسين، ولأن الإنسان بني على الضعف، صارت قضايا التخبيب وصوره تتردد على مدى العصور؛ بين محاولة استيلاء على المرأة؛ بطريقة أو أخرى، مباشرة أو غير مباشرة، أو بإفساد المرأة على زوجها كلون من الانتقام. لكن من يفتش صفحات التاريخ يرى صُوَرَ التخبيب محدودةً على مدى التاريخ، تأتي حكاية هنا وحكاية هناك، على قدر من التباعد، أو تأتي، في أزمنة تالية، كسؤال فقهي يعرض على بعض المفتين، من خلال واقعة حدثت. وربما ساعد على تواري قضايا التخبيب، في السابق ومحدوديتها، اعتياد تلك المجتمعات على الفصل التام بين الرجال والنساء حتى في العصر الجاهلي؛ فالرجل لا يرى إلا زوجته ومحارمه غالباً. وحتى مَنْ يخرجن خارج البيت هن من العجائز، وكبيرات السن، اللاتي لا يلفتن النظر، ولا يرجون نكاحاً.!!

وقد ورد ضمن وصية عمرو بن كلثوم التغلبي؛ الشاعر الجاهلي، لبنيه، قوله: (وأبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال، فإنه أغض للبصر، ومتى كانت المعاينة واللقاء، ففي ذلك داء من الأدواء، ولا خير فيمن لا يغار لغيره كما يغار لنفسه، وقلّ من انتهك حرمة لغيره إلا انتهكت حرمته).

ولو ذهبت أحاول استعراض بعض ما وقفت عليه من صور التخبيب في عصر ما قبل الإسلام، لكان أول ما يلفت النظر شكوى بعض الشعراء الجاهليين من تخبيب زوجاتهم أو حبيباتهم. لكن النموذج، الذي يجسد التخبيب حينئذ، بصورة واضحة، يتمثل في قصة ضباعة بنت عامر القشيرية، التي ذكرها (ابن حجر) في كتابه (الإصابة في تمييز الصحابة)، فقد ذكر أن أباها زوّجها في الجاهلية من عبد الله بن جدعان، طمعاً في ماله، وكانت ذات جمال، ورغب فيها هشام بن المغيرة المخزومي، وكان من رجال قريش، فقال لضباعة: أرضيتِ لجمالك وهيئتك بهذا الشّيخ اللئيم، سليه الطّلاق حتى أتزوّجك، فسألت ابن جدعان الطلاق- فقال: بلغني أنّ هشاماً قد رغب فيك، ولست مُطلقاً حتى تحلفي لي أنك إن تزوجت أن تنحري مائة ناقة، سود الحِدَق بين إساف ونائلة، وأن تغزلي خيطاً يمدّ بين أخشبي مكّة، وأن تطوفي بالبيت عريانة.

فقالت: دعني انظر في أمري، فتركها، فأتاها هشام فأخبرته، فقال: أمّا نحر مائة ناقة فهو أهون علي من ناقة أنحرها عنك. وأما الغزل فأنا آمر نساء بني المغيرة يغزلن لك، وأما طوافك بالبيت عريانة فأنا أسأل قريشا أن يخلو لك البيت ساعة، فسليه الطّلاق، فسألته فطلّقها وحلفت له. وهكذا حدث، وتزوجها المغيرة.

وفي سياق الحديث عن التخبيب، في التاريخ الإسلامي المبكر، جاء التحذير من الأسباب المؤدية إليه، ومن أبرزها بعض أشعار الغزل، التي أبدع أصحابها في تصويره، وأصبح له تأثيره القوي، ومن ذلك شعر عمر بن أبي ربيعة، فقد قال حماد الراوية عندما سئل عنه: كانوا يحذّرون أرباب البيوت من أن تسمع فتياتهم مثل ذلك الشعر، (قال هشام بن عروة: لا تروّوا فتياتكم شِعْرَ عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطا)، (وكان ابن جريج يقول: ما دخل على العواتق في حجالهن شيء أضر عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة).

وحديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم – (من خبّب امرأة...) هو دليل واضح على أن التخبيب جزء من الطبيعة البشرية، وهو من جهة أخرى دليل على وجود صورٍ، وإن كانت محدودة جداً، من التخبيب حينذاك.

وعلى مرّ التاريخ القديم كان والد الإنسان، وأمّه بخاصة يندفعان – أحياناً – لسبب أو آخر، للضغط عليه ليطلق زوجته، وليكون لضغطهما أثر فيه كانا ربما استشهدا بكون عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أمر ابنه عبد الله أن يطلق امرأته، وقد قال له المصطفى – صلى الله عليه وسلم – (أطع أباك) (حديث حسن). وفي مثل هذه الحالة يشعر الابن بالحرج، كون الأمر ملتبساً بموضوع البرّ، والابن من جهة أخرى قد يكون محباً لزوجته، متعلقاً بها، وحينئذ يلجأ إلى الفقيه أو المفتي. لكن كان العلماء لمثل تلك الحالة بالمرصاد.. فقد (سئل أحمد: إذا أمر الرجلُ ابنه أن يطلق امرأته؟ قال: يطيعُ أباه إذا كان الأب رجلًا صالحًا، واحتج بحديث ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - حين أمره عمر أن يطلق امرأته. قيل: فأمه؟ قال: لا يطيعها في هذا. وسأل رجل أبا عبد اللَّه أحمد بن حنبل، قال: إن أبي يأمرني أن أطلق امرأتي. قال: لا تطلقها. قال: أليس عمر أمر ابنه عبد اللَّه أن يطلق امرأته؟ قال: حتى يكون أبوك مثل عمر - رضي اللَّه عنه -).

ولكي يزيل شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)، ما قد يلتبس في نفس بعض الأولاد، من التباس أمر والديهم لهم بالطلاق بموضوع البرّ، فقد أجاب على أسئلة تتصل بهذا الأمر مباشرة، فكانت إجابته حاسمة، فقد (سُئِلَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: عَنْ رَجُلٍ مُتَزَوِّجٍ وَلَهُ أَوْلَادٌ وَوَالِدَتُهُ تَكْرَهُ الزَّوْجَةَ وَتُشِيرُ عَلَيْهِ بِطَلَاقِهَا هَلْ يَجُوزُ لَهُ طَلَاقُهَا؟ فَأَجَابَ: لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا لِقَوْلِ أُمِّهِ؛ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَبَرَّ أُمَّهُ وَلَيْسَ تَطْلِيقُ امْرَأَتِهِ مِنْ بِرِّهَا. وَاَللَّهُ أَعْلَمُ).

وَسُئِلَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: عَنْ امْرَأَةٍ وَزَوْجِهَا مُتَّفِقِينَ وَأُمُّهَا تُرِيدُ الْفُرْقَةَ فَلَمْ تُطَاوِعْهَا الْبِنْتُ: فَهَلْ عَلَيْهَا إثْمٌ فِي دُعَاءِ أُمِّهَا عَلَيْهَا؟

فَأَجَابَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، إذَا تَزَوَّجَتْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهَا أَنْ تُطِيعَ أَبَاهَا وَلَا أُمَّهَا فِي فِرَاقِ زَوْجِهَا وَلَا فِي زِيَارَتِهِمْ وَلَا يَجُوزُ فِي نَحْوِ ذَلِكَ؛ بَلْ طَاعَةُ زَوْجِهَا عَلَيْهَا إذَا لَمْ يَأْمُرْهَا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ أَحَقُّ مِنْ طَاعَةِ أَبَوَيْهَا {وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ} وَإِذَا كَانَتْ الْأُمُّ تُرِيدُ التَّفْرِيقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا فَهِيَ مِنْ جِنْسِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ لَا طَاعَةَ لَهَا فِي ذَلِكَ وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهَا. اللَّهُمَّ إلَّا أَنْ يَكُونَا مُجْتَمِعَيْنِ عَلَى مَعْصِيَةٍ أو يَكُونَ أَمْرُهُ لِلْبِنْتِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَالْأُمُّ تَأْمُرُهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الْوَاجِبَةِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.

كما تمرّ صور تاريخية للتخبيب تقوم بها بعض النساء الفارغات الفضوليات، التي لا تكاد الواحدة منهن تخرج من بيت حتى تدخل بيتاً آخر، وتنقل من هذا البيت لهذا، ومن هذه الزوجة لتلك، وتقارن وتقترح وتنتقد، حتى تملأ قلب الزوجة على زوجها، فإذا حياتهما المستقرة تنقلب إلى شقاء، بهذا التأثير المسموم المنظم، وقد روى ابن الجوزي أن أبا مسلم الخولاني إذا انصرف من المسجد إلى منزله كَبَّرَ على باب منزلِهِ فتكبّر امرأته، فإذا كان في صحن داره كبّر فتجيبه امرأته، فإذا بلغ إلى باب بيته كبّر فتجيبه امرأته. فانصرف ذات ليلة فكبّر عند باب داره فلم يجبه أحد، فلما كان في الصحن كبّر فلم يجبه أحد، فلما كان في باب بيته كبّر فلم يجبه أحد، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه قال: فدخل فإذا البيت ليس فيه سراجٌ، وإذا امرأته جالسة منكسة، تنكت بعودٍ معها. فقال لها مالك؟ فقالت: أنت لك منزلة من معاوية، وليس لنا خادم، فلو سألته فأخدمنا وأعطاك، فقال: اللهم من أفسد امرأتي فأعمِ بصره، قال: وكانت قد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت: زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية أن يُخْدِمَه ويعطيه عشتم.

وتأتي صور التخبيب الزوجي – أحياناً – ممن يملكون المال، ويتصفون بالثراء، ويستطيعون من خلاله إغواء المرأة وإغراءها، لتترك زوجها، وتلحق بذلك الثري. كما قد يأتي التخبيب الزوجي ممن يختل ويخدع، بثوب المكانة الدينية، الذي يرتديه. فقد وُجّه سؤال إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، عن إمام مسجد خبّب امرأة على زوجها حتى فارقته، وعن حكم الصلاة خلفه.. وهو ما يشعر بوجود حالات من التخبيب، كانت تحدث، وقتئذ.

وقد وقف بعض المالكية موقفاً حازماً من زواج المُخبِب بمن خبَّبها، فحرموها عليها تحريماً مؤبداً.

صور التخبيب في العصر الحاضر:

في العصر الحاضر ظلت الصورة القديمة للتخبيب تتكرر، لكن جدّتْ معطيات زادت من شدتها، ووسعت دائرتها. كما جدّتْ وسائل أصبح لها تأثيرها القوي والعميق، في موضوع التخبيب، وإن كان غير مباشر، وهنا تكمن الخطورة.. فالتأثير مستمر، ويطال كل بيت، لكنه بأساليب غير مباشرة، ولا يقصد بها

بحيث يمكنه مقاضاة أولئك المُخبِين.! وكنتيجة لذلك بدأت تتسع دائرة المشكلات الزوجية، وترتفع مؤشرات الطلاق، وتتنامى أعداد طالبات الخلع والفسخ، من النساء.

وثمة سبب رئيس لذلك، وهو الانفجار التقني، الذي ابتدأ بالبث التلفزيوني البسيط، وانتهى بالمحطات الفضائية العالمية المتصارعة، والتي تتنافس على امتلاك كل وسائل الجذب، لكن الخطر استطار واستطال مع ثورة وسائل التواصل، التي جعلت بإمكان كل شخص، دونما اعتبار لأي مقومات، أن يكون في نفسه محطة بثٍّ؛ بالصوت والصورة الحية، في أي مكان، وخلال ساعات الليل والنهار.

ومع امتلاء الجو بالبث، على اختلاف جهاته ومصادره، واستعراض الحيوات الخاصة، واستثمار ذلك في الإعلان عن السلع، بدأت تصبغ حياةَ المجتمع الروحُ المادية؛ حيث أصبح هدف كثيرين إظهار أنفسهم، من خلال استعراضهم، بمستوى من يملك أفضل السيارات والبيوت والأثاث، والهدف هو لفت نظر الآخرين بقيمتها ومصدرها، رغبة في احتلال مكانة عالية، في نظر من يتابع وسائل التواصل، كما أصبحت وسائل التواصل مصدر دخل، قد يكون كبيراً جداً، دون أي اعتبار لمقومات الشخص، صاحب المعرّف على تلك الوسيلة.. وذلك كلّه أثّر - كثيراً - في حياة عامة الناس.. وأورث تغيّراً جذرياً في المجتمع، إذا متْنًا أصبح الجدُّ هامشا، واللهوُ مَتَنَا.

ومنذ أن انتشرت شبكة الانترنت، أتيحت – من خلالها – فرصة التواصل بين الجنسين؛ صوتاً وصورة، وأحاديث وتعليقات ورسائل، عبر الإيميلات. وقد أوجد ذلك تقارباً كبيراً بين الجنسين، الذي ابتدأ افتراضياً، عبر الكتابة والحوار، ثم عبر الحوار المرئي، وهو ما هيأ النفوس للتقارب الواقعي.. وفي ظل هذا التقارب، وعلى أرضيته بدأت تنبت أشجار عشوائية تمثل علاقات التعارف بينهما. وربما تكون تلك العلاقة قد نشأت إثر مكالمة هاتفية، قد تكون هي حدثت بالخطأ، أو إثر محادثة في النت غير مرتبة، وأيّما كان فإن الفتاة تعلقت تعلقاً كبيراً بالطرف الآخر، الذي يمثله الشاب، لكنها مع ذلك التعلق الكبير تنتابها تخوفات كبيرة من نتائج الزواج، المنبني على مثل تلك العلاقة، ولكن تمكّن الحب يدفعها إلى الرسوّ على شاطئ كل مستشار، ليشجعها على المضي، أو يستطيع إقناعها بالتراجع، مع تحمّل ألم ترك الحبيب.!!.. مع أن كثيراً من هذه العلاقات هي خداع للفتاة، واستثمار لفراغها العاطفي، لكن حتى الصادق من تلك العلاقات دافعه الأصلي، مجرد الميل الفطري، المبني على مشاعر عاطفية لا تصمد حين تتحول إلى واقع، فيبدأ مسلسل المشكلات، الذي قد تكون حلقته الأخيرة (الطلاق).

لكن ما هو أسوأ حين تمضي الفتاة مع شاب أبدى لها الحب، وأكد لها صدقه فيه، فتمضي معه مراحل بعيدة، لتفاجأ به ذات يوم قد ألغى جواله، أو بريده الالكتروني، ليصبح – كما يقول المثل المصري – (فص ملح وذاب).. لتظل يعتصرها الألم، وربما عاق زواجها ما حدث.

ولم يقف التأثير في حياة الفتيات غير المتزوجات، أو المطلقات، فإن من أدرك تلك الفترة وعاشها كان يدرك كيف جدّت مشكلات على الحياة الزوجية والأسرية؛ إذ بدأ الانهماك في الدردشات، والمشاركة في المنتديات، التي وجدت فيها المرأة، من جهتها تعويضا عن (صمت) زوجها، ووجد فيها الرجال قدراً من (الاهتمام والاحترام)، من قبل نساء يسوّقن أنفسهن لهم، خاصة وهم يدخلون الشبكة، باعتبار الواحد منهم شابا يبحث عن زوجة، وقد يكون متزوجاً من أكثر من عشر سنوات، ولديه عدد من الأطفال.!!

وبدأ ذلك التفاعل والانهماك يترك أثره – أحياناً – على قيام كل من الزوجين، بوظائفهما الزوجية والأسرية، كما أن شبكة الانترنت أصبحت أرضاً خصبة لاستنبات أشجار الحب والتعلق، التي يسقيها ويغذّيها التواصل المرئي والهاتفي والكتابي.

ومع اتساع دائرة وسائل التواصل، وسحرها، وسهولة الاشتراك بها، ودخول الألعاب التفاعلية، متزامناً مع اتساع رقعة الفراغ، بسبب الخدمات التقنية الإلكترونية، التي اختصرت عمل ربّة البيت، ووجود قدر من التفكك الأسري أحياناً.. أصبح ذلك الجو مرتعاً لوجود مشكلات ذات صلة كبيرة بالتخبيب.

ومن يعمل في حقل الاستشارات يجد أثر هذا، بصورة كبيرة وعميقة، على الحياة الزوجية والأسرية، في صور مختلفة، ومتباينة ومتعددة. إذ يقع على رأس قائمة المشكلات، التي يتلقاها المرشدون، في الجمعيات الأسرية موضوع الخيانة الزوجية، بصورها المختلفة، والسقوط في مستنقعات الإباحية الجنسية، والتي تركت أثراً واضحا، في العلاقة الجنسية الطبيعية، بين الزوجين، ثم تتالى مشكلات لها صلة مباشرة أو غير مباشرة، بموضوع التقنية ووسائل التواصل.

والأخطر من ذلك، وعبر قنوات التقنية نفسها وجسورها، بدأت تتسلل مفهومات خطيرة، تتكئ على جوانب فكرية، متأثرة بالفكر المادي، وهو التمحور حول الذات والفردانية. وبدأ ما يسمّى بتيار النسوية تهب رياحه بصورة كبيرة، عصفت ولا تزال تعصف بكثير من البيوت.

ثم حدثت ثورة التطبيقات، التي تنافست فيها الشركات والمؤسسات التجارية، كونها اختصرت عليها الوقت، وجذبت لها الزبائن. ومن الطبيعي القول إن العيب ليس فيها، ولكن في إساءة استخدامها.

ويمكن استعراض بعض صور التخبيب المعاصرة، التي تحدث عبر وسائل التواصل خاصة، والتقنية بصورة عامة، على النحو التالي:

أولاً: صور التخبيب التي يقوم بها أشخاص خارج نطاق عائلة الزوجين:

١ - أصحاب العلاقات قبل الزواج:

قد يمر الشاب أو الفتاة، قبل الزواج بعلاقة تعارف، ثم ينقطع.. أو تظل تلك العلاقة لكنها تصبح متقطعة. وحين يتزوج قد يعثر شريكه (رجلاً أو امرأة) على رسالة في جواله، أو عبر معرّفه في إحدى وسائل التواصل، من صاحب العلاقة السابقة، لتبدأ رياح مشكلة بالهبوب.

الأسوأ أن تصل الوقاحة – بالشاب تحديداً – إلى تهديد الفتاة ببعث رسائلها، التي سبق أن بعثتها إليه قبل الزواج، إلى زوجها، إن لم تتجاوب معه. وهو أمر يضع الفتاة في موقف مربك، خاصة حين تكون شخصيتها ضعيفة. ومن الطبيعي أن نتصور ما يمكن أن يترتب على ذلك.. من تمزق الفتاة نفسياً، وربما قبلت بسذاجة أن تلتقيه لمرة واحدة، وهو تعهّد لها مقابل ذلك، أن يحذف رسائلها، لكن ذلك اللقاء يكون تأثيره أسوأ، إذ يتخذ منه ذلك الشاب وسيلة ضغط أكثر. وقد تكتشف الزوج الأمر في أوله أو آخره، لتنتهي حياة الفتاة الزوجية.

لكن النموذج الأكثر هو تعرف الفتاة على شاب من خلال الشبكة ووسائل التواصل، أو الزمالة في العمل، ثم فرضها الزواج به على أهلها، وقد يكون أحياناً يخالف بعض الأعراف الاجتماعية، فتوقع أهلها في حرج بالغ مع بقية العائلة.. لكن ذلك يهون عند فتيات عشقن أشخاصاً خارج الحدود، وقد يكون حتى غير عربي.. وقد مرّ علي نماذج من ذلك..

ومن آخر ما وردني اتصال من شابة قد عشقت شاباً خليجياً، وأخرى شكت أهلها إلى المحكمة، متهمة إياهم بالحيلولة بينها وبين الزواج من رجل عربي، تعرفت عليه عبر وسائل التواصل، ووثقت به. الأمر الأكثر تأثيرا ومرارة حين تحدث العلاقة بين يدي الزواج، وبعد الملكة، وحين الاستعداد له. وأسوأ منه أن تحدث العلاقة بعد الزواج، وربما حتى بعد إنجاب الأولاد.

٢ - القروبات والمجموعات والمأزومون ومسوقو أنفسهم:

هناك نساء مطلقات، وسواء أكان طلاقهن من قبل الأزواج، بعد معارك لم يطفئ نارها سوى الطلاق، أم كانت المرأة عانت تجربة مُرّةً، اضطرت معها لطلب الطلاق، أو الفسخ أو الخلع، للانعتاق منها. لكنّ بعض هؤلاء النسوة المطلقات، جراء تجاربهن الذاتية الفاشلة، حملن لواء الحرب على الرجال.. وظل كثير منهن يتسكعن في أزقة الانترنت، ووسائل التواصل، فلا يدعن تغريدة إلا علّقن عليها، ولا (هاشتاقاً) إلا شاركن فيه، ولا وسيلة من وسائل التواصل إلا وضعن معرفاً لهن من خلالها.. وكل حديثهن وتعليقاتهن تمثل (سوطاً) تجلد فيه الواحدة منهن (جنس) الرجال، الذين ترى فيهم صورة (طليقها).. وبعض أولئك يجتمعن في مجموعات، عبر الواتس أو التليجرام، ولكن بدل أن يدور الحديث، في مثل تلك الساحات حول إعادة ترتيب الأوراق، والاستفادة من التجربة السابقة، تحولت تلك المجموعات إلى ساحات حرب، يتهم فيها الرجال بالذكورية، وتلصق فيهم كل الصفات السيئة. وهنا تتأثر بعض النساء الساذجات من تلك التعليقات والتحريض، وتظل تكوّن من خلال ما تسمع من ذلك صورة ذهنية سلبية، عن زوجها، كنموذج لأولئك الرجال.

بل إن بعضهن تروي حكاية طلاقها، كما لو كانت بطلة خاضت معركة شرسة وخرجت منها منتصرة؛ حيث تبدي فرحها بالتخلص من ذلك الزوج، وربما أوحت لمن يستمع لها، أو يتابعها أن تخلصها كان باب خير لها، فقد تطلقت وأصبحت (حرّة)، تتخذ قرارها بنفسها، بدل أن كانت مستعبدة، تنتظر – في كل أمر – إذن زوجها. ولذا فإن بعضهن تصور حفلة أعدتها، ودعت إليها صديقاتها، بمناسبة طلاقها، لونًا من التعبير عن الفرح.

وفي المقابل هناك رجال (يسوقون) أنفسهم، من خلال احتطابهم بحبل قضايا المرأة، وانحيازهم معها. ومن ثم فإن أولئك يتحدثون بمثالية عالية عما يجب أن تكون عليه الحياة الزوجية، مع قدر من التعليقات على الأزواج الرجال، وغلبة الجفاء عليهم.!

٣ – الرسائل الهاتفية والنتيّة مجهولة المصدر:

بعض الرسائل، التي قد تترك شرخاً كبيراً في الحياة الزوجية، أو حتى تعمل على هدمها.. فتأتي رسالة (مجهولة)، قد تكون مكذوبة مفتراه، وقد تكون معلومتها حقيقية، ولكنك تحار جداً في المصلحة التي يتغيّاها مرسل تلك الرسالة.

وقد مرَّ علي في ميدان الاستشارات قضايا من هذا القبيل، بعضها أدت إلى هدم البيت، وبعضها أبقته قابلاً للسقوط، لما زرعته في ذهن الزوج من شكوك حول زوجته.

٤ - بعض المحامين:

ومع أن بعض المحامين، في لقاءات صحفية، جعل نسبة ٧٠٪ من قضايا طلب الخلع والطلاق سببها الأول التخبيب، فإن بعض المحامين متهمون أن لهم دوراً في ذلك؛ أي أنهم جزء من تلك النسبة، التي أشار لها زملاؤهم.. سواء فيما يبثه بعضهم، في سبيل الشهرة، وتسويق نفسه لدى العنصر النسائي، من مقاطع، يفهم منها في النهاية قدراً من التحريض على الطلاق والتخبيب.

أو من كون إعلانات مكاتبهم، على الشبكة، تقدم خدماتها في قضايا الخلع. وإذا كان المتحدثون في المقاطع يسوّقون لنفسهم، عند العنصر النسائي، فإن إعلانات بعض أصحاب مكاتب المحاماة تحاول استقطاب النساء، وتوحي لهن بأن تجربة مكاتبهم تجعلهم ينهون قضايا الخلع بيسر وسهولة وسرعة.! والهدف النهائي هو تحصيل المال.!، ولو على حساب هدم الأسرة، وتشتيت أفرادها.

ولا أنكر أنه إلى جانب هؤلاء هناك كثير جداً جداً من المحامين محترمون صادقون، وفي أكثر من مرة أتلقى استشارة يذكر لي فيها صاحبها أن المحامي فلان، أو المحامية فلانة نصحني بالتواصل مع مرشد أسري. وهو ما يوحي أن ذلك المحامي أو المحامية ليس حريصاً على إنهاء الأسرة، ما أمكن بقاؤها.

٥ - بعض المرشدين الأسريين:

بعض المرشدين الأسريين قد تغلب عليه العاطفة، وحين تتواصل معه زوجة وتروي له – بعدساتها العاطفية – بعض الأحداث لها مع زوجها، قد يتفاعل معها، ويتعاطف، ويدفعه الحماس إلى بعض وصايا، تؤثر سلبياً على الحياة الزوجية، والأسرة بعامة، أو يمضي في ذكر ما يجب على الزوج في حق زوجته، بطريقة مثالية، هو لا يطبقها. وقد أفضت في هذا في مشاركتي، في الفصل الخامس من هذا الدليل، بعنوان: كيف يحمي المستشار الأسري نفسه من الوقوع في التخبيب.

٦ - المتعاطفون:

بعض النساء، وهي تتصل، وتؤكد أنها تتمنى أن تسمع الرأي الحقيقي؛ لها أو عليها. وأنها تجاوزت استشارة من حولها خشية أن يميلوا – عاطفيا – معها. بينما كثير من النساء تستشير زميلتها أو أختها أو قريبتها، وتلك من المؤكد أنها ستتعاطف معها، ومن ثم تشير عليها بما ترى أنها يريحها ويرضيها، دونما وقوف عندما تطرحه، وهل هو يسهم بالفعل في حل الموضوع، أم يزيد في تأزيمه.

بل يدخل في هذا النوع أهل الفتاة؛ فبعض الآباء، سواء بدافع ذاتي، أم بتحريض الأم، ساعة تتصل عليه ابنته المتزوجة، في ليل أو نهار، وأيما تكون المشكلة، يذهب إليها ويعود بها معه.. هذا إن لم يتهجم على الزوج، دون أن يتفهم الأمر.. وقد مرت علي حالات كان يمكن حلها ولو بالتجاهل، فهي وليدة لحظات غضب عارضة، لكن أجّج نارها، وزاد لهيبها تدخل الأهل. وقد يكون الزوج أخذته العزة بالإثم فرفض أن يبدي أي تفاهم أو تفاوض حتى ترجع الزوجة إلى بيتها.. وربما أمعن في ذلك، ورفض أن يتولى هو إرجاعها، على أن من أخذها هو أولى بإرجاعها.. ومثل هذه الأحداث فوق تأثيرها على الزوجين، وتعدي تأثيرها إلى الأطفال، وامتداد زمنها بسبب العناد من الطرفين، لكنها قد تصل إلى لجان الإصلاح.. ولولا التعاطف الزائد جداً، الذي حدث من الأهل، ولولا الاتصال الذي على ضوئه تدخل الأهل، لما حدث كل ما حدث.

٧ – الأصدقاء:

قد يكون بين الزوج وبعض أصدقائه علاقة وطيدة، وقد يكون للزوج معروف على صديقه، وفي كل الحالتين قد يُؤْثِر الزوج صديقَه على بعض قرابته، أو حتى إخوانه.. وقد يبادر ذلك الصديق باستعداده لسدّ فراغ الزوج، في أسرته، حين يسافر أو ينشغل، أو حتى يقضي محكومية في السجن.. لكن وجود تواصل بين الزوجة ورجل غريب، حين يكثر قد يدعو للتبسط، وربما في لحظة ضعف من أحدهما أو كليهما يندفعان في إبداء إعجابهما ببعضهما كل منهما بالآخر.. وهو ما قد يتجاوز إلى أمور سيئة، قد تظل تؤلم الزوجة بالذات، مدة طويلة أو دائمة.

ثانياً: صور التخبيب التي يقوم بها الزوجان وأسرتاهما:

١- تخبيب الزوج زوجته بنفسه، والعكس:

أحياناً يظل الزوج يثني كثيراً على صديق له، وربما أفاض في ذكر كرمه وأريحيته وخفة روحه، وقد يصوره في أحوال مختلفة، حين يسافر معه، ويظل يستعرض تلك الصور مع زوجته، مع حديث مشبع بالإعجاب عنه. وهنا قد يعلق شيء من الإعجاب، في نفس الزوجة، لذلك الصديق، وقد يتطور إلى تعلق قلبي، والسبب هو الزوج نفسه.

وقد يحدث العكس؛ فالزوج قد يتحدث عن زوجته، عند صديق أو أصدقاء، ويستعرض تفاصيل حياتهما، وربما حتى الخاصة منها، وهو ما يترك أثراً سلبياً، في نفس أحدهم، وقد يغويه الشيطان، بالتفكير في تلك الزوجة، خاصة مع استمرار الزوج في سلوكه ذاك.

كما أن مدح الزوج زوجات أصدقائه، أو مدح ما يقدمنه من طعام، أو مستوى الترتيب، الذي عليه بيت صديقه، لدى زوجته قد يؤدي في نهاية المطاف إلى مشكلات هو في غنى عنها، وأسوأ من ذلك حين يقارن زوجته ببعض زوجات زملائه منتقدا.

وقد يظل بعض الأزواج يصبّح زوجته ويمسّيها بذكر التعدد؛ مزاحاً أو جداً، وأسوأ من ذلك تهديداً.. وتلك كلها إسهامات سلبية، تضعف جسر العلاقة الزوجية، بل ربما قطعته.

والزوجة قد تكون سبباً في تخبيب زوجها، سواء أعلمت أم لم تعلم، حين تظل تصف بعض النساء لزوجها.. وقد تظل تثني على أختها، أو قريبتها، وتغدق عليها المديح شكلاً ومنطقاً وعملاً وإنجازاً، وهو ما قد يعلق قلب الزوج بها، وقد تتشرف نفسه إلى الوصول لها.

٢ - تخبيب أم الزوج وأم الزوجة:

منذ زمن طويل، وعبر تاريخ الشعوب، عرفت علاقة أم الزوج (الحماة) بزوجته (الكنّة) بالتوتر، وقد مضت بعض صورٍ تاريخية كانت أم الزوج تطالبه بطلاق زوجته.. والأمر يتكرر في العصر الحاضر، وفي الواقع الاجتماعي. وتتجسد صور تخبيب أم الزوج بكثرة اتصالها على ولدها، والإلحاح عليه - باسم البرّ - بتناول الطعام عندها، حتى إن بعضهم - بسبب ذلك - يفطر شهر رمضان كله عند اهله، على حين تفطر زوجته وحدها.!

وقد تتناوب أم الزوج الاتصال عليه هي وبناتها، وقد تتصل في أوقات ليست - إطلاقا - وقتاً للاتصال، وليس ثمة ضرورة تدعو إلى ذلك. وقد تؤكد على أحد الأولاد دون غيره من أولادها في شراء حاجاتها، وحاجات

أخواته، والذهاب بهم لمشاويرهم، مع أن لديها في البيت أولاداً غيره، لم يتزوجوا بعد، وغالبا ما يكون هذا حين تكون الأجواء غير صافية، بين الزوجة وبين أهل الزوج، وكأنه لون من الانتقام. ومن الطبيعي أن تحدث مشكلات بين الزوجين بسبب مثل تلك السلوكيات من قبل الأم.

وأم الزوج تتحكم - أحياناً - في سلوك الزوج مع زوجته، فتقترح عليه مواعيد محددة، يفترض ألا يتجاوزها، في زيارة الزوجة لاهلها، بينما لا تطبق مثل هذه المقترحات على بناتها، أخوات الزوج، فمواعيد زيارتهم لها مفتوحة، وقد تتدخل في لباس الزوجة؛ من عباءة ولون اللباس، وقد لا تسحب كلامها كذلك على بناتها.

أحياناً بدافع الغيرة تبدأ الأم - وربما أمام الزوجة وبحضورها - تمدح جمال امرأة ما، وتلك رسالة مبطنة إلى أنها أجمل من زوجته، وهي تدرك أن ذلك يستفز الزوجة، وأن الأمر لا يقف عند استفزاز الزوجة، فساعة يغادر الزوجان الأم أو تغادرهما سيبدأ مسلسل لوم وعتاب من قبل الزوجة للزوج على صمته على كلام أمه، وقد تسارع بانتقاد أمه فيثور الزوج عند ذلك، ويحتد ويرفع صوته عليها، كونه لا يرى أمه حمى مستباحاً لها.!!

وقد يصل الأمر بأم الزوج، لسبب أو آخر، أو لمجرد الغيرة أن تضغط على الزوج (ابنها) أن يطلق زوجته، وتعده بأنها ستبحث لها عن زوجة أجمل منها وأفضل. وقد استُشرت مرات في قضايا من هذا القبيل.

وأحيانا يكون تخبيب أم الزوج أو الزوجة، فيما تفتعله من مواقف ومشكلات، دافعه الغيرة، وكم تألمت وفتاة تستشيرني في القرار الذي تتخذه في مشكلتها مع زوجها، وهي مشكلة مع التدقيق، تبدو تافهة، لكن الأم ظلت تنفخ فيها، حتى تبدو كبيرة.. وما أفزعني هو أن تخبرني الفتاة، وهي تنقل تخوفها من المستقبل، أن لديها أختين أو أكثر مطلقات.!!.

والغيرة لها دوافع متعددة، لكن منها كون الأم يتوفى زوجها، أو يطلقها، ثم تتفرغ لأولادها، ومع مرور الوقت، وكبر الأبناء، يأتي أوان زواجهم، فتبدأ المشكلات من رأي الأم التأخر في الزواج، وحتى حين ترى أن

الناس بدأوا من حولها يلومونها، وترضى أن يتزوج ابنها أو ابنتها فإنها تريد أن يتزوج أحدهما ما ترغبه هي لا ما يرغبه هو.!! وسواء أكان هذا أو ذاك تبدأ سحب الغيرة تهبّ بعيد الزواج، وتظل الأم تبحث عن أيّ مغمز في الزوجة أو الزوج، فتظل تنتقدها، وقد ينتهي المطاف بطلب الطلاق؛ سواء من الولد أو البنت.! لذا ظللت كلما اتصلت علي امرأة توفي زوجها أو تعرضت للطلاق، وهي في سنٍّ ليست كبيرة جداً أن أنصحها بالزواج.! ومن المؤكد أنني حين أذكر مثل هذه النماذج لا أعني – إطلاقا – أنها تشمل كل أم.

ومثلما أن أم الزوج قد يكون لها دور في تخبيب ابنها على زوجته، فقد تأخذ الدور أم الزوجة؛ وكم من حالة تواصلت معي، تمثلها زوجة كانت علاقتها بزوجها جيدة، ومشاعرها نحوها قوية، لكن ظل اهلها، وأمها خاصة، كلما ذُكِر الزوج، أو مرّ حديث عنه، وفي حضور زوجته، يلمزونه؛ مرة بشدة التدين، وكثرة ممنوعاته لزوجته، ومرة بتواضع مكانته الوظيفية، ومرة بمستواه المالي البسيط، ومرة بكون أهله في منزلة اجتماعية أدنى من منزلة أهل الفتاة، ومع مرور الوقت بدأت مشاعر الفتاة تتغير تجاه زوجها، وعلاقتها به تفتر، وبعض من اتصلن يغرقن في بحر من الحيرة، وكأنها وهي تتصل علي، تريد من المرشد الأسري أن يُمضي على قرارها، الذي تريد فيه موافقة أهلها، لتتخلص من كثرة الانتقاد، الذي يتحدث فيه الأهل، بصورة مستمرة، عن الزوج. وبعض الأحيان يصورون لها بأنها ستجد زوجاً أفضل، لكن هذا الكلام – غالباً – لا يتحقق.!

٣ - إخوة الزوج أو الزوجة وأخواتهما:

حذّر المصطفى صلى الله عليه وسلم من (الحمو)، وهو أخو الزوج، كون دخوله إلى بيت أخيه غير مستغرب.. وحين يسهل الاحتكاك، ويقل الاحتراز، وقد يراها بأوضاع ليس من المناسب أن يراها عليها.. وقد ينفخ الشيطان في نظراته لها في تلك الأوضاع، فيجمّلها في عينه.. وحين يتكرر النظر، ويمتلئ القلب بالإعجاب، قد يندفع بالكلام، ويُلِينُه، ويقدم الهدية، ويتبادل معها التعليقات، ويصبح في بعض كلامه أجرأ. وهو ما يسقي بذرة الإعجاب، لتتحول إلى شجرة سلوك أسهمت في تصدع استقرار بيت، وتوشك أن تساويه بالأرض.

وقد يكون أخو الزوج أفضل منه، بصورة من الصور، فتضعف المرأة حين تقارن بين زوجها وأخيه.. وقد عرضت علي استشارات في وقائع مؤلمة، مرّت عبر هذا النفق.

كما أن أخوات الزوجة – أحياناً – يكنّ سبباً في إفساد حياتها، وقد تنتهي حياتها بالطلاق، أو تظل نيران المشكلات تضطرم فيه.. والدوافع تختلف، وإذا استثنيت التعاطف السلبي، فإن غالب الدوافع الأخرى يختفي خلفها نوع من الغيرة، حيث يبدو الرأي في ثوب من النصيحة والشفقة، لكن ما يحيط به يشي بأنه ليس خالصاً، فغالب من يمنحك الرأي يوضح لك أوجه وضعك المشرقة، وأوجهه المعتمة، وينتهي دوره حينئذ، لكن أن يحاول أن يدفعك لاتخاذ القرار دفعا، ويسدّ كل طريق تفتحه للصلح، فغالبا إن سلم من الحمق، لم يسلم من الغيرة، مع أن الغيرة أحد أوجه الحمق الكالحة.!

٤ – الضرَّات / الزوجات الأخريات:

قد تسمع – أحياناً - من تصرفات الزوجات وسلوكياتهن تجاه ضرَّاتهن، بدوافع الغيرة، أموراً يستغربها الإنسان، ويظل يتساءل: ما الفائدة منها؟، وما الهدف من ورائها؟، وهي ترجع على صاحبتها – أحياناً – بإشكالات قد تكون كبيرة.

ولكن حين نرجع إلى الجيل الأول، جيل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ونرى من تسأل المصطفى، صلى الله عليه وسلم، قائلة: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ) (رواه البخاري). ومعنى هذا أن الدافع هو الغيرة، والخداع النفسي، لإظهار حب الزوج وقربه، وهو ما يمكن أن يعتري كل امرأة.

وكم سمعت من شكوى زوجة من أن ضرتها تستفزها بما تتركه على جسد زوجها، أو ملابسه من مظاهر، تمثل رسالة لتلك الزوجة، تفيد بأن علاقة الزوج بالمرسلة تفوق علاقته بمن وصلتها الرسالة.!

وإذا كانت بعض زوجات المعدديّن غير قادرة على ضبط مشاعرها وسلوكها في مثل هذه الأمور، فإن لحزم الزوج وقوة شخصيته، دوراً في التخفيف من ذلك. وفي مقابل ذلك حين يكون الزوج ضعيف الشخصية، أو لا يملك الحزم، أو لا يريد أن يملكه، أو يكون ميله مع زوجة أكثر من أخرى، بصورة ظاهرة، فهو يساهم في إيقاد نار المشكلة.

وأخيرا يمكنني القول إن من المؤكد أنه كلما كانت العلاقة الزوجية أو الأسرية متينة وقوية زاد استعصاؤها على التخبيب، والعكس فكلما كانت هشَّة وضعيفة صارت قابليتها أكبر.

كما أن المستوى العقلي للزوجين له دور كبير، إذ قد يكون أحدهما في حال جيدة، ولكن يرخي أذنه لناصح ساذج أو أحمق، ويتصرف وفق وجهة نظره بالزواج الثاني، أو بالتصرف غير المدروس مع أخطاء الزوجة، وقد مرّ عليّ نماذج من ذلك.

أسأل الله – بمنّه وكرمه – أن يجعل فيما قلته وذكرته نفعاً، وأن يقينا شرّ أنفسنا وشرّ الشيطان، وأن يكتب لنا الخير دائماً، وأن يصلح حال المسلمين..

المراجع

- تفسير ابن كثير.
- الإصابة في تمييز الصحابة.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم.
- الجامع لعلوم الإمام أحمد.
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية.
- مجموع الفتاوى.
- البيان والتبيين.
- صحيح البخاري.

الفصل الرابع

دوافع التخبيب وأسبابه

الأستاذ/ يحيى بن عبدالله الحربي
الأستاذة/ خديجه بنت علوي بافقيه

دوافع التخبيب وأسبابه

أ. يحيى الحربي

إن من أعظم مقاصد هذا الدين العظيم تحقيق الألفة والمحبة والمودة بين المسلمين، وسد كل الذرائع والوسائل والأسباب التي تؤدي إلى ضد ذلك، كالنفرة، والوحشة، والبغضاء، والتدابر، والتقاطع بين المسلمين؛ لهذا جاءت النصوص التي تُرهب وتحذر من مغبة إفساد ذات البين، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (لا تَحاسدُوا، وَلا تناجشُوا، وَلا تَباغَضُوا، وَلا تَدابرُوا، وَلا يبِعْ بعْضُكُمْ عَلَى بيْعِ بعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللَّه إِخْوانًا، المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِم: لا يَظلِمُه، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلا يَخْذُلُهُ، التقْوَى هَاهُنا - ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مرَّاتٍ- بِحسْبِ امرئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِر أَخاهُ المُسْلِمَ، كُلّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حرامٌ: دمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ) (رواه مسلم).

والتخبيب عند أهل اللغة مصدر الفعل "خَبَّبَ"، وهو الإفساد والخديعة، والخِبُّ هو الرجل الخداع المعروف بالمكر والسعي بين الناس بالفساد، وقولهم: خبَّبَ فلانٌ غلامي، أي: خَدَعَه. وقد اشتهر عن أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (لست بالخِبِّ، ولا يخدعُني الخِبّ). وفي الاصطلاح عند الفقهاء هو: "إفساد الرجل زوجة غيره على زوجها ليتزوجها هو"، وعرفه بعضهم بأنه: "إفساد المرأة على زوجها حتى يتزوجها بذكر مساوئ الزوج عند امرأته، أو تزيين عداوته نحوها، أو بيان محاسن أجنبي عندها، ونحو ذلك بما يجلب الفساد والإفساد تجاهه". إذن فالتخبيب هو: "تعمد إفساد أحد الزوجين على الآخر".

والحاصل أن كل أمر ينطوي على إفساد ذات البين، أو إيغار الصدور؛ فهو من جملة التخبيب المنهي عنه، وقد صح الخبر عن خير الأنام سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (ليسَ منَّا من خبَّبَ امرأةً علَى زوجِها أو عبدًا علَى سيِّدِه) [صحيح الجامع الصغير: صحيح]. وما نحن في صدد الحديث عنه هو التخبيب الذي يكون بين الأزواج ويسفر عنه فساد الحياة الزوجية، وتعكر صفوها، وتبدد سكونها.

والتخبيب يعد من كبائر الذنوب، وهو حرام شرعاً؛ لِما تقدم معنا من حديث أبي هريرة. وقد ذهب المالكية إلى عدم جواز نكاح المخبب، وأن عقد النكاح يفسخ قبل الدخول وبعده، والخلاف عندهم في تأبيد تحريم النكاح من ذلك المفسد أو عدم تأبيده، ومحل بحث هذه المسألة في كتب الفقهاء

واستناداً إلى ما تقدم يكون جوهر التخبيب ودافعه الأساسي هو قصد الإفساد وتعمد التفريق بين الناس عامة، والأزواج بصفة خاصة. ويشترط لإطلاق وصف التخبيب أن يكون لدى الشخص المُخبِب نية مُبيتة، وقصد الإفساد بين الزوجين؛ وذلك من خلال استخدام طرق وأساليب تتسم بالمكر والدهاء، مثل إبراز السلبيات وتضخيمها، وتهميش الحسنات والإيجابيات، أو التحريض على عدم الطاعة وعدم الانصياع بدعوى الحرية الشخصية والتحرر من القيود، وغيرها الكثير من الطرق والأساليب الحديثة التي تهدد استقرار العلاقة الزوجية، وتهدف إلى زعزعة المودة بين الزوجين.

• ومن هنا يمكن القول: إن التخبيب بين الزوجين يجب أن تتوفر فيها ثلاثة أركان:

١. علاقة زوجية قائمة: فالتخبيب لا يكون إلا بين زوجين ينعمان بعلاقة زوجية قائمة.

٢. وجود طرف ثالث (المخبِّب): لا بد أن تكون هناك علاقة أو تواصل بين أحد أطراف العلاقة الزوجية – الزوج أو الزوجة- وبين طرف ثالث خارج هذه العلاقة، مهما كانت صفته أو درجته، ولا يشترط أن تكون هذه العلاقة خيانة زوجية أو علاقة غرامية؛ إنما يكفي أن يكون هناك تواصل واتصال بهذا المخبِّب.

٣. فعل التخبيب: ويقصد به السلوك الذي يمارسه ذلك المُخبِب بقصد الإفساد بين الزوجين، فجريمة التخبيب المشينة يشترط فيها أن تكون بقصد إفساد العلاقة وتأليب القلوب بين الأزواج.

أولاً: دوافع التخبيب وأسبابه

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: إن أصول الخطايا كلها ثلاثةٌ: الكِبْرُ: وهو الذي أصار إبليسَ إلى ما أصارهُ، والحِرْصُ: وهو الذي أخرج آدم من الجنَّة، والحسدُ: وهو الذي جَرَّأ أحدَ ابنَي آدمَ على أخيهِ؛ فمنْ وُقِيَ شَرَّ هذه الثلاثة فقد وُقِيَ الشَّرَّ؛ فالكفرُ من الكِبر، والمعاصي من الحِرْص، والبغْيُ والظُّلْمُ من الحسد. والمتأمل لحال المُخبِبين من الرجال والنساء يجد أن دوافعهم والأسباب التي حملتهم على هذا الفعل متضمنة تلك الخصال التي ذكرها ابن القيم بالإضافة إلى غيرها من الدوافع والأسباب، وهي:

١. العُجب والتعالي:

التكبر هو بطر الحق وغمط الناس، وهو أن يرى الإنسان نفسه أفضل من غيره، فيتعالى عليهم بما لديه من سلطة، أو نفوذ، أو مال، أو جمال، أو علم ومعرفة، فيقع منه الظلم والازدراء للآخرين.

وردّ الحق وعدم الاعتراف به نوع من الكبر، وهذا ما أخرج إبليس من الجنة بعد أن عصى أمر ربه قال تعالى: {**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**} [الأعراف: ١٢].
ومن أمثلة ذلك: أن بعض المرشدين والمختصين في حل الخلافات الأسرية -هدانا الله وإياهم- لا يتورع من قول "لا أعلم" في مسألة يجهلها أو تكون جديدة عليه، أو مسألة يعتقد أنها معلومة لديه بحكم طول الممارسة، فيقدم النصيحة والاستشارة التي تكون سبباً في إفساد العلاقة والحياة الزوجية. وهذا من الغرور العلمي، فقد قيل في منثور الآثار: "من قال "لا أعلم" فقد أفتى"، وثبت عن الإمام مالك -إمام دار الهجرة- قوله: "من فقه العالم أن يقول "لا أعلم".

فالحالات الأسرية على وجه التحديد هي حالات فردية لا يمكن أن يستخدم فيها القياس في حل وتسوية الخلافات المتناظرة، بل تعالج كل حالة على حدة وإن كانت الظروف والأحوال متقاربة في الظاهر، ولكن لكل حالة تفاصيل خاصة بها تجعلها مختلفة عن نظائرها.

ومن الأمثلة كذلك أن يتعاطف المرشد الاسري المعني بالإصلاح بين الزوجين مع المرأة على حساب الرجل والعكس، ويتراخى في الإصلاح بينهما بحجة أن هذه المرأة جميلة أو صالحة ولا تستحق أن تعيش مع هذا الرجل، وأنه أحظى لها أن تكون مع من هو أفضل منه. وللأسف الشديد هناك حالات سعى فيها المرشد الاسري للتفريق بينهما بحجة أنها لا تصلح له، أو أن هذا الرجل أولى له أن يتزوج امرأة أفضل منها إذا كانت المرأة سيئة في تقدير المرشد، أو أنه يحكم على الحالة بعدم إمكانية الصلح في هذا النزاع الأسري منذ بداية الجلسة لمجرد التفرس استناداً إلى خبراته وملكاته الشخصية.

وهذا ليس من الإرشاد أو الإصلاح في شيء، بل هو من تلبيس إبليس على بعض المرشدين الأسريين؛ حيث يضع نفسه محلاً للقياس والمقارنة، أو يضع الآخرين في قوالب، ويبدأ بإصدار الأحكام عليهم، ويتعامل معهم بناء على تلك الصور النمطية والأحكام القاصرة النابعة من تصوراته الشخصية واستنباطاته الفردية، فيعتقد أن هذا يصلح لهذه، وهذه لا تصلح لهذا وهكذا، قال تعالى: {**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ اهلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ اهلِهَا إِن يُرِيدَا إصلاحا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**} [النساء:٣٥].

فالواجب على المرشد والمصلح بذل الجهد، والسعي بإخلاص ومثابرة حتى وإن ظهر له غير ذلك، إنما عليه أن يتحلى باليقين وحسن الظن بالله، ويوقن أن الله قادر على أن يبدل الحال، وأن يقلّب القلوب، وأن يصلح الأحوال في غمضة عين، وهذا هو نهج الأنبياء، ومسلك الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم جميعاً.

ولنا في رسول الله أسوة حسنة؛ فقد قال تعالى في كتابه العزيز: {**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ**} [الأحزاب:٣٧]. قال ابن سعدي في تفسير هذه الآية: "زيد بن حارثة كانت تحته زينب بنت جحش، ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قد وقع في قلب الرسول: لو طلقها زيد لتزوَّجها، فقدر الله أن يكون بينها وبين زيد ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في فراقها. فقال له النبي صلوات ربي وسلامه عليه ناصحًا له ومخبرًا بمصلحته مع وقوعها في قلبه: "لا تفارقها، واصبر على ما جاءك منها، {وَاتَّقِ اللَّه} في أمورك عامة، وفي أمر زوجك خاصة، فإن التقوى تحث على الصبر، وتأمر به. وقد أخفى النبي صلى الله عليه وسلم ما كان في قلبه خشية كلام الناس وجاء التنبيه من الله بقوله: {**وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**}، وألا تبالهم شيئًا، فلما طابت نفس زيد منها، ورغب عنها، وفارقها؛ تزوجها النبي ﷺ بأمر الله. وإنما فعل ذلك لفائدة عظيمة، وهي: {**لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أزواج أَدْعِيَائِهِمْ**}

والشاهد من هذه الواقعة أن المرشد الأسري والمصلح ينبغي له أن يفصل بين عواطفه ورغباته وقناعاته الشخصية، وبين الواقعة التي أمامه، والحالة التي يتولى دور المصلح فيها، ويذكر نفسه دائماً أن عمله ودوره الحقيقي هو تحقيق الصلح والألفة بين الأزواج مهما بدا له غير ذلك، لا في تحقيق المصلحة التي يقدرها هو في نفسه أو يثبت أنه على حق، فما يصلح له قد لا يصلح لغيره، والعكس صحيح.

٢. الطمع والجشع:

وهو الرغبة في الحصول على كل ما تهواه النفس، حتى وإن كان ذلك المرغوب ممنوعًا ومحظورًا.

قال تعالى: {**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**} [البقرة:٣٥]، وقال تعالى: {**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يبلَى**}[طه:١٢٠]. فقد تُعجب المرأة برجل متزوج، أو يُعجب الرجل بامرأة متزوجة، ويتعلق القلب، فيقرر أن يستخلصها لنفسه، أو أن تستخلصه لنفسها، فيسعى ليفسد الزوجة على زوجها؛ لتكون خالصة له بعد ذلك، وهذا من الطمع والجشع وعدم الرضا بما قسم الله له، وهذا يحمله على الظلم والتعدي على حقوق الآخرين، ويجعل بعض النساء تدّعي على زوجها ما ليس فيه، وتحاول أن تظهره على غير حقيقته كذباً وافتراء؛ لتحقق مرادها، وهو الانفصال عنه. وهذا من الظلم. قال تعالى: {**وَلَا تَمُدَّنَّ عَينيْكَ إلىٰ مَا مَتعْنَا بِهِ أزواجا مِّنهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنفْتِنهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وأَبقَىٰ**} [طه:١٣١]، فقد نهى الله تعالى نبيه صلوات ربي وسلامه عليه عن النظر إلى ما بيد المشركين من نعيم ورزق مُنح لهم في الحياة الدنيا ليُفتنوا به، فكيف بحال من يمد ناظريه إلى زوجة أو زوج غيره، ويظن في نفسه أنه هو أجدر وأحق أن تكون لديه تلك النعمة التي في حوزة ذلك الشخص؟!

٣. الحسد والغيرة:

قال الجرجاني: الحسد هو: تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد. والعلماء استنبطوا أن الحسد من أصول الخطايا؛ لأنه يدفع بعد ذلك إلى الآثام القولية والفعلية، كما هو الحال في السَّحَرة ومن يستعين بهم ليقطعوا الأرحام، ويدمروا البيوت، ويهدموا العلاقات، وكذلك حال النسوة في المدينة لما عِبْنَ على زوجة العزيز أنها تراود فتاها عن نفسه، فلما جمعتهن على مائدة، ورأين يوسف عليه السلام؛ فُتِنَّ به وبجماله، فأصبحْنَ يُراوِدْنهُ عن نفسه.

ومن صور الغيرة التي تؤثر سلباً في الحياة الزوجية قيام بعض النساء أو الرجال ممن مرّ بتجربة طلاق مريرة، أو عانى في حياته الزوجية؛ بتعميم تجربته الشخصية على الناس، وإسقاط حياته على الآخرين بهدف إفساد حياتهم كما فسدت حياته هو.

وأعلم شخصياً حالات واقعية عايشتها بنفسي في ثنايا مجالس الصلح، كانت الأخت هي المحرض الرئيس لأختها لتخالع زوجها، حتى تتساوى معها في المنزلة، ولا تكون هي المطلقة الوحيدة في منزل الأهل، ولنتأمل سورة الناس وكيف أن النبي أوصانا أن نكرر قراءتها آناء الليل وأطراف النهار في الأذكار والأوراد اليومية: {**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلهِ النَّاسِ، مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**}.

قال الحسن: هما شيطانان؛ أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية. وقال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين؛ فتعوذ بالله من شياطين الإنس والجن.

فمن العلامات التي يمكن أن تتعرف فيها على المُخبِب أن حديثه في الغالب يجعلك تشعر دائماً بضيق الصدر والقهر، وألم في القلب بسبب الحسرة ونار الغيرة التي يضرمها في قلبك.

٤. المقارنات السلبية:

المقارنات صفة طبيعية موجودة في البشر، وهي قد تحمل جانبًا إيجابيا، وآخرَ سلبيًّا. وهذا يعتمد على نوع المقارنة والطريقة التي تتم فيها. وبصفة عامة فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- المقارنة مع الذات:

وهي أن يضع الإنسان نفسه محلًّا للمقارنة بين زمنين مختلفين؛ بين ماضيه وحاضره، أو بين حاضره ومستقبله الذي يصب للوصول إليه، وهذه المقارنة إما أن تكون سلبية أو إيجابية، وذلك بناء على الطريقة التي يفكر ويحلل فيه الموقف، وبحسب المشاعر والأحاسيس التي خلفتها تلك المقارنة، ومن ثَمَّ فإن سلوكه سوف ينطلق من أفكاره ومشاعره المسيطرة عليه. مثال ذلك شخص غني أو مقتدر مالياً في ماضيه، يمر بضائقة مالية نتيجة أزمة اقتصادية في الوقت الراهن، فيقارن وضعه الحالي بوضعه السابق الذي كان أفضل مما هو عليه الآن، فإذا سلك الطريقة الإيجابية في التفكير فإنه يقول لنفسه: "أنا بإذن الله قادر على استعادة وضعي السابق من خلال الصبر والاستعانة بالله، والاجتهاد في عملي، والبحث عن فرص جديدة للحصول على الدخل والاستثمار، وفي كل الأحوال بما أنني ما زلت قادرًا على التفكير والحركة والكسب، فأنا بنعمة عظيمة لا تقدر بثمن". فهذه المقارنة الإيجابية ولدت لديه شعورًا بالرضا والتقبل، وكونت لديه الدافع الإيجابي للعمل وعدم الاستسلام.

ب- مقارنة الذات مع الآخرين:

وهي أحد أبرز أسباب الفساد والتعاسة التي تخيم على حياة الأسر والأفراد، وذلك بأن يضع الإنسان نفسه وحياته محلًّا للمقارنة مع الآخرين، والتي غالباً ما تكون مقارنة سلبية؛ فيقارن ما هو مفقود لديه بما هو موجود لدى غيره، متجاهلاً أو متناسياً ما هو موجود لديه ومفقود لدى غيره، فتتولد لديه مشاعر الإحباط والحسرة وعدم الاستمتاع بما لديه، والشعور بالنقص والدونية والحرمان وغيرها الكثير من المشاعر السلبية التي تؤثر بشكل مباشر في صحته النفسية وحياته الشخصية والاجتماعية.

من أمثلة ذلك (لماذا زوجي لا يكون مثل زوج فلانة؟ لماذا زوجتي ليست كزوجة فلان؟ أخي أفضل منك؛ يعمل لزوجته كذا وكذا، زوجة أخي أفضل منك؛ فإنها تفعل له كذا وكذا..... إلخ). قال النبي ﷺ: (انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر ألّا تزدروا نعمة الله عليكم)[الترمذي: صحيح]. وهذه هي المهارة التي تقود الإنسان للوصول إلى مقام الرضا التام بما قسم الله له، والقناعة التي وصفت بأنها كنز لا يفنى، فهناك اختلاف بين الصبر على المفقود، وبين الرضا بالموجود، فليس كل صابر قنوعًا.

ت- مقارنة الآخرين بغيرهم من الناس:

وهو أن يقارن الإنسان أحوال الناس بغيرهم، أو أن يضع فردين تربطه بهما علاقة مباشرة محلاً للمقارنة فيما بينهما. وهذا النوع قد لا يؤثر بشكل مباشر في الشخص نفسه، ولكن يمتد تأثيره السلبي في الشخص كونه يُصدر أحكامًا قاصرة وجائرة على الآخرين من دون وجود معايير موضوعية للمقارنة، ومن دون اطلاع على تفاصيل حياة هؤلاء الأفراد، ومن دون النظر إلى الفروقات الفردية، والطبيعة الشخصية، والظروف المحيطة بهؤلاء الأشخاص، ومن ثَمَّ فمن الطبيعي أن تكون نتيجة المقارنة ظالمة وقاصرة.

وهذا النوع من المقارنات غالباً ما يجري استعماله من قبل الوالدين مع أبنائهم، فيقارنون الأبناء ببعضهم. مثال ذلك: (لماذا لا تكون مثل أخيك فلان؟! أو: أختك فلانة أفضل منك؛ لأنها.....). ومن هنا تنشأ المشاكل التربوية والنفسية بين الأبناء، فتتحول إلى عقد تؤثر في حياتهم المستقبلية.

٥. الإسقاطات النفسية:

هناك بعض الحالات يكون الدافع والمحرك للتخبيب هو اضطرابات نفسيّة أو اعتلالاً في الشخصية ينتج عنه سلوك غير سوي، مثل التعلق المرضي بالأشخاص، أو عملية التحويل النفسي للمشاعر التي تحدث غالباً بين المرشد والمسترشد، وينتج عنها تحول في العلاقة المهنية إلى علاقة عاطفية قد تكون من طرف واحد، أو علاقة تبادلية من الطرفين. مثال ذلك: شخص يعاني من مشاكل مثل الحرمان العاطفي والعنف الجسدي أو النفسي، فعندما يجد من يتعاطف معه، ويستمع له، ويوجهه ويؤثر فيه بشكل إيجابي؛ في بعض الحالات تتحول هذه المشاعر إلى إعجاب وانجذاب، ويصاحبها تعلق عاطفي من جهة المسترشد تجاه المرشد. وهو ما يعرف في مدرسة التحليل النفسي لدى فرويد بـ: "التحويل العاطفي"، و"الإسقاط"، وهي إحدى الطرائق والآليات الدفاعية النفسية.

وعلى صعيد آخر قد يحدث الإسقاط والتحول العاطفي من قبل المرشد تجاه المسترشد، فيتقمص هو دور الضحية، ويبدأ بالتعامل مع الحالة وكأنها مسألة شخصية. وذلك يحدث عندما يكون المرشد نفسه يعاني من اضطرابات أو مشاكل شخصية تَحُولُ بينه وبين مِهنيَّته، فيعجز عن الفصل بين مشاعره وبين الحالة التي يباشر علاجها. مثال على ذلك: مرشدة أسرية تقدمت لديها إحدى الزوجات بطلب استشارة للتعامل مع زوجها الذي تزوج عليها، وهذه المرشدة في قرارة نفسها ترفض فكرة التعدد وتحاربها ولا تتقبلها؛ وذلك أن زوجها كذلك تزوج عليها، فتقمصت دور المسترشدة، وتظاهرت بالبكاء معها، والتأثر عاطفيًّا مع مشكلتها، وبدأت تتهم الرجال كلهم بالخيانة وعدم الوفاء... إلخ.

٦. الجهل:

إن الجهل في حل الخلافات الزوجية والتعامل مع الأزمات العائلية قد يؤدي إلى نتائج كارثية إذا تم التعامل معها من قبل أشخاص لا يملكون دراية وخبرة ومعرفة بطرق تقديم الاستشارات والتعامل مع الحالات الأسرية. قال سحنون: "أشقى الناس من باع آخرته بدنياه، وأشقى منه من باع آخرته بدنيا غيره. فقال: تفكرت فيه وجدته المفتي يأتيه الرجل قد حنث في امرأته ورقيقته فيقول له: لا شيء عليك، فيذهب الرجل فيستمتع بامرأته ورقيقته وقد باع المفتي دينه بدنيا هذا".

ومن صور الجهل كذلك عدم سؤال أهل الاختصاص، واللجوء عوضاً عن ذلك إلى صفحات الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي، وأصحاب التجارب الشخصية والمشاهير ومدعي المعرفة الذين يفسدون أكثر مما يصلحون. وكما قيل "إذا تكلم المرء في غير فنّه أتى بالعجائب". فكما أن المهندس المعماري لا يستطيع أن يقوم بعملية قلب مفتوح لينقذ حياة المريض، فكذلك غير المختص بالشأن الأسري لا يستطيع أن يتعامل مع خلاف ما لمجرد الرغبة في الإصلاح وحب الخير للناس، فالنية وحدها لا تكفي لتحقيق النتيجة، بل لا بد من القيام بعمل من منطلق العلم والخبرة بالتوازي مع النية الصالحة للوصول إلى الغاية وتحقيق المراد. قال تعالى: {**ادْعُ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**}[**النحل:١٢٥**].

٧. الاندفاع العاطفي:

غريزة الحماية موجودة لدى معظم الآباء والأمهات، فيهتمون بأبنائهم، ويحرصون على أن يكونوا أصحاء وسعداء وناجحين، ويريدون حمايتهم بشتى الطرق من خلال منع التعرض لمشاعر مؤذية، والحماية من الإخفاق والفشل. ولكن هذا في حقيقته هو أحد معاول الهدم والتدمير لكيان الأبناء وذواتهم، وسبب من أسباب الإعاقة النفسية، فقد قيل قديماً: "ومن الحب ما قتل". واليوم بحسب ما نراه في ساحات المحاكم وميادين الاستشارات العائلية ما يجعلني أقول "ومن الحب ما أفسد وأتلف وفرق بين الزوجين". ويروى في الأثر عن السلف رحمهم الله قولهم: (أشفقوا على أولادكم من إشفاقكم عليهم).

وإني رأيت كثرة الماء في الزرع تفسده وتتلفه، فكذلك كثرة الحماية والدلال تفسد الأبناء وتدمرهم. ومن صور الحماية الوالدية المبالغ فيها التدخل في حل خلافات الأبناء الزوجية، والحرص على تقديم الدعم والنصيحة في كل صغيرة وكبيرة فيما يتعلق بشؤون حياتهم الأسرية، وكذلك منعهم من حق الاستقلالية في تكوين أسرة منفصلة عن كنف الأسرة الممتدة؛ فهناك بعض الأهالي يلزمون أبناءهم أن يقيموا معهم في المسكن نفسه من دون سبب أو عذر، ليبقوا تحت ناظريهم فحسب، ولعدم ثقتهم بقدرتهم على الاستقلالية. وهذا كله له آثاره السلبية في حياة الأبناء وعلاقاتهم الزوجية.

٨. المثالية الزائفة:

ذكر الدكتور آرون بيك، وهو أحد رواد نظرية العلاج المعرفي السلوكي؛ أن التفكير المستقطب هو أحد صور الأفكار السلبية التلقائية التي تؤثر بشكل سلبي في مشاعر الإنسان وسلوكه، وعرّفه بأنه: تفكير الأفراد بصورة متطرفة، وفي عبارات صارمة، لإصدار أحكام قصوى. وترتبط بهذه الخاصية الشرور في التفكير، والتعسف في الاستنتاج، والمبالغة في التعميم.

والمثالية الزائدة أو الكمالية العصابية هي إحدى صور هذه التفكير، وهي سمة من سمات الشخصية التي تجعل الشخص يكافح ويبذل الجهد سعيًا لبلوغ الكمال؛ مما يجعله يضع معاييرَ عالية الغاية للأداء حتى في أبسط أمور الحياة. ويترتب على ذلك التقييم النقدي المستمر للذات والآخرين ولأحداث الحياة، والشعور الدائم بعدم الرضا عن النفس، والخوف المستمر من تقييم الآخرين، والحساسية المفرطة للنقد، وتضخيم الزلات، وتصعيد الأمور. ومن ثَمَّ فإنه يصنع عالماً غير واقعي، مليئًا بالقيم والمثل والفضائل والصور المبالغ فيها، والتي لا يمكن أن تتحقق في الحياة الواقعية، ويحاول أن يروج لها، ويتغنى بها، ويبثها بين الناس؛ مما يجعلهم يعيشون في عالم حالم، ومن ثم يسعون لتطبيق تلك الفضائل على حياتهم الأسرية، فتكون النتيجة الشعور بعدم الرضا، وعدم التقبل للواقع الحالي. قال عليه الصلاة والسلام: (إذا قال الرجل: هلك الناس؛ فهو اهلكهم)[مسلم].

فالدنيا كما أخبر عنها النبي صلوات ربي وسلامه عليه: حلوة خضرة، وهي في الوقت ذاته دار شقاء وابتلاء، وقد خُلقنا فيها لنكابد ونسعى في سبيل نيل السعادة والراحة التي لا تكون على الدوام، فتارة نسعد، وتارة نشقى، وهكذا هي طبيعة الحياة الدنيا، فمن المحال دوام الحال حتى نلقى الله تعالى.

٩. الاختلاط وغياب الخصوصية:

يقول الدكتور جوتمان: "إن تكرار العلاقات العاطفية خارج إطار الزواج لا يعتمد على جنس الشخص قدر اعتماده على الفرص المهيَّأة له، ففي المجتمعات الغربية ارتفعت نسبة السيدات اللائي يُقِمْنَ علاقات عاطفية خارج إطار الزواج نتيجة عملهن وتواجدهن خارج المنزل". ووفقًا للدكتورة أنت لاسون: "إن النساء في الولايات المتحدة منذ أن اقتحمن مجال العمل بأعداد هائلة تخطى عدد علاقاتهن خارج إطار الزواج عدد العلاقات التي يقيمها الرجال.

أن هذا الأمر غير مستغرب وهو نتيجة طبيعية ومتوقعة لأثر الاختلاط وعدم الاحتشام، وانصهار الحواجز والفواصل التي وضعتها الشريعة السمحاء بين الرجال والنساء فيما يخص الاختلاط بين الجنسين، وأخص بالذكر بيئة العمل، فالموظف أو الموظفة يقضي من يومه ما يقارب ثماني ساعات يومياً - في أقل تقدير- في العمل برفقة زميل أو زميلة، ومن ثَمَّ فإن هذا الوقت كفيل بأن يذيب كل الحواجز، ويسمح باختراق الخصوصيات وانتهاكها ما لم يكن لدى الشخص قيم دينية وضوابط شخصية تحده وتردعه من تجاوز الحد المسموح به من التواصل في بيئة العمل، ولنتأمل وصية الله سبحانه وتعالى لنساء النبي صلى الله عليه وسلم وهنّ مَن هنّ في العفة والحشمة والوقار والخشية من الله: {**يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**}[الأحزاب:٣٢].

ومن طرق الاختلاط الحديثة والخبيثة التي غزت المجتمعات فضلًا عن البيوت؛ وسائل التواصل الاجتماعي وبرامجه المعروفة لدى الجميع، فبات من المقبول لدى السواد الأعظم من الناس أن الرجل يتابع حساب امرأة غريبة عنه، والمرأة تتابع حساب رجل غريب عنها، وهذه المتابعة ليست للعلم والفائدة، ولكن متابعة يوميات هذا الشخص - سواء كان رجلًا أو امرأة – بكل تفاصيلها الدقيقة، فلم تعد للبيوت حرمة، ولم تعد للحياة الشخصية خصوصية، فالنساء يعلمن ماذا يفعل فلان في بيته ومع أبنائه، ومع زوجته، ومع اهله، ومع أصدقائه، والعكس كذلك من الرجال تجاه النساء، ومن هنا تبدأ المقارنات التي تقدم الحديث عنها، والغيرة والحسد، ويحدث ما لا تُحمد عقباه، ناهيك عن الكذب، والغش، والتمثيل، والخداع الذي يقوم به بعض مشاهير التواصل الاجتماعي – الفاشينيستا، والبلوجرز، واليوتيوبرز- حيث يظهرون أمام عامة الناس في هذه البرامج والقنوات على غير حقيقتهم، ويعكسون واقعًا مزيفًا بيوميات مزيفة يوهمون فيها المتابعين بأنهم أسعد الناس، وأكثرهم استمتاعًا بالحياة، وأنهم ألطف الناس بالناس، وغيرها الكثير الكثير من التفاصيل الكاذبة والنفاق الاجتماعي، من أجل زيادة عدد المتابعين والحصول على شهرة زائفة أو نيل القبول الاجتماعي، وهذا ما ساهم بشكل جليّ ولافت في زيادة حالات التخبيب والإفساد بين الأزواج، والخيانات الزوجية من الجنسين، وارتفاع نسب الطلاق في السنوات الأخيرة. قال تعالى: {**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ.....**}[النور:٣١،٣٠]. العين بريد القلب، فمن غضّ بصره عف نفسه، وصان قلبه، وحفظ فرجه، وأرضى ربه.

ثانياً: وسائل النصح الأخرى، والفرق بينها وبين التخبيب

تقدم لدينا أن صفة التخبيب التي حرمها أهل العلم والتي جاء التهديد والوعيد فيها على لسان النبي صلوات ربي وسلامه عليه لا تُطلق إلا على الشخص الذي يتقصد ويتعمد الإفساد بين الأزواج بأي وسيلة كانت، وأشرنا سابقاً إلى أن التخبيب منه ما هو مباشر وغير مباشر، ومنه ما هو لفظي وغير لفظي، ولمحنا إلى أن المُخبِب قد يكون من أهل الصلاح والخير، ولكنه من حيث لا يعلم قد يقع في التخبيب والإفساد بين الناس؛ لذا من الأهمية بمكان أن نسلط الضوء على ما يميز بين التخبيب ووسائل الإصلاح الأخرى، وهي: الاستشارة، والتوجيه، والإرشاد على النحو الآتي:

- الاستشارة الأسرية هي: عرض المشكلات الأسرية على مَن عُرف بالمعرفة العلمية، والتجربة العملية، والرأي السديد، وسماع الآراء والنصائح في سبيل حلها والأخذ بأسبابها.
- التوجيه هو: خدمة تُقدّم لمساعدة الفرد على أن يفهم نفسه ومشكلاته، ويستغل طاقاته وقدراته الذاتية ومهاراته، واستعداداته، وميوله، وإمكانياته. والتوجيه يسبق الإرشاد ويمهد له.
- الإرشاد هو: العلاقة المهنية والصلة الإنسانية المتبادلة التي يتم من خلالها التفاعل والتأثير والتأثر بين طرفين: أحدهما متخصص، وهو (المرشد)؛ والآخر العميل، وهو (المسترشد)، حيث يسعى المرشد إلى مساعدة العميل لحل المشكلة التي يعاني منها.

الملاحظ في التعريفات السابقة أن جميعها يشترك في مجموعة نقاط، وهي:

١. مهمة تقديم الاستشارة أو التوجيه أو الإرشاد تتم من قبل أشخاص متخصصين أكاديميًّا، ويملكون خبرة عملية، ومرخصين من الجهات المعنية.

٢. الهدف من هذه الخدمات هو مساعدة المسترشد في الوصول إلى تحقيق أهدافه الشخصية، وحلّ مشكلاته، واستغلال أفضل لقدراته، وتحقيق منفعة شخصية للمسترشد.

٣. التركيز على الفرد ذاته، ومساعدته على استعادة تحكمه الداخلي، والتبصر في نفسه حتى يتمكن من مواجهة وحل مشكلته، وليس التهرب منها.

٤. جميع هذه الخدمات تتميز بأنها عملية تبادلية وتفاعلية بين المرشد والمسترشد، وتتسم بالمهنية، وتجري وفق منهجية وخطة، ولا تكون بشكل عشوائي.

٥. يقع عبء إيجاد الحلول واختيار الأنسب منها على عاتق المسترشد وحده، ودور المرشد هو مساعدة المسترشد في تعلم مهارة توليد الحلول واختيار الأنسب منها.

٦. المرشد يطبق مفهوم المرآة العاكسة مع المسترشد، بحيث يجعله مستبصراً بنفسه، ويعكس الصورة الحقيقة له وللأحداث من حوله، ويساعده على تقبل الواقع على ما هو.

وبمقارنة هذه النقاط آنفة الذكر مع التخبيب نجد أن هناك بونًا شاسعًا بينها وبينه، ويمكن إجماله في مجموعة نقاط رئيسية:

١. التخبيب يهدف إلى إفساد العلاقات الاجتماعية وفك الرابطة الزوجية، بينما وسائل الإصلاح الأخرى تسعى لإصلاح هذه العلاقات والمحافظة على عقدة النكاح.

٢. التخبيب له آثار سلبية في الفرد وسُلّم القيم والبناء الأخلاقي للمجتمع، بينما وسائل الإصلاح الأخرى تزيل تلك الشوائب والسلبيات، وتحاول إصلاح المجتمع.

٣. التخبيب يركز على نتيجة واحدة، وهي الانفصال والتفرقة مهما كانت الوسيلة: مشروعة أم غير مشروعة، بينما وسائل الإصلاح الأخرى تهتم باستخدام وسائل مشروعة لتحقيق غاية نبيلة.

ثالثاً: علامات المُخبِبين وسماتهم (كيف نكتشف المُخبِبين؟)

لا يمكن أن يقاس الإنسان بشكله، فليست للمخبب علامات وسمات شكلية وخَلْقية مميزة تمكن الأشخاص من التعرف عليه، ولكن كما قالت الأعراب: "البعرة تدل على البعير.. والأثر يدل على المسير". فهناك علامات وتصرفات تدل عليه، وهي:

١. التخبيب يكون غالباً من قبل أشخاص غير متخصصين ولا يملكون خبرة واسعة. مثال ذلك: معالج الطاقة والعلوم غير المعترف بها أكاديمياً، الموجه الشخصي -الكوتش- غير المتخصص، بعض من درس الإرشاد الأسري في دورات قصيرة على يد مدربي التنمية البشرية، قراء الكتب والهواة، وأصحاب الخبرات الشخصية.

٢. المخبِّب يركز غالباً على الأعراض الظاهرة للمشكلة - القشور- وينشغل بها، ويتجاهل الأسباب الرئيسية، ولا يبحث عن جذور المشكلة. ومن الأمثلة على أعراض المشاكل: عصبية الرجل تدلّ على نقص حاجة الاحترام والتقدير لديه، بينما عصبية المرأة تدل على شعورها بالإهمال وعدم الإشباع العاطفي، وكذلك الغيرة تدل على عدم الثقة وعدم الشعور بالأمان.

٣. المخبِّب يكون غالباً قليل الأسئلة، ولا يبحث عن الحقائق، ويستخدم أسئلة مغلقة للحصول على إجابات مقتضبة تقريرية فحسب، ولا يبحث عن الحقائق، وإنما يركز على السلوك السلبي. ومن الأمثلة أن يقول للزوجة: زوجك يضرب، صح؟ أنتِ تشعرين أنك مهانة، صح؟ أنت لا تشعرين أنك مرتاحة في حياتك؟ يقول للزوج: تتمنى لو أنك لم تتزوج؟ أكيد تفتقد لأيام الحرية وعدم المسؤولية؟

٤. المخبِّب غالباً يبحث عن عثرات وسلبيات الطرف الآخر وينتقدها، ولا يحاول فهم الدوافع، وفي المقابل يلتمس العذر ويبرر للضحية أفعالها وتصرفاتها حتى وإن كانت خطأ وتستحق النقد؛ وذلك ليكسب ثقته، ويشعره بالراحة الزائفة. مثال: من حق الزوجة الامتناع عن المعاشرة الزوجية؛ لأن ذلك حرية شخصية، وليس للزوج أن يقرر التعدد أو الزواج من امرأة أخرى لو كانت زوجته مقصرة في حقوقه الشرعية ويقول: الرجل المحب لابد له من الصبر على زوجته وإن كانت مقصرة.!!.

٥. المخبِّب تكون حلوله غالباً سريعة وذات تأثير فوري أو لحظي في حل المشكلة، ويغلب عليها أنها ممارسات انفعالية تصعيدية، وتؤدي في نهاية المطاف على المدى البعيد إلى زيادة الفجوة بين الزوجين، وتدهور العلاقة الزوجية. مثال: تحريض المرأة على الخروج من منزل الزوجية لمنزل أهلها، أو فتح بلاغ في مركز الشرطة.

٦. المخبِّب يستخدم غالباً اللغة العاطفية في كلامه المجردة عن الحقائق العلمية، ويستغل عاطفة الضحية، ودائماً يُعمم. مثال: كل الناس يفعلون ذلك، أنت لستِ عبدةً عنده.

٧. المشاعر التي تراود الضحية بعد التواصل مع المخبِّب هي مشاعر سلبية في الغالب تتسم بالعدائية، أو القهر، أو الانتقام، أو العناد، أو الانفعال، أو الغضب.

٨. المخبِّب في الغالب لا يوسع مدارك الضحية، ولا يفتح لها آفاقَ جديدة لنطاق التفكير، إنما يستخدم أسلوبًا معاكسًا، وهو تضيق نطاق التفكير، ويعطي خيارات محدودة تدور في فلك واحد، وهو الطلاق، أو الهروب من مواجهة المشكلة.

٩. يستخدم المخبِّب أسلوب العدسة المكبرة مع الضحية؛ وذلك من خلال التنقيب عن السلبيات بين السطور، وتصيد الزلات، ومن ثم تضخيمها، وفي المقابل تهميش الحسنات والإيجابيات وإغفالها جميعًا.

١٠. المخبِّب في تحليله للمشاكل والأحداث يتجه نحو التفكير المتطرف؛ فهو يميل إلى النقد والتحليل السلبي للمواقف والأحداث، وسوء الظن والتشكيك. مثال: أنت متأكدة أن زوجك يتأخر في العمل، أم أنه متزوج عليك بالسر ويكذب.

١١. المُخبِب غالباً ما يتكلم عن إنجازاته وحسناته، ويبرز مواقفه الإيجابية بشكل مبالغ فيه وكأنه مُنزّه عن الخطأ.

١٢. المُخبِب عندما يتكلم عن ذاته يمدح، وعندما يتكلم عن الطرف الآخر فإنه يقدح. مثال: يقول المُخبِب: أنا أحترم حرية المرأة، أنا أدعم عمل المرأة وسفرها مع صديقاتها، فهذه حرية شخصية، أنا أقدّر مشاعر المرأة.

١٣. المُخبِب يمارس غالباً أسلوب المقارنات الشكلية والنفسية الظالمة، فيثير مشاعر الغيرة والحسد والحسرة والحرمان لدى الضحية. مثال: أنتِ أجمل منه وألف رجل يتمناكِ. أنتَ لم تجد سوى هذه الزوجة، أنتَ صاحب منصب وألف زوجة تتمنى أن ترتبط بك. من شكلكما يظهر أنكما غير متوافقين وغير منسجمين.

١٤. المُخبِب يجعل الضحية تركز على المفقود، بدلاً من التركيز على الموجود من النعم أو المتع أو الحسنات الموجودة في شريك الحياة. مثال: لماذا زوجك لا يسافر بكم إلى أوروبا بدلاً من ذهابكم إلى العمرة كل سنة.

١٥. المخبِّب غالباً ما يكون حديثه حول الحاجات النفسية والشهوات التي يكون لها أثر لحظي مؤقت قصير المدى، مثل: الحرية، والمتعة، والراحة، والقوة، والمال، والجمال. وفي المقابل يتكتم ويحارب ويقلل من شأن الأحكام الشرعية، والأخلاق السامية، والقيم المجتمعية، والأعراف الاجتماعية، مثل: الصبر، احتساب الأجر، الطاعة، الإحسان في المعاملة وعدم مقابلة السوء بالسوء، التسامح والعفو عن الزلات، الرضا والقناعة، الشكر وكلمة المعروف والتقدير.

١٦. المخبِّب غالباً ما يزرع في نفس الضحية صفة الأنانية؛ وذلك من خلال التأكيد والتركيز على حقوق ومستحقات الضحية فحسب، مثل: (النفقة للزوجة)، أو (القوامة للزوج). ولا يلفت انتباهه إلى الواجبات المفروضة عليه، مثل: (الطاعة الواجبة على الزوجة)، أو (المسؤولية والرعاية والاهتمام الواجب على الزوج).

رابعاً: نماذج واقعية للتخبيب

تتنوع صور التخبيب وأساليبه، فمنها المباشر وغير المباشر، ومنها اللفظي وغير اللفظي، ومنها ما يكون مغلفًا بغلاف الدين، أو يكون مغلفًا بغلاف الحرية وحب الذات. وبصرف النظر عن الوسيلة أو الطريقة التي استخدمت للتخبيب فإن العبرة بالآثار والنتائج المدمرة للتخبيب. وهنا لا بد أن نستعرض لكم مجموعة من الأمثلة الواقعية ونماذج للتخبيب من واقع الحياة العملية في أروقة المحاكم، ومجالس الصلح، والاستشارات الأسرية:

١. إثارة المسائل الشرعية الخلافية أمام العامة:

ومن الأمثلة على ذلك موضوع (خدمة المرأة لزوجها في منزل الزوجية). إن قضية خدمة الزوجة لزوجها: هل هي واجبة شرعاً أم أنها من قبيل الإحسان والعشرة بالمعروف وغير ملزمة بها؛ مسألة تطرَّق لها العلماء في كتب الفقه، وهناك خلاف فيها بين الفقهاء. وما هو متفق عليه بين الفقهاء أن المرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها، ومن صور هذه الرعاية خدمة الزوج والأبناء بالمعروف. وهذا الدور قامت به خيرة نساء العالمين زوجات النبي صلوات ربي وسلامه عليه، والصحابيات الجليلات رضوان الله عنهن، ولم يعترض عليه أحد، ولم يختلف عليه أحد، ولكن بعض ممن يحبّ أن تشيع الفاحشة والعداوة والبغضاء بين الناس يتعمد إثارة مثل هذه المسائل الخلافية بين العامة، وهذا من أهمّ صور التخبيب البارزة التي تسببت في إحداث خلافات بين الأزواج، ومن ثَمَّ فليس من الحكمة ولا من المصلحة أن يتم مناقشة مثل هذه المسائل على القنوات الفضائية وبرامج التواصل الاجتماعي بحجة تجديد الخطاب الديني أو تعليم الناس أمر دينهم.

وقد روى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود أنه قال: (ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة). ومن آداب الكلام أنّ الإنسان إذا كلّم قوماً فإنه يبتغي درجة من الكلام تبلغها عقولهم ويفهمونها، ولا يخاطبهم بالصعب الذي لا يدركون معناه، ولا بغريب الكلام الذي لا يفهمونه. وحتى إذا انتقى أشياء من العلم فإنه ينتقي الأشياء الأساسية الواضحة السهلة التي تتقبل،

ويترك الأشياء التي قد ينفر منها الناس لغرابتها عندهم، مع أنها قد تكون من الدين، لكن إذا أدّى عرضها إلى تكذيب الله ورسوله، كما يفعل بعض العامة إذا عُرِض عليه شيء غريب جداً قالوا: هذا ليس حديثاً، ولا يمكن أن يقول النبي عليه الصلاة والسلام كلاماً مثل هذا، فيؤدي به إلى تكذيب الله ورسوله؛ فعليه أن يجتنبها. ولذلك قَالَ عَلِيٌّ -كما روى البخاري تعليقاً-: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟).

٢. معالجة المشاكل الزوجية على برامج التواصل الاجتماعي:

مما عمت به البلوى في هذه الأيام؛ وسائل التواصل الاجتماعي، ومحركات البحث التي باتت المرجع الرئيس والأول لبعض الناس في معظم شؤون حياتهم، وقد لوحظ في الآونة الأخيرة قيام عامة الناس فضلاً عن خاصتهم ممن يدّعي اشتغاله بالشأن الأسري بطرح بعض المشاكل والخلافات الأسرية الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، ويطلب من المتابعين التعليق على المشكلة وطرح الحلول المناسبة لهذه الحالة، فتنهمر عليه جملة من الردود والحلول والمناقشات لتلك الحالة المعروضة، وربما لا يعلق عليها، ومن هذه فإن هذه الردود وتلك المناقشات ستكون مرجعاً يعود إليه الناس إذا صادفتهم مشكلة مماثلة. وهذا لا شك في أنه من التخبيب "فليس كل ما يعلم يقال"، "ولكل مقام مقال". فهذه الحالات تحتاج إلى أن تدرس وتعالج سِرًّا من قبل شخص متخصص، وليس على الملأ أمام مرأى عامة الناس ومسمعهم.

٣. النكت والتعليقات والصور والأمثال الشعبية:

أ. الفكاهة (النكتة):

أشرنا آنفًا إلى أن التخبيب قد يكون من خلال صورة أو كلام غير مباشر، ولكنه يؤثر بشكل سلبي في مجرى الحياة الزوجية. ومن صور التخبيب غير اللفظي وغير المباشر؛ الفكاهة، أو كما يطلق عليها (النكتة)، وهي نوع من أنواع الأدب الشعبي تحكي قصة صغيرة أو موقفًا بغرض التأثير في المتلقي وجعله يضحك. وهي وسيلة للتعبير عن الأفكار أو المشاعر التي عادة ما تكون ذات طبيعة مؤلمة بصورة مزاحية تعطي البهجة للآخرين. ومن الأمثلة على هذه النكت:

- "دخلت امرأة على زوجها وهو يُقلب عقد الزواج فسألته: عمَّ تبحث؟ قال لها: عن تاريخ انتهاء عقد الزواج".

- "قال رجل لصديقه: إنني على خلاف مع زوجتي، وقد حلفت ألّا تكلمني شهراً. فسأله صديقه: هل أنت متضايق من ذلك؟ فرد عليه "لا، ولكن قارب الشهر على الانتهاء".

- "امرأة تبكي بحرقة بجانب جنازة زوجها سُئلت: لهذه الدرجة تحبينه وحزينة على فراقه؟ فقالت: لا، ولكن سمعت أن الميت يتعذب ببكاء أهله عليه".

ب. الأمثال الشعبية:

ومن الطرق غير المباشرة كذلك في التخبيب "الأمثال الشعبية"، وهي جمل قصيرة بليغة متوارثة عبر الأجيال، سهلة الانتشار، وسريعة التداول، جاءت تعبيرًا عن تجربة محددة، وتستعمل عند وقوع تجارب أو مواقف مماثلة للتجربة الأصلية.

إلا أن بعض هذا الأمثال لها تأثير سلبي في العلاقة الزوجية على المدى البعيد كونها ترسخ أفكارًا ومعتقدات سلبية عن الزواج، وهي غير قابلة للنقاش أو الانتقاد؛ لأنها جاءت من الموروث الشعبي، وتحولت إلى حكمة أو قاعدة تتمتع بالقداسة أو الثقة، وهي في حقيقة الأمر خرافات لا أساس لها من الصحة كونها تعبر عن تجارب وأفكار فردية.

ومن أمثلة تلك الأمثال الشعبية المتعلقة بالحياة الزوجية، والتي قد تحمل أفكارًا مغلوطة، وتولد مشاعر سلبية يكون لها نتائج وخيمة على العلاقة الزوجية:

- الحب حديقة مزهرة، والزواج حقل شائك.
- الحب بستان يضحك بالزهور، والزواج سجن نهايته القبور.
- طليقك لا ترديه، وعشيقك لا تأخذيه.
- الزواج أوله عسل، وتاليه بصل.
- الزواج أوله تدليل، وآخره تذليل.
- الزواج هو الشر الوحيد الذي يبحث عنه الإنسان.

٤. المصالح الشخصية:

مصائب قوم عند قوم فوائد" هذه مقولة مشتهرة في كتب الأدب والحكم، وهي تقال لمن يعيش ويقتات على مشاكل الناس، هناك مِهَنٌ تتسم بالنزاهة والسمو والرفعة كونها تساهم بشكل أو بآخر في تحقيق العدل، والكف عن الظلم، ونصرة المظلوم، ورد الحقوق لأصحابها، ومن جملة هذه المهن مهنة المحاماة التي تعرف بأنها مهنة العظماء، إلا أن بعض المنتسبين لهذه المهنة الرفيعة أساؤوا لها؛ وذلك من خلال الممارسات المشينة والنظرة المادية التي طمست على أعين وقلوب البعض منهم.

ومن خلال واقع الحال هناك حالات تم التعامل معها كان المحامي - رجلًا كان أو امرأة- هو العنصر المؤثر والسبب في إفساد العلاقة الزوجية، وكان هو بمنزلة خيط الدمى الخفي الذي يحرك الزوجة تجاه طلب الطلاق للضرر، مستغلًا بذلك ما في القانون من ثغرات ومسالك، حيث وعد الزوجة بأن حياتها بعد الطلاق سوف تكون أفضل؛ وذلك أنها سوف تحصل على حقوقها المادية من ذلك الزوج، مثل: مؤخر الصداق، ونفقة العدة، ومتعة الطلاق - إذا ثبت الضرر- وسائق خاص، وسيارة خاصة، وخادمة، ومسكن للحضانة، ومبلغ نفقة الأبناء المحضونين، وكسوة العيدين، ومبلغ لتأثيث المنزل، وتذاكر سفر للأبناء.... وقائمة الأماني والأحلام تطول، ليس هذا فحسب، بل هناك حقوق معنوية سوف تحصل عليها، وهي: الحرية وعدم وجود رجل متحكم في حياتها، منزل مستقل بعيد عن سلطة الزوج وعن سلطة الأهل، إمكانية السفر مع الصديقات دون الحاجة لموافقة الزوج، الخروج والدخول من المنزل في أي وقت دون حسيب ولا رقيب... وللأسف الشديد كم سمعت آهات وتأوهات الندم من الذين اغتروا بمثل هذه الأماني الزائفة بعد حدوث الطلاق وتحقق المراد، فالذي خلق الأنفس هو أعلم بها وبما يحقق لها سعادتها، فقد قال تعالى: {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أزواجا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**}[الروم:٢١]، فسكينة النفس لا تكون إلا في ظل وجود حياة زوجية قائمة، ونتيجة هذه المساكنة التي تتطلّب من الزوجين بذل الجهد بالتغافل والتغاضي والتعايش والتقبل؛ تكون المودة والرحمة التي تحدث بينهما بعد طول العشرة.

٥. الأبناء محرضون على الطلاق:

قال تعالى في كتابه العزيز: {**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أزواجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**}[التغابن:١٤].

وقفت على حالات تقدمت فيها الزوجة بطلب الطلاق من الزوج بعد زواج استمر سنوات طويلة بعضها تجاوز الأربعين سنة وأكثر، وعند الاستماع للزوجة كانت تأتي بقصص ومواقف وأحداث منذ بداية الحياة الزوجية ليس لها وجود الآن، ولكن آثارها النفسية باقية، وبعد طول بحث واستماع للأطراف وتأمل في هذه الحالات ظهر لي أن العنصر النشط والمحرض هو أحد الأبناء. والأسباب متنوعة في مثل هذه الحالات، منها:

- الرغبة في التخلص من قيود الأب، والحصول على الحرية.
- التعاطف مع الأم، ومحاولة تقديم الدعم لها، وحل المشكلة بطريقة مغلوطة.
- قلة الوعي، وقلة الخبرة في التعامل مع مشاكل الحياة، والسعي للبحث عن الحلول السريعة.
- الانتقام من الأب، ولا سيما إذا كان متزوجًا بأكثر من امرأة ولديه أبناء، وكذلك إذا كان أبًا شديدًا أو مقصرًا في التربية.
- استغلال مشاكل الوالدين ولا سيما معاناة الأم أو ضعف شخصيتها؛ لتحقيق مصالح شخصية، مثل الحصول على مسكن مستقل ونفقة، والتخلص من ولاية الأب على أبنائه عن طريق إثبات حضانة الأبناء للأم.
- بعض الأمهات تلعب دور الضحية عند الأبناء، فيحدث الابتزاز العاطفي، ويعتقد الأبناء أنهم بذلك يقدمون البر للأم على حساب والدهم.
- الجهل بمفهوم بر الوالدين، والبعد عن الله وعدم الخوف منه في مراعاة حق الوالدين.

٦. الأفكار الهدّامة:

خلق الله سبحانه وتعالى حواء من ضلع آدم، ولم يخلقها من طين كما خلق آدم لحكمة بالغة؛ وذلك حتى تكون بينهم الألفة والمودة؛ فالإنسان بطبعه يألف كل قريب، وينفر من كل غريب، كما هو الحال في محبة الأم لابنها الذي خرج من بطنها، فإن محبتها له فطرية، وكذلك حتى يدرك كل منهم أنه بحاجة للآخر؛ فالرجل بلا امرأة ناقص؛ لذلك فهو يبحث عن شريكة حياة تكمل له نصف دينه، وتزيّن له حياته، والمرأة بلا رجل في حياتها ضعيفة؛ لذلك فهي تبحث عن رجل تتقوى به، وتستظل بظله، وتشعر بالأمان بين جناحيه. إلا أن أعداء الفطرة السوية وجند إبليس أبوا إلا أن تكون هناك نزعة عدائية، وصراع بين الرجال والنساء؛ لذلك ظهر مؤخراً من يردد شعارات مثل "المجتمع الذكوري"، ويطالب بسيادة فكرة النسوية القائمة على المساواة الظالمة بين الرجل والمرأة في كل شيء.

ومن الحالات التي وقفت عليها في مجالس الصلح أن ابنة تطلب إلغاء الولاية الشرعية لوالدها عليها؛ لأنها بلغت السن القانونية (١٨) سنة، ولأنها تؤمن بالحرية، وباتت مسؤولة عن نفسها، وليست بحاجة لرجل (أب) يمارس عليها دور الولي الشرعي. والعجيب أنها في الوقت ذاته كانت تطالب والدها أن يخصص لها مبلغًا خاصًّا - نفقة شهرية - عن طريق المحكمة، وأن تسكن في بيته، ولكن من دون أن تكون له ولاية عليها!؟ فهي تريد حرية مطلقة في حياتها الشخصية، وفي الوقت نفسه تطلب أن يكون والدها مسؤولًا عنها مادياً، فهو كالمصرف الممول فحسب.

٧. بعض دورات تطوير الذات:

لا ننكر أن بعض دورات تطوير الذات وتنمية المهارات الشخصية لها أثر إيجابي في الأفراد، ولكن المشكلة عندما تتحول بعض هذه الدورات أو بعض المراكز التي تقدم مثل هذه البرامج إلى معاول هدم؛ وذلك أن بعض المدربين والقائمين على هذه البرامج ليسوا أصحاب اختصاص في حل الخلافات الأسرية، وكذلك بعض هذه البرامج التدريبية التي تعرض للناس وجرى إعدادها بشكل فردي، ومن ثَمَّ فإنها لا تخضع لمعايير أكاديمية أو علمية دقيقة، بالإضافة إلى أن هذه البرامج لا تميز بين فئات المتدربين، علاوة على أن التدريب يكون جماعيًّا دون قياس لحاجة المتدرب، أو قياس لمستوى المتدرب. وهنا تحدث الطامة الكبرى؛ ذلك أن عقول الناس متفاوتة، ومن ثَمَّ فإن طرق الاستيعاب والتفكير والتحليل متباينة، فكم هي حالات الطلاق التي وقعت بسبب سوء فهم أو ضعف استيعاب لقاعدة أو نظرية تلقّاها المتدرب وتعلمها من هذه الدورات وطبقها في حياته الشخصية من دون إدراك لعواقبها.

ومن أمثلة ذلك: زوجة كانت تمر بفترة عصيبة مع زوجها الذي أهملها بسبب انشغاله في العمل، وقد تعرفت على أحد المراكز التدريبية، وباتت تحضر هذه الدورات والبرامج التي لها أثر سحري مؤقت في حياة الفرد وسلوكه. وفي أحد هذه البرامج تحدث المدرب عن العلاقات المسمومة، وأن هذا النوع من العلاقات إذا لم يتخلص منها الإنسان فإنه يضر نفسه: "العلاقات المسمومة إما الهلاك أو الفكاك"؛ فكانت نتيجة تلك الكلمات أنها تقدمت بطلب الخلع من زوجها الذي كان يدفع لها قيمة الاشتراك في هذه الدورات التدريبية. والأمثلة والشواهد على ذلك كثيرة ولا يتسع المقام لذكرها.

٨. الانحرافات الجنسية:

من الحالات التي وقفت عليها في مجالس الصلح بين الأزواج أن هناك حالات تخبيب بين النساء بسبب علاقات غرامية شاذة بينهن، وتطورت الحالة إلى ممارسة الفاحشة (السحاق) مع بعضهن، ونتيجة لتلك الانحرافات السلوكية والنفسية وقع التخبيب من قبل المرأة المتسلطة التي تمثل دور المهيمن. ولتستمر مثل هذه العلاقة المنحرفة سعت إلى إفساد العلاقة الزوجية حتى يخلو لها الجو في العلاقة الشاذة المحرمة.

المراجع

- ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين.
- ابن تيمية، الفتاوى الكبرى.
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري.
- ابن منظور، لسان العرب
- الموسوعة الفقهية الكويتية
- حسن بن سالم البريكي، الاستشارة الأسرية: أهميتها وضوابطها الشرعية.
- عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
- علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين.
- فهد بن صالح اللحيدان، تخبيب الزوجة وآثاره: دراسة فقهية مقارنة.
- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.
- منصور بن يونس البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع.

دوافع التخبيب وأسبابه

أ. خديجه بافقيه

لابد أن نوضح جوهر التخبيب والفرق بينه وبين وسائل الإرشاد الأخرى. وكما تبين من الفصول السابقة ماهية التخبيب وصوره فمن المفيد جداً للمرشد الأسري أن يعي جيداً الدوافع النفسية وراء السلوك التخبيبي (أي لماذا يسلك المُخبِب هذا السلوك مما يفسد علاقة الزوجين أو الشريكين؟) – كيف نكتشف المُخبِبين، وما الفرق بينهم وبين الناصحين. سنستعرض نماذج متصورة ونماذج واقعية تبين للمرشد الأسري إلى أي درجه يفسد هؤلاء المُخبِبون علاقة الأزواج ويكونون سبباً في دمار حياتهم؟

دوافع السلوك الانساني:

الدافع: هو كل ما يدفع إلى السلوك، ذهنياً كان هذا السلوك أم حركيا. لا سلوك بدون دافع فهو وثيق الصلة بعمليات الانتباه، والإدراك، والتذكر، والتخيل، والتفكير، والابتكار، والتعلم..... كما أنه يمس موضوعات الإرادة والضمير وتكوين الشخصية بطريقة مباشره. ولئن أُحبطت دوافع الفرد أي حيل بينها وبين التعبير عن نفسها بصورة موصولة اهتزت صحته النفسية أو اضطربت.

ولمعرفة دوافع سلوك التخبيب أهمية كبيرة عند المرشدين الأسريين الذين يمارسون الإرشاد والإصلاح بين الزوجين بشكل احترافي. خصوصاً من تصلهم استشارات اتخاذ القرار في الطلاق أو إنهاء العلاقة الزوجية أو حتى المقبلين والمقبلات على الزواج في مرحلة الملكة أو العقد (قبل الدخول) حيث إنه كثيراً ما ترد إلى المرشد الأسري استشارات يكمن في جوهرها دوافع خفية لتخريب وإفساد العلاقة بين الزوجين، ولكون كلا الزوجين أو أحدهما غير واعٍ باحتياجاته النفسية نراه قد وقع فريسة سهلة لمخبب بشكل، أو بآخر، قد يكون أحد أفراد أسرته أو أصدقائه أو للأسف مرشداً غير متخصص مما يخرب حياته الزوجية.

لذا كان من المفيد جداً أن يعي المرشد وكذلك المسترشد أن لكل سلوك دافعًا، وأن الحاجة هي الدافع للسلوك وقد بحث علماء النفس والاجتماع في الدوافع والحاجات الإنسانية، وأهمهم (ما سلو) و(وليام جلاسر).

ما هو الدافع؟

(حالة داخلية، جسمية أو نفسيّة تثير السلوك في ظروف معينه، وتستمر حتى ينتهي إلى غاية معينه) الجائع أو العطشان يظل يبحث عما يسكن جوعه أو يروي عطشه ويستمر إحساسه بالحاجة إلى أن يحقق ما يريده. لذا يعرف الدافع أحياناً بأنه "حالة من التوتر تثير السلوك ويستمر حتى يخف هذا التوتر أو يزول فيستعيد الفرد توازنه ".

"والدافع اصطلاح عام شامل تحتوي اللغة على ألفاظ كثيرة تحمل معناه الإجمالي، لكن علم النفس يحاول التمييز بين بعضها وبعض، منها: الحاجة، الحافز، الباعث الميل، النزعة، الرغبة، العاطفة، الاتجاه، الغرض، القصد، الإرادة."

الدافع حافز وغاية

وله وجهان فهو قوة موجهة ومُحركة للسلوك بنفس الوقت. الحافز هو الوجه الداخلي للدافع والغاية هي الوجه الخارجي للدافع وإن حاول المرشد الأسري أن يطبق هذا المفهوم في قضايا التخبيب ودوافعه فإن له العديد من الدوافع منها الظاهري ومنها الخفي، على النحو الآتي:

الدافع الظاهري:

الذي نجده متمثلا في الفعل أو الكلام المباشر من المُخبِب مما يثير حفيظة الفريسة (زوجاً أو زوجة) بذكر صفات أو أفعال لا يرتضيها الطرف الآخر "قد تشمل رأيا أو وصفا" وقد يستعين هذا المُخبِب بأمثله سلوكية كي يقنعه بوجهة نظره المفسدة للحياة الزوجية وتخريب العلاقة.

الدافع الخفي:

نجده في سلوكيات إيحائية ناتجة عن خلل نفسي غير مدرك من قبل المخبب وهذا يقودنا إلى سؤال مهم (ما الدافع النفسي وراء ذلك؟)، يريد هذا المُخبِب بشكل مباشر أو غير مباشر وفي كثير من الأحيان يكون ذلك متعمداً أن يحقق حاجة القوة التي افتقدها ولا يدرك وسيلة لتحقيقها سوى ادعاء النصح المبطن بالحسد والغيرة والكراهية.

الحاجة النفسية: هي كل حالة من النقص والافتقار أو الاضطراب الجسمي أو النفسي، إن لم تلق إشباعا عند الفرد أثارت نوعاً من التوتر والضيق يزول متى ما تحقق إشباع الحاجة نفسها. وأنَّ الحاجة النفسية تتطلب تحقيقاً وإشباعاً ليتوازن صاحبها ويعيش مستقرا نفسياً، وهذا هو الأساس السليم، أما حاجة المُخبِب لتحقيق القوة من خلال سلوكه التخريبي فهي انحراف سلوكي لا توافقي. أي أنه لا يحقق الاتزان النفسي الحقيقي أو الصحي السليم، بل ظناً منه ذلك ويستمر اضطرابه النفسي لافتقاده للوعي بفداحة السلوك التخريبي وآثاره على الآخر.

على المرشد الأسري أن يعي ذلك جيداً ويناقش هذه المفاهيم في جلسته الإرشادية ليصل بالمسترشد إلى حالة الاستقرار النفسي ويساعده على التخلص من الافكار المدمرة لعلاقته الزوجية والتي انغرست في عقله من خلال كلام مخبب جاهل أو حاقد.

على المرشد الأسري أن يعي أن هناك نوعين من الحاجات:

١- العضوية كالحاجة للطعام والحاجة للجنس والحاجة إلى النشاط، أو الراحة وغير ذلك.

٢- والنفسية مثل الحاجة للحب والانتماء والحاجة للأمن والحاجة للحرية، والحاجة للمكانة، والقوة، والحاجة للعمل، والترفيه.

وعندما تستثار كل هذه الحاجات، فإنها تحرك الدافع المرتبط بها فينشط الإنسان لإشباع هذه الحاجة، عن طريق الوصول إلى الهدف الذي هو موضوع الحاجة، فحاجات الإنسان هي دوافع للسلوك وإن نظرية العلاج بالواقع ترى أن الدافعية لدى الإنسان تتمثل في خمس حاجات أساسية هي: حاجات البقاء، الحاجة إلى الانتماء، الحاجة إلى القوة. الحاجة إلى الحرية ثم الحاجة إلى الترويح. وفي إطار الحاجة إلى القوة والحاجة إلى الانتماء تركز نظرية العلاج بالواقع على حاجتين تراهما في منتهى الأهمية، الحاجة إلى المحبة، والحاجة إلى أهمية الذات والجدارة بالاحترام.

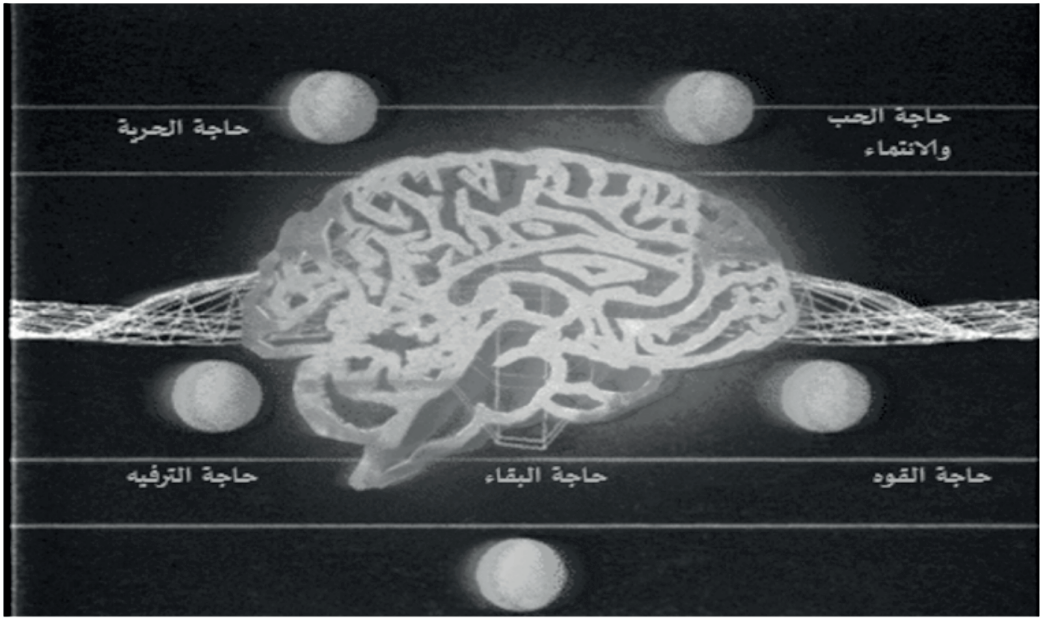

الحاجات الانسانية وفق نظرية الاختيار والعلاج الواقعي: تصميم الكاتبة

هناك نقطتان تتصلان بالحاجة إلى الأهمية الذاتية (الإحساس بالجدارة بالاحترام):

النقطة الأولى: أن هذه الحاجة لا يمكن أن يحصل عليها الفرد بواسطة الآخرين، وإنما يحصل عليها من خلال سلوكه الذي يفي بالمعايير المقبولة اجتماعيا والمعايير الشخصية الداخلية. وكذلك بمواجهة المشكلات والتعامل الصحيح معها، فكل ذلك يتحقق معه التقييم الإيجابي للذات، ويكتسب الإحساس بالإنجاز والرضا والأهمية.

النقطة الثانية: إن هذه الحاجة تتطلب أن يحكم الفرد على سلوكه حكماً إيجابياً، أي أن ينظر إلى سلوكه على أنه إيجابي من منظور معايير أخلاقية، باعتبار أن هذه المعايير جوانب هامه للصحة النفسية. ما يخص الحاجة إلى الحرية فإن الحرية هي انتفاء القيود وهذا الانتفاء هو شيء نسبي وليس على الإطلاق. والإنسان بطبيعته لا يريد العيش دونما حرية ولا يمكن أن يعيش مغلولاً بالقيود. الحرية كذلك مرتبطة بحرية الفكر والحركة والتنقل والتعبير عن الرأي. وكل الناس تحارب لأجل حرياتهم.

أما ما يخص الأزواج فإن الصراعات تقوم بين الزوجين غالباً بسبب نقص الحاجة للحرية. قد ينهي الزوج حياته الزوجية أو يتمرد عليها إن حاصرته الزوجة بالقيود وكذلك هي قد ترى في الارتباط الزواجي بعض القيود على حريتها. كما لوحظ أن البعض من الرجال والنساء على السواء يعتقدون بأن أحد طرفي الزواج. إذا قدّم مزيداً من الحرية للطرف الاخر، فسوف يفقده لكن الحقيقة أيضا هي أن أحد الطرفين إذا قيد حرية الآخر وفرض عليه إجراءات السيطرة فإنه سوف يفقده.

لذلك نجد أن من وقع فريسة التخبيب هو بالأصل شخص لا يعي ماهي حاجاته النفسية ولا كيفية إشباعها. كما أن المُخبِب سلك هذا السلوك ظنّاً منه أن هذا مشبع لحاجة القوة والسيطرة والبعض يتسلى بهذه السلوكيات لإشباع حاجة المتعة والترفيه.

وقد يواجه المرشد الأسري حالات من التخبيب ناتجة عن ممارسات الزوجين كليهما أو أحدهما لسلوكيات سلبية تظهر العديد من المشكلات بينهما منها الانحرافات السلوكية أو العنف مما يؤدي إلى اضطراب الحياة الزوجية. ويترك أحدهما أو كلاهما لأطراف خارجية حرية التدخل سواء من الأهل أو الأصدقاء، والدافع هنا (الرغبة في استقرار الحياة بينهما أو الخلاص منها) بعض الأهل يتدخلون بشكل سافر يؤدي إلى طلب الخلع للزوجة أو الطلاق من الزوج... فالبعض وللدوافع التي تم توضيحها سابقاً يمارس التخبيب.

وهنا نصل إلى **النوع الاجتماعي أو الثقافي للتخبيب:**

الرغبة في السيطرة الأسرية من قبل أهل الزوج أو أهل الزوجة كعادة أو قيمة سلوكية متوارثة اجتماعية ظنّاً منهم أن حياة أبنائهم أو بناتهم لا تستقر إلا تحت توجيههم وإشرافهم، تمارس من خلالها سلوكيات لغرس قيم وعادات اجتماعية ترسخ هذا الدافع. ولعل تغير شكل الأسرة في المجتمعات العربية من ممتدة إلى نووية قلص من هذا الدافع وأبعد الزوجين عن تدخلات الأهل إلى حد ما، غير أن الأزواج الواعين هم من يستطيعون وضع الحواجز أمام تدخل الآخرين سواء أهل أو أصدقاء أو زملاء عمل أو حتى مرشدين غير متخصصين. لعل أول مخبب هو الشخص الذي يتحدث عن نفسه ويقارنها بالآخرين مما يضعف ثقته بنفسه ويجعل حياته مكشوفة لمن لا أمان لهم.

الفرق بين التخبيب ووسائل الإرشاد الأخرى

التخبيب كما تم توضيحه هو فعل أو سلوك يتم به إفساد الزوجة على زوجها أو الزوج على زوجته مما يخرب الحياة الزوجية، وهو فعل محرم، وله أنواع قد تمّ شرحها في الفصول السابقة منها ما هو بالقول أو الفعل أو بالإيحاء. قد يكون الشخص نفسه مُخبباً لنفسه أو فتح باب التخبيب للغير عند حديثه عن مشكلته الزوجية لمن لا يؤمن جانبه، أو لمن هو غير متخصص.

لقد تطورت العلوم الاجتماعية بشكل ملحوظ لذوي المعرفة والاختصاص والممارسين النفسيين والاجتماعيين والتربويين والمتخصصين في علوم الاجتماع والانثروبولوجيا (علم الإنسان) وعلم النفس بكل فروعه من تربوي واجتماعي وثقافي وتعددت التخصصات العيادية لعلوم النفس العيادي والسلوكي والتوجيه والإصلاح، والإرشاد الأسري، والعلاج الزواجي، والسلوكي. كما تعددت النظريات العلاجية منها السلوكية والواقعية والتحليلية وجميعها تطرقت للمشكلات السلوكية، والأسرية والتربوية والزوجية، وعلى ممارسي الإرشاد الأسري استقاء المعرفة المتخصصة قبل ممارستهم للإرشاد الأسري، كما أنه من المهم جداً اتباع منهج إرشادي متخصص ومعتمد.

لقد أصبح مجال الإرشاد الاجتماعي والنفسي من التخصصات الهامة في حياة الإنسان المعاصر وذلك لازدياد حاجة هذا الإنسان لمن يأخذ بيده ويساعده على حل المشكلات، حيث تزايدت حِدّة الضغوط النفسية والمشكلات النفسية والاجتماعية والتطورات في وسائل التواصل الاجتماعي الإلكترونية، كذلك ظهرت الحاجة إلى خدمات الإرشاد النفسي مع تزايد الانفجار المعرفي والتقدم التكنولوجي والتطور الحضاري، وما صاحب ذلك من تغيرات سريعة وعميقة أدت إلى اختلاف أساليب الحياة التي يعيشها الفرد وتعدد وسائط التنشئة الاجتماعية التي تُسهم في تنشئته عبر مراحل نموه المختلفة، وقد صاحب هذا بالضرورة تعدّد الالتزامات المفروضة على الفرد وتنوع أساليب إشباعها، ثم تعقد وسائل التوافق التي يجب على الفرد تعلّمها، فزادت أعباء الفرد النفسيّة والانفعالية والعقلية، وبدت الحاجة مُلحّة إلى الإرشاد الأسري، والنفسي والاجتماعي باعتبارهما خدمة ضرورية تُسهم في تخفيف حِدّة هذه الأعباء، وتساعد في فهم الفرد لنفسه وتحقيق سبل تكيفه.

نتيجة للتغيرات الهائلة التي تعرّضت لها المجتمعات الإنسانية في عصرنا الحاضر والتي شملت جوانب الحياة المختلفة كالاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية التي تواجه الفرد، بدأت المجتمعات المتقدمة بتقديم خدمات نفسيّة وإرشادية تهدف إلى مساعدة الإنسان في حل مشكلاته النفسية والاجتماعية بأساليب علمية، وقد أصبح توفر مثل هذه الخدمات مؤشراً على تقدم المجتمع ورقية واهتمامه بالإنسان.

والإرشاد الأسري والنفسي والاجتماعي مصطلح مركب يتضمن الكثير من المصطلحات التي تندرج تحت هذا المفهوم، كلاهما يوحي بأنه عملية متخصصة تأخذ مراحل إرشادية منظمة، ويشتمل على المساعدة الإرشادية التي يقدمها (مرشد) مؤهل لشخص يحتاج هذه المساعدة (مسترشد) في إطار علاقة إرشادية تتسم بالمهنية والإنسانية لتحقيق أهداف عامة، وأهداف خاصة، تقدم بمستويات نمائية ووقائية وعلاجية، يتم فيها إكساب (المسترشد) وتعليمه وتنمية قدراته لمواجهة المشكلات.

ويقوم الإرشاد الأسري على نظريات علمية تساعد في فهم وتفسير السلوك والتعرف على أسباب المشكلات واختيار الأساليب الإرشادية المناسبة للتعامل مع المشكلات. ويضاف إلى الأسس النظرية والخبرة العملية (الحس الإرشادي) واللمسة الإنسانية كفيلة بأن تجعل العمل الإرشادي يقدم في أرقى صوره وأنقى مظهر.

لقد أخذت عملية الإرشاد تتطور في فنياتها وأساليبها وأدواتها ومحتوياتها من عصر لآخر، لتلبي حاجة الإنسان في كل زمان، متأثرة بفكر المجتمع وثقافته، وفي الوقت المعاصر أصبح الإرشاد علماً قائماً بذاته يستمد تطبيقاته من الثقافة الإنسانية وأصبحت البرامج الإرشادية أداة فعّالة في عمليات تنمية السلوك وتعديله.

مفهوم العملية الإرشادية كوسيلة نصح:

هناك العديد من التعريفات التي زخرت بها الأعمال العلمية للباحثين في المجال الإرشادي ومهما اختلفت هذه التعريفات في ألفاظها وطريقة التعبير عن مضمون عملية الإرشاد إلاَّ أنها تتفق في أن العملية الإرشادية عملية مخططة تهدف إلى إكساب الفرد القدرة على التكيف وتحقيق الصحة النفسية، وتحقيق الذات وامتلاك أكبر قدرٍ من المرونة النفسية التي تضمن للفرد القدرة على التوافق مع الواقع والمشكلات والعوائق التي تقف في طريق نموه النفسي السليم واستقراره الأسري.

إن من يقوم بعملية الإرشاد والتوجيه كوسيلة إصلاح بين الزوجين لتلافي آثار التخبيب فهو يهدف إلى مساعدة الفرد لكي يفهم ذاته ويدرس شخصيته ويعرف خبراته ويحدد مشكلاته وينمي إمكاناته ويحل مشكلاته في ضوء معرفته ورغبته وتعليمه وتدريبه لكي يصل إلى تحديد وتحقق أهدافه وتحقيق الصحة النفسية والتوافق شخصياً وأسرياً.

إن من يمارس التخبيب يظهر جلياً للواعيين وتنكشف نواياه، متى كانوا مدركين لاحتياجاتهم النفسية والزوجية والأسرية وقادرين على إشباعها بالمشاركة مع طرف العلاقة، ويؤدي المرشد المتخصص دوراً هاماً في هذا السياق لأن الإرشاد في صميمه عملية تعليمية تقوم على نظريات ومبادئ التعلم وأن غاية الإرشاد هو تعديل السلوك ليصبح متوافقاً مع المتطلبات الاجتماعية الحالية والمستقبلية من خلال علاقة تتألف من مرشدٍ وهو الشخص الذي أُحسن إعداده وتدريبه على طرائق وأساليب الإرشاد النفسي والاجتماعي والتربوي التي تدرب عليها الدارسون للإرشاد الأسري والزوجي ومسترشد. فالإرشاد عملية نفسيّة يستطيع الفرد من خلالها تحقيق مرحلة متقدمة من الكفاءة الذاتية، بهدف إجراء تغيير ذاتي للفرد لمساعدة نفسه بنفسه.

كيف نفرق بين الناصح العادي والمرشد المتخصص

يفرّق المختصون في الإرشاد الأسري بين مفهوم كل من النصيحة والإرشاد باعتبارهما الأدوات المستخدمة في العلاج والإرشاد. فالنصيحة في تراثنا الثقافي تقتصر دلالتها على جانب محدود من الإرشاد محكوم بعقل الناصح وخبرته الشخصية دون منهجية علميّة، أما التوجيه والإرشاد والعلاج الأسري أو النفسي فهو محكوم بنظريات مثبته وتجارب ومقاييس علمية محكمه، قد تكون النصيحة جيده ولها نتيجة إيجابية للمنصوح، ولكن في المجمل وفي حالات التخبيب هي مفسده للعلاقات.

إن الإرشاد الأسري الممنهج لا يهدف فقط إلى مساعدة الفرد على اتخاذ القرار الصحيح فقط، بل إنه يهدف أيضًا إلى مساعدة الفرد على اتخاذ القرار الصحيح وبطريقة موضوعية سليمة لتدعيم ذاته، كما يهدف الإرشاد إلى زيادة كفاءة توظيف المعلومات المسترشد حتى يستطيع التكيف مع ما يستقبله من معلومات جديدة بهدف تقليل اعتماده على المرشد.

على المرشد الذي يمارس الإرشاد الأسري، ومن يعمل مع الحالات الزوجية التي تواجه الطلاق لأسباب التخبيب من المفسدين أن يعي أن الزوجين لهما أهداف هامة يرغبون في تحقيقها وهي:

أولاً: تحقيق الذات

يأتي تحقيق الذات في أعلى هرم الحاجات الإنسانية لدى كل الأسوياء، ويعني تكوين هوية ناجحة عن الذات والرغبة في التميز اجتماعياً ومهنياً، وعندما يحقق الفرد ذاته المثالية يكون قد حقق أقصى هدفٍ يسعى إليه، ويسعى الإرشاد إلى الوصول بالفرد لهذه الدرجة من خلال تبصيره بقدراته وميوله واتجاهاته.

ثانياً: تحقيق التوافق

التوافق يعني قدرة الفرد على القيام بوظائفه النفسية المختلفة والتوفيق بين دوافعه ونزعاته الداخلية ورغباته. وبين متطلبات محيطه وبيئته وهنا، يبرز دور الإرشاد في مساعدة الفرد في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي والأسري والمهني والتربوي، فالتعديل والتغيير يكون في البيئة أو في البناء النفسي والسلوك حتى يحدث التوافق بين الفرد وبيئته، ويقوم المرشد بمساعدة المسترشد على تغيير وتعديل سلوكياته، لتتواءم مع متطلبات بيئته، أو تغيير وتعديل في شروط البيئة المحيطة لتتناسب مع الأبنية المعرفية لدى الفرد.

ثالثاً: تحقيق الصحة النفسية

يرتبط مفهوم الصحة النفسية كهدف من أهداف الإرشاد بمساعدة المسترشد في التعرف على أسباب المشكلات وأعراضها وإزالة الأسباب والأعراض، والسبيل إلى تحقيق الصحة النفسية هو تقبل الذات والثقة بالنفس وتقبل الواقع وتكوين اتجاهات إيجابية نحو الذات ونحو الآخرين والقدرة على تحمل المسئولية والتفاعل الإيجابي مع الآخرين والاستمتاع بالحياة وتوسيع دائرة الميول والاتجاهات والاهتمامات وتنمية المهارات الاجتماعية وتحقيق الاتزان الانفعالي وإشباع الحاجات النفسية لدى الفرد مثل الحاجة إلى الانتماء والتقدير الاجتماعي وغيرها، والتغلب على العقبات التي تعوق إشباع الحاجات.

رابعاً: إكساب الفرد مهارة الضبط والتوجيه الذاتي:

وتعني الوصول بالفرد المسترشد إلى درجة من الوعي بذاته وإمكانياته وفهمه لظروفه ومحيطه فهما أقرب للواقع حيث يكون الكائن البشري في بداية حياته متمتعاً بمركز ضبط خارجي لسلوكياته، و ينتقل تدريجياً بفعل التربية والتنشئة والتوجيه والإرشاد إلى مركز الضبط الداخلي، فيتحكم في سلوكياته

ويضبطها برغبة داخلية ومراقبة ذاتية دون تردد أو خوف من قانون أو سلطة، ومن جهة ثانية يستطيع الفرد مواجهة مشكلاته المستقبلية دون الاعتماد على الآخرين أو اللجوء إليهم فيعمل على نقل أثر التعلم لمهارة الضبط والتوجيه الذاتي التي تلقاها ونماها من خلال خدمات الإرشاد والتوجيه إلى ممارسة سلوكية في حياته العامة، إذ يقوم المرشد بإكساب المسترشد هذه المهارة فيساعده على فهم نفسه وإمكاناته وظروفه فهماً واقعياً، ويبني أهدافاً وطموحات واقعية، يكون في مقدوره تحقيقها، فيؤدي الوصول إليها إلى الشعور بالرضا والسعادة وتحقيق الاتزان النفسي والجسمي.

خامساً: مساعدة المسترشد على صناعة القرار:

يمر الفرد في حياته بسلسلة من المواقف والخبرات وحاجة ملحة لاتخاذ قرارات متباينة ومتدرجة في شدتها وخطورتها واتخاذ القرار هو مهارة يجب أن يتدرب عليها الفرد منذ صغره في شؤونه الخاصة البسيطة حتى يكتسبها في كبره في شؤونه الخاصة الكبيرة والحاسمة في حياته كالقرار الزواجي أو القرار المهني وما شابه ذلك، لهذا فهو يحتاج إلى تعلم إجراءات واتخاذ القرارات وصنعها.

سادساً: توعية المسترشد بالتفكير والسلوك الإيجابي:

الإيجابية كمفهوم هي اقتناع عقلي ودافع نفسي، والسعادة هي أعلى درجات الإيجابية وتتمثل في إيجابية الفرد نحو نفسه وفي تفاعل الفرد مع المجتمع. وإن من الإيجابية أن تكون إيجابيًا في أفكارك ومشاعرك وسلوكياتك مع الآخرين.

على المرشد الذي يعالج مشكلات التخبيب في العلاقات الزوجية أن يوضح ويدرب المسترشدين على عدد من المهارات لتكوين الفكر والسلوك الإيجابي في حياتهم الزوجية عامة، ومن هذه المهارات:

- السيطرة: أن تكون مسئولاً عما تفعله وعن نتائج ما تفعله.
- الكفاءة: أن تعرف عملك وتتقن تنفيذ وتعتمد الكفاءة على التركيز على شيء واحد.
- التناغم، وآلية التناغم مع صورتك الذاتية. البعض يرى نفسه بشكل محدد في دماغه. كل ما كانت الصورة بعيدة عن وضعك الحالي تقل الطاقة عندك. التزم بأهدافك للوصول إلى صورتك الذاتية. ارسم لنفسك صورة ذاتية منطقية لتصل إليها بسهوله.
- الاهتمام بالذات: اهتم بالمشاعر والصحة، والأكل واهتم بالنوم.

- التواصل مع الآخرين: اختيار الناس السويين ولهذا عدة معايير. الأفكار المشتركة. الاهتمام المتبادل. والثالثة هي القدرة على النمو فيما أُحب وأرغب من أمور.
- الرغبة في التغيير: تغير إيجابياً. **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** عند الرغبة في التغيير مهم أن أسال بماذا سيفيدني هذا التغيير؟
- وجود تحدٍ في حياتي يجعلني إيجابياً. ارتفاع هرمون السعادة الادرينالين الذي يعزز شعور التحدي وأصبح سعيداً أكثر.
- الإبداع: لدى الإيجابيين القدرة على الابداع والذي يُعبر عنه بالعمل الجاد والالتزام.
- الارتباط بأهداف سامية: يعزز الكثير من المشاعر الإيجابية.
- التأمل في جمال الكون يعطي طاقه إيجابية.

كذلك تدريبهم على طرق إيجابية يتفادون بها مواقف التخبيب.

- عدم المقارنة مع الآخرين لأن المقارنة تعزز الشعور بالنقص.
- تثقيف النفس والتعلم الذاتي.
- عش اللحظة واترك التعلق بالماضي أو التفكير بالمستقبل.
- جاور من يفتحون في روحك جوانب خضراء وتذكر لا يمكن تحقيق النجاح فقط بمراقبة الناجحين، بل عليك أن تفكر وتخطط لما يمكن فعله والأهم أن تفعل ما خططت له.
- ترسيخ مفهوم هام أن السلوك مسؤولية فردية.

أسباب عامه لسلوك التخبيب:

هناك العديد من الأسباب والتي أدت إلى انتشار ظاهرة التخبيب في مجتمعنا الخليجي والسعودي ولندرة الدراسات حول هذه الظاهرة فإن الجزم بهذه الأسباب ما هو إلا من خلال الواقع الملموس في مراكز الإرشاد الأسري والنفسي، ومن هذه الأسباب:

- نقص الوازع الديني عند المُخبِبين.
- الهشاشة النفسية، أو فقد تقدير الذات أو ضعفه لدى الأزواج مما يجعلهم غير قادرين على احتواء مشكلاتهم.

- افتقاد الأزواج للعديد من المهارات الحياتية مثل الحوار الزوجي والتواصل وإدارة الضغوط النفسية مما يجعلهم غير قادرين على التعامل مع بعضهم ومواجهة مشكلاتهم.
- عدم القدرة لدى الزوجين على اتخاذ القرار أو صناعته مما يعرضهم للتخبيب.
- الجهل بثقافة الاستشارة المتخصصة مما يجعل الكثير من الأزواج عرضة لأفكار غير المتخصصين من الأهل أو الأصدقاء فيقعون فريسة لنصائح فاسدة.
- الجهل بالفوارق الثقافية بين النصيحة والتخبيب وهذا يقع فيه الأزواج وكذلك يمارسه المُخبِبون دون وعي بما يقولون ظناً منهم أنهم يقدمون النصيحة أو الحماية.
- عدم التحاق الأزواج ببرامج تأهيل المقبلين والمقبلات على الزواج وغيرها من البرامج التي تؤهلهم لحياة زوجية مستقرة.
- عدم الوعي بآثار التخبيب وأنه مدمَّر للحياة الزوجية والأسرية.
- عدم ثقة طرفي العلاقة الزوجية أو أحدهما بنفسه مما يضعف تقدير الذات عنده ويجعله عرضة للمخببين من الأصدقاء وحتى من الأهل.
- وجود المرشدين غير المتخصصين وممارستهم للتخبيب دون إدراك بعواقبه حيث يشجع البعض على الطلاق أو الاستقلالية الزوجية.
- تأثر البعض بمواقع التواصل الاجتماعي وبعض مشاهيرها الذين يستعرضون حياة أسرية غير واقعية مما يجعل البعض من الأزواج عرضة للتخبيب غير المباشر، وهذه قضية مرتبطة بندرة الوعي الذاتي عند الأزواج أنفسهم.
- نقص الوعي المجتمعي بشكل عام بأهمية المحافظة على الأسرة والزواج خصوصاً في فئة الشباب (20-30 سنه)
- جهل البعض بقانون وعقوبة التخبيب وبالمسؤولية الجنائية للتخبيب.
- الجهل بمكونات العلاقة الإنسانية السوية مما يعرض بعض المسترشدات للوقوع فريسة بعض المرشدين المُخبِبين الذي يستغل موقعه المهني ويسيء إلى ميثاق المرشد الأسري ويعبث بمشاعر المسترشدة المكلومة، أو من هي في وضع نفسي زوجي متأزم.

وهنا يظهر لنا سؤال مهم جداً يحتاج أن يجيب عليه المرشد الفطن فيما يخص العلاقة الزوجية الوشيكة على الانهيار والتي يلعب فيها دوراً مهنياً هاماً في النصح والإرشاد.

السؤال: كيف نتجاوز أذى الأزواج وما الذي يمكن أن تفعله تجاه ما يصدر منهم من سلوكيات عنف أو معاملة جارحة؟

الجواب: التأكيد (للمسترشد/ المسترشدة) أنه أنت المسؤول عن حماية ذاتك ولست مسئولاً عن تغيير الآخر، كل موقف هو فرصه للتعلم والخيار لك، إما أن تسمح لمفردات الموقف من كلمات جارحة أو معاملة قاسية أن تؤذيك فتؤلمك، وإما أن ترفع أسوارك (النفسية والاجتماعية)، وتثق بذاتك فما يقوله عنك ليس بالضرورة أن يمثلك إنما هو تعبير عن وجهة نظره هو، وقد تجدها فرصة لمراجعة ذاتك فإن وجدت فيما يقال شيء من الصحة، صححت مساراتك وازددت ثقة بذاتك. وبذلك فأنت تزيد من طاقتك الاستيعابية ومن طاقة التحمل والاحتواء.

إن الدعوة إلى احتواء العلاقات مقدم على إقصائها (الاحتواء أن تصبر على الأذى)، هذا المعنى للاحتواء، موافقًا لقوله تعالى **(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)**، فكظم الغيظ هو حبس النفس عن الانتقام، والعفو عن الآخر هو قبوله كما هو والقاعدة التي يُبنى عليها هذا القبول هي التصالح مع الذات حفاظاً على السلام الداخلي، صورته الدفع بالتي هي أحسن حتى لا يبقى لذلك الجرح أثر. قال تعالى: {**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**} (فصلت ٣٤ - ٣٥)

نماذج متصوره عن التخبيب:

١. زوجه في بداية حياتها الزوجية تزوجت من رجل متزوج وله أبناء، ولميل شقيقته للزوجة الأولى، تسمع الزوجة الأخيرة عبارات جارحة، مثل: (أخي ليس بعادل) (أنتِ ليس لك كرامه.. كيف تسمحين له أن يعاملك بهذه الطريقة. الخ). إن ما تمارسه أخت الزوج هي سلوكيات مفسده للعلاقة بين زوجين إذ طالما لم تشتك الزوجة مما تلمح إليه الأخت فهي راضية ومتفهمة والأخت هنا مُخببة شعرت أم لم تشعر. إن دور المرشد هنا أن ينبه الزوجة في حال الاستشارة أن الأثر إذا بقي في النفس فهو عائد إليها وإلى تقبلها له. هي هنا قادرة على الوعي بما تريده من استقرار ونجاح لحياتها الزوجية بعيداً عن كلام وتخبيب أخت الزوج.

٢. الزوجة في بيت أهلها غاضبة من تسلط زوجها ومعاملته غير العادلة، وتأتي شقيقة الزوجة برؤيا (تفيد بسوء العلاقة بين هؤلاء الزوجين وتدهورها) ولثقة الزوجة برؤيا شقيقتها تتأثر بشكل تدريجي مما يجعلها تسارع في اتخاذ قرار طلب الطلاق. في مثل هذ الحالة أخت الزوجة سلكت سلوك المُخبِبين إذ سردها الرؤيا أمام أختها المتضررة من معاملة الزوج مما أدى إلى تفاقم المشكلة.

٣. زوجان سعيدان في حياتهما مع بعض الفوارق في الاهتمامات العلمية والعملية وهما في بداية حياتهما الزوجية. تأتي الزوجة إلى مقر عملها متذمرة وكاشفة ردود فعل زوجها الصباحية لتأخيرها في الاستيقاظ، وهو الذي يقوم بتوصيلها إلى مقر عملها وتبدأ ساعات عملها قبله لأنها في مجال التعليم وهو موظف في شركة. تلاحظ زميلتها هذا الوضع وتبدأ بالتعليق. لماذا لا يستيقظ قبلك ويحضر الفطور؟ لم تسمحي له بتعكير مزاجك الصباحي؟ وغير ذلك. هذه الزميلة تمارس التخبيب بشكل مباشر والزوجة تخزن ملاحظاتها وبشكل مستمر إلى أن يصل الأمر مع الزوج لخلاف كبير. عندما يسمح الإنسان للآخرين بالتدخل في حياته فهو هنا لا يعالج المشكلة الموقفية بل يخلق مشكلة دائمة مع التراكمات اليومية فتتفاقم المشاعر السلبية خصوصاً عندما ينعدم الحوار الزوجي الفعال دون لوم أو نقد أو تذمر.

٤. ما يبث في مواقع التواصل الاجتماعي (سناب شات) (تويتر) وغيرها مثل (فيس بوك أو الإنستغرام) من استعراض لمواقف حياتية بين الأزواج أو غيرهم من المشاهير الذين يمارسون دور المصلحين الاجتماعيين أو النفسيين وهم غير متخصص، أو من هم كذلك لكنهم واقعان تحت سيطرة الأفكار النسويّة أو المضللة. ومن الأمثلة على ذلك: رحلات السفر والاستمتاع بين الزوجين واستعراض المنزل وترتيبه والهدايا بين الزوجين مما يثير البعض من ضعيفات الشخصية تحديدا، وغير المقدرات لظروف الزوج المادية مما يخلق المشكلات الموقفية وهذا تخبيب غير مباشر.

نماذج من واقع الاستشارات الواردة لمكاتب الاستشارات الأسرية:

- سيدة وأم وزوجه في الخمسينات من عمرها وزوجها يكبرها بسنوات قليله تشكو من تغير معاملة زوجها لها ورغبته في الزواج من أخرى صغيرة (في عمر بناته) والزوجة غير قادرة على تقبل فكرة التعدد وهي جميله ومتعلمة ومحافظة على بيتها وزوجها وعيالها (هذا ما تقوله الزوجة المسترشدة. (إن تزوجها سأطلب الطلاق وأعيش في بيتي ولن أسمح لها أن تعيش معي) هذا قول المسترشدة الغاضبة. بعد التحقق من عوامل المشكلة تبين تدخل صديق الزوج كسبب دافع للزواج الثاني حيث يشكو الزوج من التهاب في الخصيتين وأن الزواج الثاني هو العلاج، هذه حالة واقعية تفيد بالتخبيب غير المباشر حيث إن الزوجة وأولادها لم يصبحوا قادرين على إقناع الزوج بالعدول عن فكرة الزواج الثاني.

ما دور المرشد/ المرشدة في مثل هذه الحالة؟

يعمل المرشد/ المرشدة مع الزوجة ومعرفة ماذا تريد؟ وكيف تحققه؟ وماذا فعلت لتحقيقه؟ ثم تعمل على تقييم الأفعال والسلوكيات السابقة والحالية وإعداد خطة مهنية كي تتعامل الزوجة مع نفسها لتقبل واقعها أو اتخاذ قرار لا تهدم فيه بيتها. وهنا لفتة مهمة وهي أنه قد يمارس (المرشد/ المرشدة) المخبب دوره بالتحريض على ترك الحياة الزوجية أو تحريضها على عدم القيام بمسؤوليات الزوج لتبرهن على غضبها منه غير واعيين كلاهما بأن هذا هو طريق الطلاق الفعلي للأسف.

- حالة الزوجة المتمردة:

سيدة تبلغ ٥٥ عاما وزوجها ٥٧ عاماً، متزوجة منذ ٣٠ عاماً متقاعده منذ سنتين، لها العديد من الأبناء والبنات وتعيش حياة زوجية وأسرية مستقرة نوعاً ما، مع بعض المشكلات الحياتية اليومية الناتجة عن التغيرات المجتمعية الحاصلة في المجتمع، ترغب الزوجة في قيادة السيارة باستقلالية والدخول والخروج وفقاً لمتطلبات الحياة لإيصال أولادها الصغار إلى المدارس ولقضاء احتياجاتها المنزلية والتسوق وزيارة أهلها وصديقاتها فقط داخل المدينة، هذا ما طلبته من زوجها الذي لم يوافق على مبدأ أن تسوق بل لأنه قد قام بتأمين سيارة عائلية وسائق ولسنوات فهو يرفض ذلك. لم توفق الزوجة إلى إقناع الزوج بطلبها وأخذت تنثر أحاديثها ومشاعرها أمام اهلها وصديقاتها.. دب الخلاف بين الزوجين وبشكل مستمر.

من معطيات المواقف اليومية ما سردته الزوجة عن صديقة لها تعمل وتسوق السيارة وتتفسح مع صديقاتها وتخرج للمقاهي والمطاعم بحرية كامله وزوجها لا يعترض وهي ليست أقل منها وأنها سيدة محافظة وهدفها أن تعيش واقع حرية المرأة وقيادة السيارة، ومن أقوال الصديقات لها: لك الحرية أن تسوقي وعندك المال الكافي لشراء سيارة باسمك ولن يستطيع الزوج أن يقف في وجهك وإن أصر على الرفض فلا تستسلمي له واخرجي غاضبة واذهبي إلى اهلك، حتى يستسلم أمام الأمر الواقع.

الزوجة هنا مدفوعة بالرغبة الشديدة لتحقيق حاجة الحرية والقوة التي تشعر أنها غير مُلباة بسبب تعنت الزوج ورفضه وأنها بحاجة أن تحقق ذاتها الجديدة المتطورة – كما تتوقع - مثل صديقاتها. قد تسلك بعض الصديقات سلوك المُخبِبات لأنهن أفسدن فعلياً علاقة الزوجة بزوجها، بل وحتى أسرتها لخروجها دون علم الزوج.

- حالة عبر مجموعة تطبيق دردشة الهاتف (واتس اب):

طرحت سيدة مشكلتها في (مجموعة الجارات) بالواتس التي تشمل عدداً من صديقات الدراسة والقريبات. محور المشكلة سوء معاملة الزوج وتسلطه عليها ورغبته في أن تترك عملها لتتفرغ لبيتها وواجباتها الزوجية. بدأ البعض منهن في ذكر إيجابية البقاء في المنزل وأهميتها كأم وزوجة. وبدأ أخريات في ذكر صفات أزواجهن ورغبتهن في السفر أو التسوق بحرية وغير ذلك. البعض تذكر تسلط الزوج وعنفه والبعض أنه حنون لكن بخيل...الخ

الزوجة هنا دخلت في دوامة لأنها تريد الاستقلال المادي والحرية الشخصية من خلال العمل وأنه عمل مفيد للمجتمع. إحدى المشاركات ذكرت أن زوجها هو الأسد وأخرى هو الضبع اللئيم وأخرى إنه ثعلب وهكذا تدور الحوارات بينهن كل يصف زوجه.

هذه – للأسف – إحدى صيغ الحوارات الإلكترونية التي تدمر الأسر، ولكن من فتح لهؤلاء النسوة باب الحديث والنقد والذم؟ لم تستفد صاحبة المشكلة إلا الوساوس والتحريض على الزوج، وكان من المهم أن تناقش الزوج وتحاوره بنفسها لتصل إلى حل وسط يرضي الطرفين ويساعد في استقرار الأسرة.

- من الصيغ المنتشرة في تطبيق(تويتر)طرح المشكلات الزوجية في مواقع الكترونية عامة ويدخلها مختلف فئات الناس مما يجعل البعض يفتي بما لا يفقه ويجعلها عرضة لاستظراف البعض وتنمر الآخرين البعض يتجاوز الحدود إلى محاولة التواصل وبدء علاقات مشبوهة.

المراجع

- أبو سعد، مصطفى (٢٠١٨) أسرار العلاقات الزوجية السعيدة، الكويت
- الحليبي، خالد، محاضره عن دوافع التخبيب، https://youtu.be/jVuBkgP-JmM
- الرشيدي، بشير (٢٠٠٢) نظرية الاختيار وتطبيقاتها في علم النفس. دار العلم للنشر.
- الرشيدي، بشير (٢٠١٤) الإرشاد النفسي وفق نظرية الاختيار. انجاز العالمية للنشر، الكويت
- الرشيدي، بشير (٢٠١٧) التعامل مع الذات. انجاز العالمية للنشر والتوزيع، الكويت
- السمالوطي، نبيل (١٩٨٠) بناء المجتمع الاسلامي ونظمه. دار الشروق. جده
- الشرقاوي، مصطفى (١٩٨٣) علم الصحة النفسية.
- دعبول، دبشر (٢٠١٦) غراس الامل. دار الفكر، دمشق
- دمنهوري، رشاد وآخرون (١٩٩٧) المدخل إلى علم النفس العام. مكتبة دار زهران.
- راجح، أحمد عزت (٢٠٠١) أصول علم النفس.
- مداح، ظلال وآخرون (٢٠١٠) التوجيه والإرشاد النفسي. مكتبة الرشد. الرياض
- يونس، الفاروق (١٩٧٨) الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي.
- يونس، انتصار (١٩٧٣) السلوك الإنساني.

الفصل الخامس

الآثار المتوقعة من التخبيب على الزوجين

د. خالد بن حمد الرشيد

الآثار المتوقعة من التخبيب على الزوجين

د. خالد الرشيد

التخبيب معصية شرعية، وجريمة قانونية، وعادة سلوكية ممقوتة، واعتداء على الحقوق الإنسانية المحفوظة. ومما يساعد على تصور الأثر الخطير الذي يحدثه التخبيب على أطراف العلاقة، وعلى المُخبِب نفسه، وعلى المجتمع.. مما يساعد في ذلك هو معرفة الآثار التي تنتج بسبب التخبيب سواء أكانت نتائج مباشرة، أم بعيدة الأمد. وفي أحيان كثيرة لا تكون هذه الآثار هي نتاج التخبيب وحده لا غير، بل إنها نتاج سلوك فردي وشخصية إنسانية، وتفكير جمعي، وثقافة اجتماعية، ويكون للتخبيب دور في زيادتها ومضاعفتها، فلسنا نقول إن الآثار التي سيرد ذكرها بعد قليل هي ناتجة عن التخبيب وحده، وإنما للتخبيب دور كبير فيها. وبسبب هذه الآثار وغيرها، يتضح لكل عاقل وكل مسؤول وكل من له عناية بالأسرة والعلاقات الاجتماعية. أن التخبيب ظاهرة تستحق الدراسة والبحث، وتحتاج إلى توعية مجتمعية نظراً لوجود عدد من الناس وخاصة الأقارب يمارسون التخبيب وهم لا يقصدون ذلك. كما تؤكد هذه الآثار أن التخبيب خطيئة بشرية وعادة سيئة وسلوك مشين تجب محاربته، والتصدي له، لأنه سرطان خفي للعلاقات الإنسانية. وفيما يلي عدد من هذه الآثار والتي لا يُقصد بها الحصر، وإنما هي توضيح لآثار هذه الظاهرة على الفرد والمجتمع كي ينتبه لها كل عاقل وكل مسؤول وكل زوج وزوجة، وغيرهم، ليحذروها، ويحْذَرُوا أهلها، ويُحذِّروا منها، ويساهموا في القضاء عليها وتحجيم أثرها. وإلى بعض هذه الآثار التي قسمتها تحت عناوين رئيسة:

الآثار الشرعية:

١) الوقوع في معصية الله تعالى، وحصول الإثم، فمن أسوء آثار التخبيب على المُخبِب أنه معصية لله، فهو محرم شرعاً، وإثم كبير ومستدر لغضب لله، ومخالف لأمر الله ورسوله. وصف رسول الله عليه الصلاة والسلام فاعله وحذره بوعيد كبير فقال "ليس منا"، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال "ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده" رواه ابو داود والنسائي وأحمد والبيهقي وصححه الألباني. وعدّه بعض أهل العلم من الكبائر، حيث أورده ابن حجر الهيتمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر فقال: "الكبيرة السابعة والثامنة والخمسون بعد المائتين: تخبيب المرأة على زوجها: أي إفسادها عليه، والزوج على زوجته"، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى: "فسعي الرجل في التفريق بين المرأة وزوجها من الذنوب الشديدة، وهو من فعل السحرة، وهو من أعظم فعل الشياطين"، فمن فعل التخبيب بأي نوع من أنواعه، فقد وقع فيما حرم الله تعالى وعرض نفسه للإثم وغضب الله.

٢) الوقوع في النميمة المحرمة، ولحوق الوعيد الشديد بعدم دخول الجنة، لأن التخبيب صورة من صور النميمة، وهو أحد تطبيقاتها العملية الموجهة للعلاقة بين اثنين، فالمُخبِب ينم بين الزوج وزوجته، مفسداً العلاقة بينهما. فالتخبيب يدفع بصاحبه إلى النميمة ولا شك. والنميمة من كبائر الذنوب، توعد الله صاحبها بعدم دخول الجنة، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل الجنة نمَّام" رواه مسلم. فويل للمخبب من جريرة النميمة أيا كان موقعه، أباً، أو صديقاً، أو مستشاراً، أو محامياً، أو قريباً. ولو تأمل المُخبِب خطورة الجرم الذي يدفعه لها تخبيبه لعلم أنه يمارس كبيرة تجر كبائر من ورائها، فلا يخلو المُخبِب من النميمة، والحسد، والحقد، وكلها ظلمات بعضها فوق بعض.

٣) التخبيب مضاد لمقاصد الشريعة، فإذا كان الله تعالى شرع الشرائع لمقاصد عظمى وغايات أسمى ولتحقيق المصالح ودرء المفاسد، فإن التخبيب يقوض مقاصد الشريعة، ومنها تحقيق الأخوة والألفة والاجتماع بين الناس، وإشاعة الحب والمودة والترابط بينهم. هذه المقاصد التي أمر الله بها وحث عليها، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم" رواه مسلم. كما حذَّر الله سبحانه من المساس بها ومنع من الاقتراب منها، وأوقف كل سلوك يهددها، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه" رواه مسلم. فاذا كان الشارع يحث على المحبة والتآلف والتقارب في المجتمع ويمنع كل سبب لإشاعة الكراهية والعداوة والبغضاء، فإن التخبيب على النقيض من ذلك تماما فإنه يقضي على المحبة والألفة ينشر البغضاء والعداوة والشحناء.

٤) الإفساد في الأرض، فالتخبيب أحد صور الإفساد في الأرض والله تعالى لا يحب المفسدين، وينهى عن الفساد في الأرض، قال تعالى ﴿**وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: ٧٧]، فالتخبيب إفساد للعلاقة بين الزوجين، وهدم لكيان الأسرة التي هي وحدة التركيب الاجتماعي في المجتمع، فالمجتمعات إنما تقوم على الأسرة، ونجاح الأسرة بدورها هو نجاح وقوة للمجتمع، وخلخلة الأسرة وإنهاكها هو خلخلة وإفساد للمجتمع بأسره، فأي فساد أكبر من تقويض العلاقات الأسرية، التي يقوم عليها قوة المجتمع وتلاحمه، وأي شتات أكبر من تشتيت الأسر وأفرادها زوجاً وزوجة وأبناء، وأي هدم أعظم من هدم أسرة تمارس أدوارها وتحمي أفرادها وتربي أبناءها وترفف في جنباتها المحبة. وهل المجتمع إلا كيانات صغيرة تسمى الأسرة، فإذا زالت هذه الكيانات، أو زالت وظائفها زال المجتمع وضعف دوره. فالتخبيب هو معول من أسوء وأنكى معاول الهدم الاجتماعي، كما أنه من أخفى وأسهل وأكثر وسائل الإفساد الأسري انتشارا.

٥) التشبه بالشيطان، فالتخبيب يقود صاحبه للتشبه بالشيطان في أفعاله وغاياته ومقاصده، فإذا كانت أقوى صور التخبيب هي التخبيب بين الزوجين، فإن هذه الصورة إحدى وظائف الشيطان ومقاصده،

فإفساد العلاقة بينهما من أعمال الشياطين والسحرة، الذين ورد ذمهم في كتاب الله ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٠٢]، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أخذل اليوم مسلماً ألبسه التاج، قال: فيجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى طلق امرأته، فيقول: أوشك أن يتزوج. ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى عق والديه، فيقول: يوشك أن يبرهما. ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى أشرك، فيقول: أنت أنت. ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى قتل. فيقول: أنت أنت، ويلبسه التاج" رواه المنذري وابن حبان والحاكم وصححه الألباني. والتخبيب إحدى تطبيقات التحريش بين الناس وهو دور شيطاني بامتياز، وفاعله متبع للمحرش الأكبر ابليس، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم" رواه مسلم. والمصيبة تعظم حين يكون المحرش شيطانا بلباس المرشد، أو المحامي، أو المصلح، أو المفكر، أو الكاتب.

٦) الوقوع في الظلم والاعتداء، فالتخبيب يحمل صاحبه على الظلم والاعتداء، ويعرضه لسوء عاقبة الظالمين في الدنيا والآخرة، فالتخبيب هو اعتداء على أطراف العلاقة الزوجية، وظلم لهم، وانتهاك لحقوقهم التي كفلها لها الشارع والقانون والعرف الاجتماعي بالعيش في حياة وعلاقة سعيدة وطيدة، وقد حرم الله الظلم ونهى عنه ﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [آل عمران: ٥٧، ٥٨]، عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا" رواه مسلم. وحرَّم الاعتداء على حقوق الناس ﴿**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٠]، وهذا يعرض الإنسان المتسبب في التخبيب بين الزوجين إلى حوبة الظلم وسوء عاقبته، وأقلها دعوة مظلوم انصبغت حياته بالتعاسة بسبب التخبيب. فليس بين دعوة المظلوم وبين الله حجاب.

٧) التخبيب حرب على الإصلاح، ومعاداة للتوفيق بين المتخاصمين، ومناقضة لمقصد الإصلاح بين الناس، فالله جل وعلا يحث على الإصلاح بين الناس، ويدعو إليه، ويرتب عليه الأجور العظيمة، لما فيه من الخير، ولما فيه من المصالح، وهو مقصد عظيم من مقاصد الدين قال تعالى {**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أو مَعْرُوفٍ أو إصلاح بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**} [النساء: ١١٤]، يقول ابن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض"، وقال تعالى {**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أو إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**} [النساء: ١٢٨] قال ابن سعدي رحمه الله في في تفسير هذه الآية: "ويؤخذ من عموم هذا اللفظ والمعنى أن الصلح بين مَن بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء أنه خير من استقصاء كل منهما على كل حقه، لما فيها من الإصلاح وبقاء الألفة والاتصاف بصفة السماح"، وأكد الشارع على أن إرادة الإصلاح بين الزوجين من أسباب التوفيق، قال تعالى {**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ اهله وَحَكَمًا مِنْ اهلهَا إِنْ يُرِيدَا إصلاحا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**} [النساء: ٣٥]. فإذا كان الله تعالى يحث على الإصلاح، ويجري عليه الأجر العظيم، فإن التخبيب عكسه ومضادة له، لذا فهو معارض لما يريده الله تعالى، ومناكف لما يحث عليه ربنا تعالى.

٨) المُخبِب يدعو الآخرين للوقوع في المعاصي، ويدفعهم للكبائر والإثم، فمن أضرار التخبيب الشرعية أن المُخبِب يدفع أطراف العلاقة أو أحدهما إلى الوقوع في المعاصي والكبائر والإثم الشرعي، فالمُخبِب الذي يُخبب المرأة على زوجها يدفعها لأن تطلب الطلاق من غير بأس ومن غير سبب وهذا محرم شرعاً، ففي أحيان كثيرة تكون المرأة لا تعاني من زوجها، وتعيش معه حياة زوجية لطيفة ومعقولة، يتخللها بعض الهفوات الصغيرة التي لا تعكر صفو الحياة، ولا تفكر بالطلاق ولا بالانفصال، إلى أن تتواصل مع المُخبِب، فيبدأ المُخبِب أو المُخبِبة بحثّ الزوجة على الانفصال كي تعيش في راحة بعيداً عن تحكم زوجها، وبعيداً عن مشاق الحياة الأسرية، ومكرراً لمفاهيم الإفساد العصرية، ويستمر في ضخ مفهوم الراحة والانفصال في قلب المرأة،

إلى أن تندفع تجاه زوجها طالبة الانفصال دون سبب مقبول شرعاً، وهذا الطلب للطلاق بدون سبب معصية من أعظم المعاصي فعن ثوبان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أيما امرأة سألت الطلاق من غير بأس، فحرام عليها رائحة الجنة" رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني.

٩) المُخبِب يدعو الآخرين إلى الاقتداء به في الإثم فيحمل أوزارهم، فإن من أسوأ الآثار التي يبوء بها المُخبِب الفكري هو اقتداء الناس وتأثرهم به وبحجم كبير، فالناشر لمفاهيم التخبيب، والمتحدث عن الموضوعات التي تدفع بأطراف العلاقة إلى التخبيب، والمهوّن والمسهّل على إنهاء العلاقات، عبر نشر حجج تجعل الناس يتجهون بتفكيرهم إلى إفساد العلاقة بدلاً من إصلاحها، هذا المُخبِب الناشر لهذا الفكر قد وقع في مصيبة شرعية عظمى وهي سنّهُ سنّةً سيئة في المجتمع، يبوء بإثمها، وإثم من تأثر بها، وإثم من نشر فكره من بعده، فمن قام بتكرار وإرسال أفكاره في وسائل التواصل الاجتماعي مع سرعتها وسهولته؛ فإن المُخبِب الأول يقع عليه إثم كل من قام بنقل هذه الأفكار الإفسادية، ومن قطع علاقته متأثرا بهذه الأفكار، وسيحمل وزرهم ووزر من تأثر به وبهم إلى يوم القيامة. وكفى بهذا خيبة وحسرة، وسوءً وخطورة. قال تعالى {**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**} [العنكبوت: ١٣]، وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" رواه مسلم. فهذه رسالة إلى كل من يخبب عبر الكتابة أو الرسالة، إن هذه الأفكار ستكون سلسلة من الوزر والإثم عليك إلى يوم القيامة، فكل من تأثر بها فنقلها، أو طبقها فعليك إثمه ووزره، وبئس المصير.

١٠) تسميم العقل الجمعي، وتلويث الفكر الاجتماعي، وهذا أحد الآثار الكبيرة للتخبيب الالكتروني، والتخبيب في الفضاء الافتراضي عبر وسائط التواصل الاجتماعي. وأظهرت دراسة ماجدة علوان (٢٠٢١م) على مجموعات التواصل الاجتماعي (الفيسبوك خصوصاً) في العراق عدداً من النتائج التي تؤكد انتشار ظاهرة التخبيب في المجتمع الافتراضي، حيث أظهرت الدراسة أن أكثر موضوعات التخبيب انتشاراً في مواقع التواصل الاجتماعي هي على الترتيب: الانتقاص من الطرف الآخر، التحريض على الخيانة، التحريض على

العنف، والتنصل من المسؤولية، الاستغناء عن الطرف الآخر، الانفصال، كما يزداد عدد منشورات التخبيب مع ازدياد عدد الأفراد المشتركين في المجموعة. وأوضحت أن معدل التعرض لمنشورات التخبيب هو ١٠ منشورات يومياً علماً أن هذه المجموعات المدروسة هي مجموعات اعتيادية وليست خاصة بالتخبيب أو التحريض، وتبين أن أكثر موضوعات التخبيب هي الموضوعات الموجهة للأسرة والحياة الزوجية. بينما لا يوجد تخبيب بين حبيبين إلا نادراً. وهذا يؤكد الأثر المتزايد للتخبيب الالكتروني عبر تناقل الأفكار والمقترحات والاغراءات الفكرية ضد الحياة الزوجية، مما يولد فكراً خفياً في المجتمع يقود ويؤثر على قرارات الأفراد المتزوجين وهم لا يشعرون. وإن الخطورة تكمن حين يكون المتحدث والناشر متخصصا أو مرشداً أسرياً، لأن حديثه سيكون محل الاهتمام لدى السامع والقارئ، لذا فعلى كل مرشد، أو مصلح أن يعتني بما يقول حتى لا يكون مخبباً الكترونياً وهو لا يشعر.

الآثار القانونية:

١) التخبيب جناية يستحق صاحبها التعزيز والعقوبة، لما فيها من الإفساد بين الناس، ولما فيه من الأذى والإضرار على الآخرين، والاعتداء على حقوقهم والظلم لهم. واختلف العلماء رحمهم الله في نوع التعزير، وإن كانوا متفقين على تعزيره لحرمة ما أتى به من الإفساد. فالمُخبِب بين الزوجين يعرض نفسه للعقوبة، فمن ثبت أنه خبب امرأة على زوجها بقصد إفساد العلاقة وليس إصلاحها فهو مخبب يستحق التعزير، وقد يقع بعض المرشدين أو المحامين في حبائل الشيطان، فبعد أن يستمع لقصة المرأة ويتضح له جزء من حياتها، حينها تزين لهم أنفسهم دفع المرأة للطلاق كي تنفصل ويتزوج هو بها دون تصريح منه بذلك، لكنه من حين أن يسمع بطلاقها يهرول إليها خاطباً، وهذا هو أسوأ أنواع التخبيب. ومن التعزيرات التي ذكرها العلماء للمُخبِب: الحبس، والضرب، وألا يُولى مسؤولية من مسؤوليات المسلمين. والمحاكم الشرعية في المملكة العربية السعودية توقع عقوبات متنوعة على من ثبت تخبيبه للزوجة على زوجها أيا كان، ويمكن للقارئ أن يطلع على بعضها في مجموعة الأحكام القضائية، أو بعض البحوث التي اعتنت بذلك مثل دراسة "تخبيب الزوجة وآثاره دراسة فقهية مقارنة تطبيقية قضائية".

٢) حرمة زواج المُخبِب بالمرأة التي خببها على زوجها، فمن الآثار القانونية الشرعية أن المرأة التي خببها شخص على زوجها، فإنها تحرم على المُخبِب فلا يستطيع الزواج بها بعد طلاقها وإفساد علاقتها مع زوجها الأول، واختلف العلماء في ذلك، فمنهم من يرى أن من أفسدها على زوجها كي يتزوجها فإنها تحرم عليه كالمالكية ورواية عند الحنابلة، وذلك معاملة له بنقيض قصده، وقال بعضهم أنها تحرم على التأبيد، وقال البعض الآخر أنها لو رجعت إلى زوجها ثم طلقها فإنها تحل للمخبب وهو المشهور في المالكية. ويرون أن التخبيب مفسد للنكاح سواء دخل بها المُخبِب أم لا. ومنهم من يرى أنها لا تحرم على من أفسدها والزواج صحيح لكنه أتى فعلاً شنيعاً كالحنفية والشافعية. والقاضي هو الفيصل في هذه المسألة. لكن المُخبِب يجب أن يمنع من الزواج بمن ثبت أنه خببها معاملة له بنقيض قصده.

الآثار النفسية:

١) التخبيب يتسبب في تسميم آليات التفكير في حل المشكلات لدى الطرف المقابل، وحرف مساره إلى مكان آخر، وإلى ما يسمى اللاعودة، والمثال التالي يوضح ذلك. تلتقي امرأة بصديقتها وتتبادلان أطراف الحديث، ثم تشتكي هذه المرأة لصديقتها بعض ما تواجه من مضايقات من زوجها، فتقوم الصديقة المُخبِبة بتغيير مسار المشكلة إلى قضايا أخرى، فبدلاً من طرح حلول عملية لهذه المضايقات موضوع النقاش، فإنها تبدأ بطرح أفكار سلبية ضد شخص الزوج، وبذلك تسمم تفكير هذه المرأة في حلها لمشكلتها، عبر نقل المشكلة من مواقف حياتية إلى شخص الزوج. ففي حين أن المرأة كانت تفكر بحل هذه المواقف التي هي المشكلة في ظنها، فإن صديقتها المُخبِبة جعلتها تحول المشكلة إلى الزوج بذاته وليس تعامله، أو سلوكه، وهذا بلا شك سيجعل هذه المرأة تنتقل إلى طرح حلول للقضاء على هذا الزوج المشكلة بدلاً من طرح حلول للمواقف الحياتية المشكلة. وهذا الأسلوب نوع من تسميم التفكير وحرف مساره. وهكذا تتشوش آليات التفكير لدى الفرد فلا يستطيع أن يخرج من الدوامة، ويصبح بحاجة ماسة إلى طرف عاقل يعيد مسار التفكير إلى وضعه الطبيعي. هذا الأسلوب في حرف التفكير يطيل أمد المشكلة، لأن المشكلة الحقيقية في مكان، والحلول التي تطرح في مكان آخر. وكم تعرض المسترشد، أو المسترشدة إلى تسميم التفكير وحرف مساره على يد أم أو أخت أو صديقة، وأحيانا على يد مستشار أو مصلح، ومن الأمثلة التي تحدث في ميدان الاستشارة أن تتصل

الزوجة شاكية من مشكلة صغيرة كتأخر الزوج عليها في بعض الليالي، فإذا بالمرشد يفتح لها سلبيات أخرى في الزوج كانت هي غافلة عنها، فبدلاً من علاج هذا المشكلة الصغيرة وإنهائها عادت الزوجة بعين كبيرة تجاه سلبيات كثيرة حول تعامل الزوج معها، وقد يكون المرشد لم يقصد التخبيب ولا الإفساد، وإنما أورد ذلك في معرض النصح. وهكذا انحرف مسار التفكير إلى قضايا أكبر، ومشاكل أعقد. التخبيب المقصود أو غير المقصود يفعل فعله القوي في طريقة تفكير الطرف الآخر.

٢) إيغار الصدور بالكراهية، فالمُخبِب يدفع أحد طرفي العلاقة أو كليهما إلى كره بعضهم، ويملأ قلوبهم كرها، والذي يتحول مع الوقت إلى بغضاء ثم عداوة، وهذا ليس له أثر سيء على إفساد العلاقة فقط، بل يتعداه إلى تسميم الصحة النفسية لدى الإنسان، ويجعله يعيش حياةً مملوءة بالكراهية تتعبه أكثر وتؤلمه أكثر، وتدفعه إلى التفكير السلبي الدائم في الطرف الآخر.وتعميق الانتقام لديه. هذه المشاعر من الكراهية والرغبة في الانتقام تفسد الحياة النفسية للمتعرض للتخبيب وتفسد حياة من حوله من الأقارب والأهل وتسبب لهم الأذى. ونشر الكراهية والانتقام بين الناس مع كونه محرمًا شرعا كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه" رواه مسلم، إلا أنه أيضا يسبب للإنسان ألما نفسياً وشعوراً بالتعاسة النفسية، وإحساسا بأن الطرف الآخر تسبب له في ذهاب سعادته، وإطفاء نور حياته، مما يوقد عنده مشاعر الانتقام والبغضاء، فضلاً عن وضع أرضية للأمراض النفسية.

٣) التخبيب كما أنه يفسد العلاقة، فإنه أيضا يهدر طاقة الانسان ويحيل حياة الذي وقع عليه التخبيب إلى ساحة حرب نفسيّة، تستهلك طاقة الإنسان في مشاعر سلبية، وتهدر موارده وقدراته في معركة ذاتية، يسحب فيها من هدوئه وطمأنينته وراحته. ليست الخسارة هنا علاقة اجتماعية تتصدع وتتحول إلى معركة بين اثنين، بل إنها أيضا خسارة نفسيّة يستمر فيها المتعرض للتخبيب في جرجرة الأفكار السيئة المتعبة، وتكرار الذكريات السلبية المحزنة، وهذا بدوره يهدر طاقة الإنسان وتفكيره ووقته وجهده عن العمل

والإنتاج، وعن التفكير الإيجابي. وتتحول حياته إلى تصفية حسابات وانتصار على الآخر. وكأنّ التخبيب يضع حياة الانسان العملية النافعة في حالة إسبات وتوقف مؤقت، تطول هذه الفترة وتقصر بحسب قوة العلاقة وعمقها وإمكانية الانفصال من عدمه، فالتخبيب بين رئيس العمل والموظف يمكن إنهاؤه بتغيير الموظف، لكن ماذا عن تخبيب الزوجة التي لديها خمسة أولاد كيف يمكن إنهاؤه بسرعة، كم يحتاج من الوقت كي ينهي آثار هذا التخبيب النفسية. في خلال هذه الفترة كلها كم سيهدر من وقت، وجهد، وتفكير، ومشاعر؟ ويشير تقرير معدلات الزواج والطلاق والقضايا الأسرية في السعودية لعام ٢٠٢٠ الصادر عن جمعية المودة للتنمية الأسرية في منطقة مكة المكرمة أن المشكلات الأسرية النفسية كانت هي الأعلى ورود اً على الجمعية من بين جميع المشكلات الأسرية الأخرى، مما يؤكد الأثر النفسي السلبي للخلافات الأسرية.

الآثار الاجتماعية:

١) الطلاق والانفصال، وهو أخطر الآثار التي تنتج عن التخبيب، بل هو الغاية الكبرى التي يسعى إليها المُخبِب. وفي الساحة المجتمعية المعاصرة أضحى التخبيب أحد أخطر وسائل الإفساد الأسري، وتفكيك الأسر، وإنهاء الحياة الزوجية، والمجتمع اليوم بإحصاءاته خير شاهد، فمع انتشار موجات التخبيب الالكترونية والشخصية والفكرية، أصبحنا نرى زيادة في تفكك الأسر، وأصبح التخبيب أحد الأسباب الكبيرة للطلاق سواء كان تخبيبا عن قصد، أو نصيحة من غير متخصص تفسد أكثر مما تصلح، أو تخبيباً الكترونياً ينشر الفكر التخبيبي لكل من قرأه. والمُخبِب في العلاقة الزوجية خصوصاً قد يكون الأم التي تغار من زوجة ابنها، أو تكرهها بسبب، أو بدون سبب، فتستمر في تخبيب ابنها على زوجته عبر ذكر مساوئها وتشويه صورتها في عين الابن، وتضخيم الأخطاء التافهة للزوجة في عينه، وكم هي الحالات التي تمر على المرشدين التي تشتكي فيها الزوجة ظلم أهل الزوج وتخبيبهم لابنهم، وسعيهم لإفساد العلاقة سواء للحصول على الطلاق، أو لإذلال الزوجة كي تكون مطيعة لهم. ووصل الحال في إحدى الاستشارات أن طلب الأهل من الزوج طلاق الزوجة صراحة، وهددوه بقطع العلاقة معه إذا لم يطلق. وقد يكون المُخبِب أخت الزوجة التي تغار من سعادة أختها، فتستمر في إيغار صدر الأخت على زوجها عبر ذكر عيوبه وتضخيمها والتهويل من آثار سلوكه المستقبلية من خلال باب حل المشكلات الزوجية (زعموا). والاستشارات تحكي قصصا لأخوات

وإخوان وأحيانا أمهات ليس لهم دور إلا تسميم عقل الزوجة كلما زارتهم، ووصل الحال بأحد الأسر أن منعت ابنتهم من الخروج مع الزوج، وقطعت وسائل الاتصال بينه وبين زوجته بحجة وجود أخطاء من الزوج على الزوجة ويجب ان يرضيها قبل أن تخرج معه، علما أن الزوجة ليس لديها أي مانع من الخروج مع زوجها، فتمارس أم الزوجة التخبيب عبر الترديد الدائم لتقصير الزوج في حقها، والتحريش بألا تتساهل ابنتها معه، والتذكير بأن زوج ابنتها لا يستحقه لأنه لا يقدر ولا يحترم الآخرين، ويمتد التخبيب من الأم مثيراً الندم في قلب البنت لأنها قبلت الزواج بهذا الرجل وتركت الخطاب السابقين، وغير ذلك من أدوات التخبيب الأمومي.
وفي ظني أن أم الزوج وأم الزوجة، وأصدقاء الزوج وأصدقاء الزوجة، هم أخطر الفئات الذين يخببون أحد الأطراف على الآخر وهم يشعرون ويقصدون أحياناً، وفي أحيان كثيرة؛ لا يشعرون بذلك لأن التخبيب عندهم خرج بلباس النصح والمساعدة على المشكلة. كما أن بعض المرشدين والمحامين يمارسون التخبيب المفضي إلى الطلاق تحت ستار النصح والتوجيه، ففي حين أن المرأة بحاجة إلى تصحيح مفاهيمها الخاطئة تجاه الحياة الزوجية، أو بحاجة إلى تذكيرها ببعض الصبر لأن المشكلة يمكن التكيف معها، أو بحاجة إلى نصحها بالتنازل عن بعض الأمور ليستمر قطار الزواج وهو منهج شرعي ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أو إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ [النساء: ١٢٨]، إلا أن بعض المرشدين، أو المحامين قد يحول تفكير الزوجة من الإصلاح إلى الانفصال، ويضخم في عقلها بعض الأخطاء ويسهل عليها أمر الطلاق تأثراً ببعض المفاهيم الاجتماعية المنتشرة.

٢) تسميم العلاقة، وخاصة العلاقة الزوجية، فالتخبيب أحياناً لا يصل إلى الطلاق، لكنه يدخل كجرثومة إلى العلاقة الزوجية، والحياة الشخصية للزوج والزوجة، فيسمم حياتهم فتتحول إلى علاقة مرَضية مسببة لآلام نفسيّة ووخزات عاطفية وجراح في المشاعر لا تلتئم، وهذا الأثر أسوأ من الطلاق، لأن الطلاق ينهي العلاقة وبعدها غالباً يتحول الزوجان إلى حياتهم الخاصة، ومع الزمن تبرأ جراحهم، ويعيشون حياتهم، لكن تسميم العلاقة، يستمر كشوكة تؤلم دون أن تجد من يجتثها، وأوضح ذلك بقصة الشاب الذي يسأل عن حكم منع الزوجة من زيارة أهلها، والسبب أنها كلما تحسنت علاقتهم ثم زارت أهلها رجعت بشخصية مختلفة وعقلية مملوءة بالمشاكل والانتقادات ونفسية سيئة حزينة، ثم يدخل معها في عراك

وخلافات تستمر وقتاً طويلاً لعلاجها وتسكينها، وما أن تسكن إلا وتأتي الزيارة الجديدة لتنقض كل ما سبق. يتحول التخبيب إلى سمّ يعكر صفو الحياة، ويضعف حبل العلاقات، ويحرق لحظات السعادة. ويقلب الحياة الزوجية إلى نكد وخلافات وشجارات، وانتقادات، وهجوم ودفاعات. ثم بعد فترة تتحول الأسرة الزوجية إلى مخيمات خاصة، مخيم للزوج ومخيم للزوجة ليس بينهما لقاء إلا في فراش عابر، أو سفرة لتناول لقيمات، أو سيارة تنقلهم إلى العمل. يحاول الطرفان إعادة المياه إلى مجاريها، وإصلاح ما اعوج من التعامل، فينجحان بفضل الله، لكن المُخبِب لهم بالمرصاد، فما أن يلتقي المُخبِب بالزوجة أو الزوج إلا ويزرع أشواكا جديدة، ويثير مخاوف غريبة، وينشر انتقادات لم يكن أطراف العلاقة على دراية بها. فترجع العلاقة متسممة من جديد. ومع أن الزوجين يحب كل منهما الآخر ويرغبان في استمرار العلاقة، إلا أن المشكلة لا يعلمون من أين تأتي، لأنه فجأة يتغير أحد الطرفين دون سابق إنذار، والسبب نصيحة تخبيبيّة من صديقة أو صديق، أو مقالة تخبيبيّة في الوسائط الاجتماعية. وهذا التسميم التخبيبي الذي لا يقتل ولا يمكن الشفاء منه، ليس خطره على العلاقة الزوجية وحدها، بل يمتد إلى الصحة النفسية للزوجين، وكم سمعت من زوجة تشتكي الاكتئاب والتوتر والقلق، وجذور المشكلة هناك لدى أم للزوج أو أم للزوجة مخببة، أو صديقة مخببة أحرق الحسد قلبها فلا يهدأ إلا بمشاركة الآخرين لها في حرقة القلب. وما زالت أذكر شابا لم تسلم حياته الزوجية من المشاكل الا بعد أن قطعت الزوجة علاقتها بأمها المُخبِبة وذلك بعد أن وصلت مشكلتهم إلى المحكمة إلا قليلاً، فما كان من الزوجة إلا أن استيقظت فقللت علاقتها بأمها إلى حد الواجب الشرعي. وفي أحيان كثيرة لا يعلم الأقارب خاصة الأم والأخت، بأنهم يمارسون التخبيب، فضلاً عن مجالس التخبيب التي تقيمها الصديقات فيما بينهن وتتحدث كل واحدة عن عيوب الأزواج وكيفية التعامل مع الرجل وإيقافه عند حده (زعموا). هؤلاء وغيرهم يظنون أنهم يفضفضون أو يروون حكايات مجالس.

٣) إفساد العلاقات الاجتماعية في المجتمع، فمن أخطر آثار التخبيب، أن الانفصال غالباً يكون عن خلاف شديد غير مبرر لأحد الطرفين، وغالباً يكون المُخبِب أحد القريبين من الزوج أو الزوجة، أباً أو أماً، أو أختاً أو صديقاً أو صديقةً، فحين يحدث التخبيب لا يقتصر تسميم العلاقة على طرفيها، بل يمتد إلى المخبب وأسرته، وإلى أسرة الزوج، وأسرة الزوجة، ويتحول الخلاف إلى خلاف مركب، لأن الزوج حين يعلم أن

)المُخبِب هو صديقة الزوجة فسينتقل العداء إلى الصديقة واهلها، ومثله الزوجة حين تعلم أن التخبيب من أب الزوج فسينتقل العداء إلى أسرة الزوج. وعوضاً عن كون الخلاف بين اثنين، فإنه يتحول إلى خلاف بين أسرة وأشخاص كثير دفاعاً وهجوماً. ولم أجد مشكلة كان فيها تخبيب من أقارب الزوجين إلا تحولت المشكلة الزوجية إلى خلاف بين العوائل، يمتد حتى إلى علاقات الزواج الأخرى. فالتخبيب يدفع الناس إلى القضاء أحياناً، لكنه في أحيان كثيرة يدفع إلى الانتقام من المُخبِب، وقد تكون نتيجة الانتقام سيئة للغاية. وهذا يؤكد لنا أثر التخبيب في تسميم العلاقات الاجتماعية وإفسادها، ومن التجربة فإن الغالب أن هذه العلاقات التي توترت بين الأسر لا تعود إلى سابق عهدها، وتتحول إلى فتور دائم. خاصة حين يكون الزواج بين الأقارب. وكم من صديق قطع علاقته بصديقة بعد اكتشافه للتخبيب، وكم من صديقة تحولت إلى عدوة لصديقتها بعد اكتشاف التخبيب منها، وليت الأمر ينتهي هنا، يل يتحول إلى ترصد وانتقام.

٤) ظلم الأطفال، من أسوأ آثار التخبيب خاصة حين يكون التخبيب من أسرة الزوج أو أسرة الزوجة - وهذا كثير من التجربة - هو انتقال العداء إلى الأطفال، فتبدأ أسرة الزوج بعدم تقبل أبناء هذه الزوجة، وأسرة الزوجة لا تتقبل أبناء أسرة الزوج، لأن العداء انتقل إلى الأبناء الذين لا ناقة لهم ولا جمل، وبعض الأسر في سعيها للتغلب في معركة التخبيب فإنها تستخدم الأطفال كورقة ضغط، فتبدأ أسرة الزوجة بمنع الأب من زيارة الأطفال إذا كانوا يعلمون أنه يحبهم، وأحيانا يرفضون استقبال الأطفال في بيتهم إذا كانوا يعلمون أن الزوج لا يريدهم ولا يملك مكانا يضعهم فيه. ومثله أسرة الزوج حين يقومون بسحب الأطفال من الأم نكاية بها. والبعض قد يظن أن هذا يحدث في كل الخلافات الأسرية، لكن التجربة أوضحت أن الخلاف الزواجي إذا كان بين الزوجين فقط دون تدخل أطراف أخرى، فالأطفال لا ينالهم شيء من غضب الأسر، ولكن حين تتدخل الأطراف الخارجية وتمارس التخبيب فإن الأطفال غالباً سيكونون ورقة ضغط. وهذا بلا شك له أثر نفسي سيء وعميق على الأطفال، ويكفي سوءًا هو حرمان الأطفال من أحد والديهم، فضلاً عن بعض الممارسات غير الأخلاقية من قبل الأسر تجاه أطفال بناتهم أو أبنائهم، من تحقير وازدراء وعدم اهتمام بالأطفال للنكاية بآبائهم.

٥) التخبيب فيروس ثقافي، وجرثومة حضارية، لأنه يهدم الأسرة نواة التطور المجتمعي والبناء الحضاري والصعود الثقافي. فالأسرة أحد مرتكزات البناء الحضاري في كل مجتمع، وأحد أسس الانطلاق نحو الطموح المجتمعي، والازدهار الاقتصادي، والسعادة الاجتماعية. ولا تكاد ترى رؤية فاعلة وناجحة تخلو من العناية بالأسرة، وخير مثال على الاهتمام بالأسرة في السياق الحضاري هو رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)، حيث ترى كيف اهتمت رؤية الدولة بالأسرة، وجعلتها إحدى مرتكزاتها ففي محور مجتمع حيوي بنيانه متين أتت هذه الرسالة "هدفنا هو تعزيز مبادئ الرعاية الاجتماعية وتطويرها لبناء مجتمع قوي ومنتج، من خلال تعزيز دور الأسرة وقيامها"، ومثلها رؤى كثير من الدول. ولذا فإن التخبيب بحق يعد جرثومة حضارية تنخر في جسد الأسرة، وتعيق تقدمها، وتجهز على طاقاتها ومقدراتها، وهي بهذا تضرب بنيان المجتمع في مقتل عبر إعاقة الأسرة عن القيام بدورها من خلال تشتيت الأسرة وإضعاف العلاقة فيها. وأي مجتمع تتعرض فيه الأسرة للإضعاف فإن مآله للتدهور. وإن أحد الأدوار التي تتطلبها الساحة الاجتماعية المعاصرة هو حماية الأسرة وحماية البناء الحضاري لهذه البلاد الغالية من براثن التخبيب وما يسببه من تفكك أسري وتدهور اجتماعي.

٦) التخبيب يطيل عمر المشاكل الزوجية، حين تكون المشكلة الزوجية أو الأسرية بين طرفين، ففي الغالب تنتهي المشكلة بنقاش، أو حوار وفي أحيان كثيرة بتنازل من أحد الطرفين، وتستمر الحياة الزوجية. وفي حال حصل تباعد وخلاف بين الطرفين فإنه لا يدوم طويلاً. هذا لأنه لا يوجد مخبب. أما حين يظهر طرف ثالث خلف الكواليس أو على المسرح ويمارس التخبيب بالخفاء كالأصدقاء، أو بالعلن كالآباء والأمهات والأخوات، فإن عمر المشكلة يطول ويطول، ولا ينتهي. وحين يوجد حل وترجع المياه إلى مجاريها، فإن فترة الهدوء لا تستمر إلا بضعة أيام أسابيع لتعاود الظهور مرة أخرى، لأن المُخبِب يستمر في الإثارة، والإغراء، والدفع بأحد الأطراف لإثارة الموضوع مرة، ومرات. ولذا إذا رأيت مشكلة زوجية دائمة ومزمنة تكاد تجزم أن خلفها مخبب يحافظ على استمرارها بقصد أو بدون قصد. أما إذا رأيت الزوجين متباعدين جسدياً لفترة طويلة ولم تحنَّ قلوبهم لبعض، فاعلم يقيناً أن مخبباً يغذي هذه القطيعة ويحافظ عليها. والتجربة تدل على ذلك. فمن أسوأ أضرار التخبيب وآثاره، أنه يطيل عمر المشاكل الأسرية، والزوجية خصوصاً. تأمل من

حولك، سترى أن طول أمد المشكلة إما شخصيات لا تناسب للحياة الزوجية لأنها لا تحمل قيمة المسؤولية ولا تعترف بالحقوق، أو يوجد مخبب في الخفاء أو العلن. قالت لي إحدى النساء أنها لا تحب زيارة أهلها بسبب تسميمهم لأفكارها ضد زوجها كلما زارتهم، ويثيرون معها قضايا تعلم أن زوجها لا يملك حلاً لها، خاصة الجوانب المالية. وتحدث أحد الشباب عن مشكلته التي تدور بين أم لا تتوقف عن سب زوجته يوميا، وبين زوجة لا تتحمل أن تذل نفسها لتلك الأم المُخبِبة.

الآثار المنهجية:

هذه بعض الآثار أذكرها خصوصاً للقائمين على عمليات الإصلاح من مرشدين أسريين أو محامين أو لجان إصلاح، وغيرهم.

١) إياك والخيانة، من أسوأ آثار التخبيب هو إيقاع المرشد أو المحامي أو المصلح بالخيانة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "المستشار مؤتمن" رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني. وحين تتواصل المرأة مع المرشد أو المحامي أو المصلح شارحة له مشكلتها مع زوجها، وتوضح له تفاصيل تلك القضية، فإنها قد أتت إليه وقد ائتمنته على حياتها الأسرية، وعلى علاقتها بزوجها، وعلى مستقبلها. وقد تحدثت معه واثقة به وبعقله وتفكيره ونصحه لها، وأنه ليس له مصالح أو مآرب. كل هذه الثقة تدفع صاحب المشكلة إلى أن يتحدث بأسرار لم يبح بها لأحد إلا له، فحين يكون المرشد ممن تلوث بأمراض التخبيب، ودعته نفسه وشيطانه وتدني أخلاقه إلى التخبيب، فإن هذا المرض سيقوده لكبيرة من الكبائر، وسيدفعه لخيانة الأمانة التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيستغل معرفته بهذا الأسرار وخبرته في الحياة الزوجية والمتصلين ليحول العملية الإرشادية إلى تحقيق أغراض شخصية، سواء لينفع نفسه، أو ليكيد بالطرف الثالث إن كان يعرفه، وأي خيانة أعظم من هذه الخيانة، وأي حفرة منتنة أدخلك فيها تخبيبك، لتخون أمانة الاستشارة، وقيم المهنة، وأخلاقيات العمل. إن التخبيب في الوجه الآخر منه إنما هو خيانة كبرى، لأنه استغلال لضعف المسترشد وأسراره للإضرار به أو بغيره أو استغلاله أو استغلال غيره. والله لا يحب الخائنين. فكيف لك أن تتعرض لمثل هذا، {**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**} [الحج: ٣٨]، وكل خائن ليعلم أن الله له بالمرصاد {**وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**} [يوسف: ٥٢]، وحري بمن كان مخبباً من هؤلاء أن يكون حتفه قريبا، وخزيه وشيكا. وحين ينكشف أمره، فسيتعرض لما يلي.

٢) دعوة المظلوم، ما زلت أتذكر تلك الدعوات التي كان يدعو بها شاب على من تدخلوا للإصلاح بينه وبين زوجته، لأنهم على حد قوله لم يكن لهم دور في الإصلاح، بل كان دورهم تخبيباً لا أكثر، فلم يناقشوا الزوجة، ولم يقنعوها، وإنما اكتفوا بإقناع الزوج بالطلاق، لأن الزوجة لا تريده، وأن الطلاق هو الحل الأمثل لعلها ترتدع بعد الطلاق. وبعد أشهر أتى إلي هذا الشاب باكياً حانقاً على نفسه كيف قبل وطلق زوجته، ويدعو على الذين تدخلوا دعاءً مؤلماً. وفي قصة أخرى ما زال الرجل يردد دعوات كثيرة على تلك المرشدة التي نصحت زوجته بأن تطلب الطلاق لأنه فعل معصية من المعاصي الصغيرة، وما زال يرميها بالتخبيب لزوجته. وهنا أرسل رسالة إلى كل مستشار أو مصلح أو محام، احذر أن تكون مخبباً ومفسداً وأنت لا تشعر، فيرفع الزوج أو الزوجة عليك دعوة مظلوم أو مظلومة فلا يكون بينها وبين الله حجاب. اجتهد في الإصلاح، وكن سبباً من أسباب التقارب، إلا إذا كان الطلاق حقيقة هو العلاج، حينها فالله قد شرع الطلاق لمثل هذا. أما التساهل في الدعوة إلى الطلاق فقد يفتح على الإنسان دعوة مظلوم. أما ذلك المخادع الذي خدع المرأة أو الرجل ليكون له مآرب أخرى، فإن حقه أن يصاب بعقاب الله تعالى على مكره وظلمه، والله لا يحب الظالمين.

في ختام هذه الورقة أضع بين يدي المرشد الأسري بعض التوصيات التي أرى أهمية العناية بها.

١) خطورة ظاهرة التخبيب على الفرد والأسرة والمجتمع، خاصة مع نمو التخبيب الإلكتروني وانتشاره.

٢) أهمية القيام ببرامج توعوية توضح أثر التخبيب وطرقه وكيفية مواجهته.

٣) الحذر الكبير من كل مستشار أن يقع في التخبيب وهو لا يشعر، فضلاً أن يقع فيه وهو يشعر.

٤) الانتباه إلى خفاء المُخبِب، وعدم ظهوره في مسرح الاستشارة، حيث يظهر أثره دون شخصه في كثير من المشاكل الأسرية، وعلى المرشد أن يتأكد من عدم وجوده حتى لا تضيع كثير من الجهود سدى.

٥) خطورة المشاركة في التخبيب الالكتروني والتخبيب المجتمعي عبر طرح أفكار ورؤى شخصية تدعم التخبيب وتحميه، وهذا من أسوأ الأدوار التي قد يمارسها مستشار متخصص وهو لا يشعر.

٦) أهمية إجراء دراسات اجتماعية لظاهرة التخبيب في المجتمع، حيث يعاني الأدب التربوي من قلة الدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية التي اعتنت بالتخبيب، كما أن الدراسات الشرعية والقانونية مع توفر بعضها إلا أنها تعاني من القلة.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

ـ ابن تيمية، أحمد. (١٩٨٧). الفتاوى الكبرى لابن تيمية، بيروت: دار الكتب العلمية.

ـ الرويلي، بدر. (٢٠٢١). أحاديث التخبيب رواية ودراية، مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (٨٦)، ٤٠٧-٤٦٩.

ـ العيسى، عيسى. (٢٠١٧). الغيبة المباحة وصورها المعاصرة دراسة فقهية، مجلة الجمعية الفقهية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (٤١)، ٤٩٥-٥٨٤.

ـ الغنام، زيد. (١٤٣٨). طلب الطلاق والمشورة به، مجلة البحوث الإسلامية، (١١٢)، ٢٠١-٢٥٦.

ـ اللحيدان، فهد. (٢٠٢٠). تخبيب الزوجة وآثاره دراسة فقهية مقارنة تطبيقية قضائية، مجلة قضاء، الجمعية العلمية القضائية السعودية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، (٢٠)، ٨٧-١٤٩.

ـ الهيتمي، أحمد. (١٩٨٧). الزواجر عن اقتراف الكبائر، دمشق: دار الفكر.

ـ اليحيى، بندر. (٢٠٢٠). التخبيب وأثره في الفقه الإسلامي والقانون السعودي، مجلة دراسات-علوم الشريعة والقانون، عادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ٤٧(٤)، ١١٦-١٣٣.

ـ جمعية المودة للتنمية الأسرية. (٢٠٢٠). تقرير معدلات الزواج والطلاق والقضايا الأسرية في المملكة العربية السعودية للعام ٢٠٢٠، جمعية المودة للتنمية الأسرية.

ـ رؤية ٢٠٣٠. (٢٠١٦). وثيقة رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠

ـ علوان، ماجدة. (٢٠٢١). التخبيب الالكتروني في مواقع التواصل الاجتماعي، مجلة نسق، (٢٩).

ـ وزارة العدل. (١٤٣٦). مجموعة الأحكام القضائية (١٥)، الرياض: وزارة العدل –مركز البحوث.

ـ وزارة العدل. (١٤٣٨). مجموعة الأحكام القضائية لعام ١٤٣٥ (١٥)، الرياض: وزارة العدل.

ـ ونوغي، فطيمة. (٢٠١٤). أثر سوء التوافق الزواجي في تكوين الميل إلى الأمراض النفسية لدى المرأة من خلال اختبار (MMPI٢)، رسالة دكتوراه في علم النفس غير منشورة، جامعة محمد خيضر، الجزائر.

الفصل السادس

كيف يتعامل المرشد الأسري مع مشكلات التخبيب الأسرية

أ - كيف ينجو المرشد الأسري من الوقوع في التخبيب.
(عبد العزيز المقبل - مها العومي - نورة آل همله)

ب - توجيه المسترشد كيف يحمي نفسه من تخبيب من حوله.
(نورة آل همله)

ج - خطوات معالجة موضوع التخبيب.
(نورة آل همله)

الفصل السادس
أ - كيف ينجو المرشد الأسري من الوقوع في التخبيب

د. عبد العزيز المقبل

تمثل الاستشارة باب خير عظيم، فإن الإنسان حين يكون وسط مشكلة يصعب عليه رؤيتها من جوانبها المختلفة يحتاج من يساعده في رؤية ذلك، وقد يكون أمام طريقين يحار ماذا يسلك منهما، وخيارين يحار ماذا يتخذ منهما. ووسط هذه الحيرة يتذكر أنه بالاستشارة يستعير عقل من يستشيره، وبالتالي فمن علامة عقله ألا يستشير إلا شخصاً يعرف عنه نضج العقل، فإن الحكيم الأول أوصى ابنه ألا يصحب الأحمق، فليس ينقصه الإخلاص، لكن نقص عقله يجعله يريد أن ينفعك فيضرك (!!)

وبالتالي فإن أهم مقومات المرشد الأسري العقل؛ فالعقل يملي عليه ألا يشرع في إعطاء وجهة نظره حتى يفهم، وإذا لم يفهم استفسر، وإذا فهم ألا يستعجل بالرأي الفطير، وأن يدرك ظروف من يستشيره حتى يقع رأيه منه موقعه المناسب، وألا يطرح الرأي إلا بعد أن يتأكد له أنه إن لم ينفع من يستشيره ألا يتسبب له بما يضرّه، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، سواء برأي يقدمه أو بما يوحي به كلامه، أو بما يصوّره عن نفسه.

وإلى جانب العقل يبقى الدين، والذي تمثله التقوى، سوراً بين المرشد، وكل ما يمكن أن ينال المسترشد بالضرر؛ سواءاً أكان ذلك مباشراً أم غير مباشر. ووجود (عَقْلٍ كَامِلٍ مَعَ تَجْرِبَةٍ سَالِفَةٍ)... مع (دِينٍ وَتُقًى) هما الخصلتان الأولى والثانية، من خمس خصال نصح الإمام الماوردي، من يرغب الاستشارة، بارتياد من (استكملت فيه). ويعلل الأولى بقوله: (فَإِنَّ بِكَثْرَةِ التَّجَارِبِ تَصِحُّ الرَّوِيَّةُ)، ويعلل الثانية بقوله: (فَإِنَّ ذَلِكَ عِمَادُ كُلِّ صَلَاحٍ وَبَابُ كُلِّ نَجَاحٍ. وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الدِّينُ فَهُوَ مَأْمُونُ السَّرِيرَةِ مُوَفَّقُ الْعَزِيمَةِ).

إن المرشد العاقل يستطيع - بتوفيق الله، ثم بنضجه العقلي - أن يوازن بين الواقع والمطلوب، وبين مترتبات القرارات، بين التعاطف المطلوب والانحياز المذموم والمفسد.. فقد يأخذه الحماس ويفيض في

الاقتراحات ويبالغ في النقد دون أن يلمّ بظروف الزوجة مثلاً.. ومن ثم فبدلاً من أن يرتقي بحياتها الزوجية، أو يسهم في تحسينها فإذا هو يكدرها، وربما يهيئ لهدمها.. إن لم يسقطها على رؤوس أهلها.

وإذا كانت العلاقات الزوجية تمثل نسبة كبيرة إن لم تكن الأكبر في ميدان الاستشارات، وينعكس على مستوى قوتها وضعفها البنيان الأسري كله، فإنه يتضح هنا خطورة رأي المرشد، خاصة من يُرى أنه مرجعُ، ويصدر عن رأيه؛ سواء أكان المرشد اسماً مستقلاً متداولاً، أو كان اسم الجمعية التي ينتمي إليها هي من جذبت المسترشدين إلى استشارته، ومنحته الموثوقية.

ومن أخطر الأشياء أن تتصل زوجة - مثلاً - شاكية زوجها في سلوك لديه، أو مشكلة لها معه، لكنها تخرج من تلك الاستشارة بتصور مؤداه أن (الخرق) في مشكلتها مع زوجها، وعلاقتها به أكبر من (الرقعة)، وهو كلام قد ينبني على كلام صرّح به المرشد، أو فهمته تلك الزوجة بصورة أو أخرى، من حديثها مع ذلك المرشد.. وفي مثل هذه الحال يكون المرشد أجهز على بيت، وأسهم في هدمه؛ علم أم لم يعلم.

ومن المؤكد أنه لا يلزم من وقوع التخبيب الطلاق، بل مجرد تعكير الجو، وإفساد العلاقة.. ربما كون الزوجة تردد لزوجها: قال لي المرشد.. انتقد المرشد تصرفاتك وسلوكك...

وسبق أن ذكر لي أحد الزملاء أن مستشارة أخذ منها الحماس مأخذه، وهي تسمع شكوى زوجة، يبدو أنها اتصلت عليها عقب معركة زوجية حامية، وراحت تتحدث عن الجانب السيئ لدى زوجها، ومنه أمور استفزت المرشدة، بحسّها المرهف والمتديّن، فإذا هي تنصحها بطلب الطلاق، وفات على تلك المرشدة الطيبة أن ما ذكرته تلك الزوجة أمرٌ قد يكون صاحب المسترشدة منذ زواجها، الذي أمضت فيه سنوات، وهو أمر صبرت عليه، وتأقلمت معه، وأنها ذكرته فقط كنوع من (النكهة) لاستدرار مزيد من تعاطف المرشدة، فاستشارة تلك الزوجة كلها لا تعدو لوناً من الفضفضة.. لذا فوجئت المرشدة، بعد أيام، باستدعائها من قبل المحكمة، بعد أن رفع زوج تلك الزوجة المسترشدة ضدها قضية تخبيب. (!!).. وربما استطاع الزوج - بقدراته البالغة ووعوده المعسولة - إقناع الزوجة أنه سيبدأ معها حياة جديدة خالية من كل ما يكدرها (!!)..

أو أن الزوجة كانت قد تناست جوانب (إيجابية كبيرة)، لدى زوجها، في فورة انفعال وغضب، وهي تتحدث مع المرشدة، فلما فاءت إلى وضعها الطبيعي، وشعرت بالراحة بعد أن (فضفضت)، والتقت مع زوجها في حياتهما المعتادة، نقلت له (نصيحة) المرشدة، فإذا الزوج يصعق، ويتخيل زوجته، وقد سارعت إلى تنفيذ رأى المرشدة، وطلبت الطلاق أو الخلع.

والمرشد العاقل يحرص جدَّ الحرص ألا يقع في شيء من ألوان التخبيب، للأسباب التالية:

١) لأن الأمانة، التي أمر بها تقتضي وجود عدل كامل، في إصدار الحكم، وهو أمر غير ممكن، كون من يتصل طرف واحد، ومن الطبيعي أن يتحدث عن المشكلة من وجهة نظره الخاصة، ورؤيته الذاتية.

٢) عدم الوقوع في الإثم، فقد يكون كلامه، وإن كانت نيّته فيه طيبة، يتضمن نوعاً من التخبيب؛ للزوج أو الزوجة.

٣) أنني أعدّ الحياة الزوجية كالبيت؛ كلما أمكن ترميمه لا يلجأ إلى هدمه، وهي قاعدة وضعتها نصب عيني، وسرت عليها في مشواري في الاستشارات.

٤) أن دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح، كما تقرر القاعدة الفقهية، فقد يتجّه المرشد، برأيه ومقترحاته ووجهة نظره، إلى إبعاد بعض ما يذكره المسترشد من ضرر، يقع عليه في حياته الزوجية والأسرية، لكنه ربما أوقعه في ضرر أكبر.

٥) أن نيّة المرشد الطيبة، مهما بلغت في مستوى طيبتها وصلاحها، لا تكفي لأن تكون مسوغاً لما يطرحه المرشد، ما لم يكن رأيه صواباً، على الأقل في جملته، ولا يمكن أن يكون صواباً حتى يتأكد المرشد أنه استوعب كل ظروف المشكلة، وهو أمر لا يتحقق دائماً.

٦) أن يدرك المرشد أن تشابه أعراض المشكلات لا يعني تشابه أسبابها؛ وهو أمر يشبه الأعراض المرضية في البدن؛ فقد يحدث صداعًا لجملة من الناس، لكن تتوزع أسبابه بينهم بين التهاب في الحلق، والتهاب في الأذن، أو التهاب أو تسوس في الأسنان، أو تلبّك في المعدة، أو شدة تركيز، وقد يكون شقيقة أي دون سبب.!

وهكذا - مثلاً - شكوى الزوجة من صمت الزوج؛ فله أسباب مختلفة لا سبُباً واحدُاً. . فقد يكون سببه حساسية الزوجة، فكل كلام يقوله الزوج قد تسأله عما يقصد منه، حتى ليحتاج مع كل كلام مذكرة (تفسيرية)، فيؤثر الزوج وقتها الانسحاب، من ساحة الكلام معها. وقد يكون سبب صمته كثرة انتقادها إياه، أو مقارنته، وهو الهازل، المضيع وقته - في رأيها - بأخيه أو أخيها الجاد.! وقد يكون سببه (اختلاف طباعهما)؛ كثرة كلامٍ وقلّته، أو جداً وهزلاً، وقد يكون الصمت طبعا معرقاً في رجال عائلته، غير موضوع اختلاف الجنس بينه وبين زوجته، كذكر وأنثى، ومن ثم يختلفان في كميّة الكلام ووظيفته.

٧) سابعاً: حتى يحمي المرشد نفسه قانونياً، فالمرشد العاقل يحسب ويجب أن يتوقع أن كل ما يقوله يمكن أن (يوثق) بالتسجيل، ويدان بما فيه من اعتداء.

وهناك محددات ينبغي أن ينتبه لها المرشد، وهو يمارس مهنة الإرشاد:

- أنه يسمع من طرف واحد.
- كون الشكوى قد تكون جاءت من حدث طارئ / عارض.
- أن لغة المرأة – غالباً - يغلب عليها الشكوى، وإبداء التشاؤم، ومسحة الحزن.
- أن هناك من (المرشدين/ المرشدات) تغلب عليه العاطفة، وهذا لا يصلح لميدان الاستشارات، من حيث المبدأ، كونه سيضر نفسه قبل غيره.!

ومن خلال تعاملي مع المرشدين رصدت جملة من الأمور والسلوكيات، التي قد تؤدي إلى مثل تلك النتيجة المأساوية، في هدم الأسرة، وإحداث الاضطراب في الحياة الزوجية، ومن ثم الوقوع في التخبيب، على النحو التالي:

الأول: أن يتأكد المرشد أنه فهم الموضوع المطروح عليه، بصورة جيدة، وأحاط بجوانبه. وإذا شكّ في أنه أمرٍ تأكد من صحة فهمه له. لأن على دقة فهمه سيفصل ثوب رأيه.! والتأكد من أن المتصلة / المتصل فهم فهماً صحيحاً رأي المرشد، ويكون ذلك بسؤال المسترشد في نهاية الإرشاد: ما الذي فهمته مني.؟ وكأنه لون من

تلخيص الرأي ليحفظه، ويبقى في ذهنه، وهو في النهاية لون من التأكد من صحة الفهم. لأنه ربما نسب إلى المرشد الأسري ما لم يقله، وسبب ذلك الفهم الخاطئ، وما آفة الأخبار إلا رواتها.!

الثاني: قررت قاعدة من خلال تجربتي في الاستشارات هي: (أن الحياة الزوجية كالبيت لا يلجأ إلى هدمه إلا حين يستحيل ترميمه).. وأن (طول) المشكلات ليس دليلاً على (سوء) العلاقة، بقدر ما هو دليل على عدم أو ضعف قدرة الزوجين على (إدارة) الخلاف، ثم مع مرور الوقت، مع استخدام وسيلة (واحدة مكرورة) ارتسمت في ذهن الزوجين أو أحدهم (صورة ذهنية سلبية) عن الآخر، بدأ يحس معها أن الحياة قد تكون بينهما مستحيلة.

الثالث: أخذ المرشد الأمور دائماً بجدية، وعدم المزاح، أو التعليق الساخر، فقد لا يفهم الطرف المقابل أن حديث المرشد لا يعدو أن يكون مزاحاً، وليس جداً. ولذا ففي ظني أن من يغلب عليه حسّ النكتة والتعليق، بالدرجة التي لا يملك معها نفسه قد لا يكون مناسباً في استقبال استشارات الناس، بعامة، والنساء بخاصة. وبعض الأحيان قد يدفع إلى هذا شكوى يراها المرشد سخيفة، بحكم إدمانه سماع المشكلات، فتكون إجابته تعليقاً أو سخرية أو مزاحا.

الرابع: أن يدرك المرشد أنه مهما بلغ مستواه وخبرته فثمة مشكلات لا يمكن استيعابها أو فهمها إلا بعد تأمل ونظر، ولذا فليس كل المشكلات يمكن أن تطرح حلولها مباشرة، في الاتصال الأول.. واستئذان المرشد المسترشد في تأخير إبداء الرأي له - كما لمست - فائدتين جميلتين، تصبان في صالح الاستشارة؛ الأول: شعور المسترشد باهتمام المرشد بمشكلته، وحرصه على إنضاج الحل بمزيد من التفكير. والثاني: أن يكون الرأي الذي خرج به المرشد، من تأمله، وإعطاء نفسه فرصة لذلك، أكثر نضجاً وإحكاماً.. مع أن المسترشد قد تكون المشكلة لديه عارضة وآنية، فاتصل مستشيراً بعد أزمة مع الشريك، لكنّه حين هدأ رجعت مياه العلاقة مع شريكه إلى جدولها، ولذا لم يعاود الاتصال. وبذا سلم المرشد من رأي قد يحدث إرباكاً في حياة قادرة على المسير والاستمرار.

وقد حذر العقلاء من الرأي (الفطير)، الذي لم (يتخمّر)، (كانت العرب تحمد الأناة في الرأي، وإجالة الفكرة فيه، وعدم التسرّع. وكان عبد الله بن وهب (رحمه الله) يقول: إيّاي والرأي الفطير! وكان عامر بن الظّرب حكيم العرب يقول: دعوا الرأي يغبّ، حتّى يختمر، وإيّاكم والرأي الفطير).

ولا بأس أن يستضيء المرشد برأي بعض زملائه، ليتأكد من سلامة الرأي الذي انتهى إليه، خاصة في المشكلات المتداخلة والعويصة. بل إن من المهمّ جداً، حين تكون الحالة جديدة على المرشد، أو فيها قدر من التشعب أو الغموض، أن يتواصل مع بعض زملائه، ليناقشها معهم.. بل إن من تمام العقل أن يعتذر عن الإجابة، أو يحوّلها إلى أنه أقدم منه وأقدر.

الخامس: أن يحذر المرشد أن يقع في مصيدة التأثر، والحكم العاطفي المتسرع، جرّاء التأثر الذي يصحب المتصل / المتصلة، ومن ثم فقد يسارع بإدانة الطرف الآخر. فربما تتصل زوجة لعرض مشكلة، ثم لا تلبث أن تتأثر، ثم تنخرط في موجة من البكاء.. والبكاء - حينئذ - لا يدلّ على كونها مظلومة بقدر ما قد يدل على سرعة التأثر والضعف، وعدم وجود الصلابة النفسية لديها، وعدم تحملها. وقد يصحبها التأثر من بداية الاتصال. وقد عوّدت نفسي، حين يصاحب التأثر المتصل من البداية، وغالباً يكون من النساء، أن أطلب منه أن يؤجل الاتصال إلى وقت يكون فيه أكثر هدوءا، وأن ذلك لمصلحته.. وقد وجدت فرقاً واضحاً في عرض المشكلة، والاستعداد للتفهم، في وضع المرأة نفسها؛ بين عرضها المشكلة وهي في قمة التأثر، وقد يكون ذلك عقب حدث ما، وبين اتصالها بعد مدة من وقوع الحدث.

ولعل أقرب مثال لذلك زوجة متزوجة من قرابة ثلاث سنوات، وهي في أشهرها الأولى من الحمل، ثم اكتشفت من خلال النظر في جوال زوجها وجود علاقات له بمجموعة من النساء.. كانت في اتصالها الأول تستشيرني في الطلاق، وأنها لا يمكن أن تبقى مع زوج كهذا. وأعطيتها فرصة للحديث ثم طلبت منها تأجيل الاتصال. وبالفعل حين الاتصال الثاني، بعد قرابة خمسة أيام من الحدث، كان سؤالها كيف تعالج الوضع، مشيرة إلى وجود خصال جيدة لدى الزوج.!!

وقد أورد ابن عبد ربّه عن الشعبي قوله: كنت جالساً عند شريح القاضي، إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها، وهو غائب، وتبكي بكاءاً شديداً، فقلت له: أصلحك الله، ما أراها إلا مظلومة. قال: وما علمك؟ قلت: لبكائها. قال: لا تفعل؛ فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون، وهم له ظالمون.!!

السادس: قد تكون بعض الاستشارات لها بعد فقهي، أي أن ثمة اختلافات؛ راجحة أو مرجوحة، في حلّها وحرمتها. وفي رأيي أن المرشد حين يكون له وجهة نظر فقهية، تتفق مع رأي المتصل، لكنها قد تزيد مساحة المشكلة أن يعتذر عن الإجابة.. خاصة حين يصرح المتصل أن طرف المشكلة الآخر يحتج عليه بفتوى.!! مثل أن يتصل زوج متضايق جداً من كون زوجته وجدت عملا، وحين مضى بعض الوقت اكتشف أن بيئة عمل الزوجة مختلطة، وهو يستشير في الطلاق، متحرجاً.. أو أن زوجته تتابع مسلسلات، أو تسمع بعض الأغاني، أو أن زوج المسترشدة يصلي في البيت، أو يجمع الصلوات.. لكن لو عالج المرشد الموضوع من زاوية تربوية حسب، فلا بأس في ذلك.

السابع: من المهم ألا ينصح المرشد من يتصل عليه بمؤسسات أو هيئات أو مجموعات إلا بعد التأكد التام من سلامة توجهها العقدي والفكري والوطني. فثمة مجموعات أو مؤسسات قد تبدو بأسماء وعنوانات جاذبة ومغربة، لكنها ذات توجهات غير جيدة. فقد يتراءى للمستشار أن جزءاً من مشكلة الزوجة الفراغ، وينصحها بمجموعة (واتس أب) سمع عنها، معنيّة بأمر من أمور النساء، ثم يبدأ التغير في حياتها، وعلاقتها بزوجها، لأن تلك المجموعة لها اتجاه فكري، أو يجمعها مواقف وتجارب سلبية متشابهة.

الثامن: أن يحترز المرشد ألا يقع في فخٍّ ينصبه له المسترشد، لتكون استشارته مجرد تأييد لرأي ذلك المتصل؛ رجلاً أو امرأة، ضد شريكه، فيما يكونان قد اختلفا حوله، من أمور الحياة والعلاقات. فقد يكون القصد - من الاتصال كله - مجرد(إمضاء) المرشد، كونه يمثل (إدانة) للطرف الآخر، و(احتجاجاً) عليه، كون ما سمعه ونقله المتصل هو كلام (مستشار أسري) متخصص.!!

فبعض المتصلات قد يكون هدفها الحصول على تأييد، لتشعر بالانتصار على زوجها كونها اتصلت على مرشد أسري وصوّب رأيها.. وقد تكون - شعورياً أو لا شعورياً - صوّرت الموضوع للمرشد، بما تتوقع أنه يناسب إصدار الحكم، وهو الفخ الذي قد يقع فيه المرشد. وقد يوقع بعض المرشدين نفسه في مأزق حين يتصل عليه اليوم أو غداً زوج المرأة المتصلة على المرشد بالأمس، وقد انزاحت غيوم المشكلات بينهما متسائلاً مع المرشد: كيف يدينه ويخطئه، فضلاً أن يبيح لنفسه الإشارة على زوجته بالطلاق، وهو لم يسمعه، ولم يدرك ـ بصورة جيدة ـ ما حدث.!! من المؤكد وقتها أن المرشد قد يقع في قدر، غير محمود، من الإحراج، إن نجا من الشكوى والعقوبة. وقد سبقت الإشارة إلى قصة المرشدة، التي فوجئت باستدعاء من المحكمة، اكتشفت أن من قدم الشكوى ضدها زوج زوجة سبق أن اتصلت عليها، ونصحتها بالطلاق، إثر سماع مشكلتها.. وكانت تلك الزوجة هي الشاهد عليها في تلك القضية.!!

التاسع: التوازن في الحكم والطرح، فقد يسمع المرشد مطالب من زوج لزوجته، قد يستفزه ذلك، وهو يرى أن من يطلب مثل هذه الأمور قد يكون دنيئاً من الرجال، لكن مثل تلك المطالب حين تكون تردم الحياة الزوجية بصورة جيدة، وتبعد عنها ما يكدر استقرارها، ويضع المرشد عينه على هذا السياق قد يختلف حكمه ورأيه.

فقد توجد زوجة يعاملها زوجها بشكل جيد، ويتولى كل ما يتصل بها من نقل للعمل، أو جلب للحاجات.. لكنه يطلب منها مبلغاً مقابل إيصالها العمل، وقد لا تكون ظروفه صعبة، وقد تكون الزوجة قد اشترطت عليه العمل في عقد الزواج، وفي الوقت نفسه يكون مرتب الزوج جيداً، فهنا قد يشير المرشد على الزوجة أن تدفع رياح المشكلات عنها، بمثل هذا العطاء، شريطة ألا يكون ذلك مغرياً للزوج في زيادة مطالبه، ولا بأس من مماكسة الزوجة زوجها في مقدار المبلغ الذي يطلبه (!).. وهنا يكون ارتكاب أخف الضررين لتحقيق أعلى المصلحتين.

العاشر: يفترض أن يكون هناك عدد (محدد / مقرر) من الاتصالات لصاحبة المشكلة، لا يسمح بعدها باتصال صاحبة المشكلة بذلك المرشد، وأرى ألا تزيد عن ثلاث اتصالات في المشكلة، إلا وفق استثناءات ضيقة جداً، وقد قررت هذا في مركز إسعاد في جمعية أسرة ووجدنا الأثر جيدًا.

ويمكن تنبيه مسؤول الاستقبال على ذلك، بحيث يكون هناك خياران؛ إما أن تصرّ صاحبة الشأن على التواصل مع ذات المرشد، ومعنى هذا أن هناك افتراض وجود (بذرة) تعلق، يجب وأدها في مهدها، أو تكون المتصلة تزعم أنها لم تستفد فتحوّل إلى مستشار آخر. وقبل سنوات أشرفت على مركز استشارات، وأجريت عليه هذا الأمر، وأكدته لدى موظف الاستقبال.. وفي يوم من الأيام صارحني أن متصلة تجاوز عنها، لكنها ظلت تتصل باسم المتابعة، وأنها الآن على الهاتف، في الاتصال السادس (!).. طلبت منه أن يحوّلها عليّ.. وحين سمعت صوتي تفاجأت، وقالت: أنا عند المرشد رقم (؟؟). قلت لها: لكني المشرف على كل المرشدين (!)، ومستعد لمساعدتك.. أبدت رفضها، وحماسها الشديد للتواصل مع ذات المرشد.. قلت لها: لو كنت استفدت لكانت اتصالاتك الماضية كافية، ونظامنا في المركز لا يسمح بأكثر من ثلاثة اتصالات.. حاولتْ لكني أصررت على رفضي، لمصلحتها.. بل حاولت الاتصال مرات أخرى، لكن موظف الاستقبال يعرف صوتها ويقف لها بالمرصاد.. وكان ذلك المرشد – وقتها – يتحدث بقدر من الرقة، وبلغة أدبية.. وكنت قد أدركت من التجربة أن التعلق، لدى بعض النساء سريع، وقد يكون سريعا جداً.!!

الحادي عشر: يفترض أن يحدد وقت للاستشارة بين ربع ساعة وثلث ساعة، وألا يزيد الوقت في حال الضرورة عن نصف ساعة.. لأنه - غالباً - سيتشعب الحديث، وهنا يأتي دور المرشد، ومهارته في إدارة الوقت، واستنطاق المتصلة، وقدرته على الفصل بين من يكون هدفها مجرد الفضفضة ومن لديها بالفعل مشكلة تحتاج رأياً وتوجيهاً.

وقد تكون إطالة المرشد الكلام دافعها الحماس لحل موضوع المسترشدة.. لكن لابد من التذكر أنه من طبيعة الأزواج كرجال قلة الكلام، خلافاً للنساء، تبعاً لاختلافهم عن النساء في وظيفة الكلام، وكميّته.. وقد يكون المرشد - كونه واحداً من الرجال - تشكو زوجته قلة كلامه (قد يصرف رصيده الكلامي (القليل) في الرد على المسترشدات...!!).. ثم هو لا يجد في نفسه نشاطاً لإشباع حاجة زوجته للكلام.. لكن تلك المسترشدة، قد يعجبها الوضع، فتعاود الاتصال.. وتخرج بصورة ذهنية - خاصة والكلام حاجة عاطفية ونفسية مهمة لها كامرأة - أنها مخنوقة لدى زوجها، وأن زوجها في صمته يشبه أبا الهول.. كما عبّرت لي إحدى الزوجات، في رسالة إلكترونية.!!

وأسوأ من ذلك أن تكون هناك خلفية لكلامه الطويل من القفشات والتعليقات والضحكات، التي تمثل توابل تجعل كلامه أكثر حلاوة وطلاوة.! بينما يأتي كلام زوجها - إذا تكلم - مقتضباً جافاً، خالياً من دسم العاطفة.!

الثاني عشر: الامتناع عن إعطاء الهاتف (الخاص) لأي سبب، وتحت أيّ إلحاح.. سواء إقبال إجازة رسمية للجهة، التي يعمل فيها المرشد، أو نيّة المرشد نفسه في ذلك.. أو كونه يتردد يوماً واحداً في الأسبوع، والموضوع - كما تراه المسترشدة - يتطلب العجلة، أو باسم المتابعة والتأكد من التنفيذ.

ما يحدث أحياناً أن المرأة قد تستشير ثم تتعاطف فتطلب الرقم الخاص.. خاصة حينما تجد قدراً جيداً من التعاطف، ورقة في اللغة، ثم تظل تبحث عن كل ما يتصل بالمرشد؛ تدخل حالة الواتس عنده، ثم تبحث عن سنابه، وهكذا. وهو أمر له سلبياته الكبرى.

الثالث عشر: الابتعاد عن رقّة الحديث، والتلطف / الاستلطاف الزائد، وليدرك المرشد العاقل أن غالب النساء قد تكون رست سفينتها على شاطئ مركز الإرشاد وهي عطشى للكلمة الندية، في صحراء حياة قاحلة من ذلك.. وحين يمثل المرشد - بلون حديثه أو صوته - رقة ولطفاً قد (تتعلق) به.! خاصة وقد تكون شكواها

من اتصاف زوجها بـ(الجفاء)، وانصباغ حياتها معه بـ(الجفاف).!

ومن أمثلة التلطف كلمات من مثل: (سمّي)، (أبشري)، أو عبارات من مثل: (أنا في خدمتك)، أو (اتصلي متى أردت أو احتجت).!، خاصة وقد تكون مثل تلك الكلمات دارجة على لسان المرشد، وهو ما يدل على لطفه وعقله، لكن سياقها في تواصله مع امرأة غريبة هو ما يجب التنّبه له.! وقد سبق نموذج، لما يمكن أن يترتب على ذلك، في فقرة سابقة.

الرابع عشر: البعد عن الاستشارات التي تكون في وسائل الإعلام المباشرة، فغالباً ستكون متتالية، ويقع المرشد تحت محاصرة الاتصالات، مما يجعله لا يستطيع إيفاء الإجابة عن كل مشكلة، وأخطر من ذلك أنه قد ينفعل جراء ما يسمع، ويخرج عن طوره، ومن ثم تكون إجابته غير متزنة، وهو أمر فوق كونه فضيحة تطير بها الألسن، لا يمكن أن يصل إلى صاحب الاستشارة لو أراد التراجع عما قال، أو اتضح له أمرٌ غاب عنه في ظل استيلاء الانفعال.!

وفي إحدى البرامج الإذاعية، لإحدى المحطات المشهورة، كان أحد المرشدين يجيب أسبوعيا عن استشارات المتصلين، وتتتالى عليه الاتصالات.. وذات يوم جاءه اتصال من زوج يشكو أن زوجته استأذنته في السفر، ولكنه لم يأذن لها، وطلب منها أن تبقى مع أولادها، ولكنه فوجئ بها تتصل عليه من المطار، قبل ركوب الطائرة لتخبره بأنها مضت في سفرها.. يبدو أن المرشد أخذته العاطفة، فإذا هو يقترح عليه الطلاق.!

وقد شنّ كثير من الكتاب على ذلك المرشد حملة انتقاد عنيفة؛ واتهموه بأنه طلب من المتصل أن يطلق زوجته على الفور، تأديباً لها، وأن المسترشد طلقها على الهواء مباشرة.. وخرج ذلك المرشد في إحدى الصحف، ليقول بأنه لم يأمره بالطلاق، ولكنه قال: إنه لو كان في مكانه لطلقها تأديبا.!!

الخامس عشر: عدم الخروج عن موضوع الاستشارة، ولو تحت ضغط المتصلة أو توسلاتها، ولو رأى المرشد – مثلاً – أن ارتباطها بعمل قد يسهم في حل المشكلة أو تخفيفها.. وأرى عدم الوعد بتقديم أي لون من

المساعدة، خارج إطار المشكلة، كالبحث للمتصلة عن عمل، أو التوسط لها في ذلك، كون المشكلة ذات بعد اقتصادي، أو التواصل مع مدرسة أبنائها، كون والدهم مهملاً، متخلياً عن مسؤولياته. أو البحث لها عن زوج، ثم قد يكون المرشد، عندما تتهمه زوجته بأنه هو - في النهاية - الزوج المبحوث عنه، فيكون تسبب لنفسه بالتخبيب. (!!)

السادس عشر: البعد عن الإجابات (الكليشة)، أو (الكربونية)؛ فلكل مشكلة ظروفها؛ ويجب ألا يسارع المرشد بالجزم، في تفسير أسباب المشكلة حتى يستوعب ظروفها استيعاباً تاماً. فالمشكلات مثل الأمراض، قد تبدو مظاهرها واحدة، لكن أسبابها مختلفة؛ فالصداع قد يكون من تلبّك البطن وسوء الهضم، وقد يكون من التهاب الأسنان، أو التهاب الأذن، وقد يكون من شدة التركيز، وقد يكون حتى دونما سبب كأمرٍ عارضٍ، كمرض الشقيقة.!

والمشكلات الزوجية تبدو كذلك، كما ذكرت سابقاً؛ فصمت الزوج قد يكون وراءه حساسية الزوجة، وكون الزوج يشعر أنها تتحسس من كل كلمة يقولها، ومن ثم تطالبه بتفسير ما يقصد منها، وقد يكون اختلاف نمط الزوجين في الوقار والهزل، وقد يكون كثرة نقد الزوجة الزوج، ومقارنته في اهتماماته ببعض من حولها، وقد يكون الصمت طبعاً غالباً في عائلته.!! وحين يسمع المرشد شكوى الزوجة، ويذهب فقط إلى حاجة الزوجة للكلام، ويتهم الزوج بتفضيل الآخرين، كون الزوجة تسمع ضحكاته مع أصدقائه في المجلس، وصمته عندها (!!)، ولم يتسع فهمه لدوافع أخرى، يكون أجحف في حق الزوج، ووضع مسماراً في جدار العلاقة الزوجية.!

السابع عشر: عدم المسارعة إلى إدانة الزوج، حين شكوى الزوجة منه، دون معرفة ملابسات الأمور، أو العكس، وقد يكون وراء المسارعة بإدانة الطرف المشكو منه؛ زوجا أو زوجة، مرور المرشد / المرشدة في تجربة مرّة؛ لمستشار مع زوجة، أو لمستشارة مع زوج، أو لهما مع أخ أو أخت. وهو ما طبع في ذهنه أن الأخطاء والإشكالات لابد أن تكون صدرت منه.!!

الثامن عشر: حين تشكو زوجة / زوج من مشكلات من المهم معرفة مستوى الحياة / العلاقة بجملتها، فقد تكون حياة الزوجة منتظمة، وإن كان فيها شيء من الظلم، وظروفها فيها قدر من الصعوبة، والتعرض لنقد وضعها لن يحل مشكلتها، لكنه سيحدث قدراً من (زيادة في) الاضطراب في العلاقة، التي تتحول إلى قدر من التعب النفسي، المبني على استشعار الظلم. طبعاً هنا العقل يملي على المرشد أن يبحث لها عما يؤدي إلى علاج المشكلة، والتعامل الأمثل مع الوضع، دون أن ينصب حديثه على انتقاد لأحد طرفي العلاقة، يضر ولا ينفع.

التاسع عشر: الابتعاد عن (أيّ) صورة أو صيغة تسهّل الطلاق، أو تهوّن من أمره، فضلاً أن تدفع إلى التفكير فيه، أو تصرح بطلبه.. مثل بعض التساؤلات:

- كيف صابرة عليه.؟!
- ما الذي ستخسرينه، لو تطلّقت.؟!
- مثل هذا.. المفروض المسارعة إلى خلعه.؟!
- اذهبي إلى بيت أهلك واتركيه، فسيأتيك خانعا.
- طلقها، أو اهجرها.
- تخلص منها في أسرع وقت؛ فمثلها لا يمكن تحملها.

وحريّ بالمرشد العاقل عدم موافقة أو مسايرة من تستشيره من النساء، أو الرجال، في طلب الطلاق، ليشعروا أن هناك وجهة نظر مختلفة. خاصة حين يرى المرشد أن الحياة - فعلاً - لا تتطلب الطلاق. بل الأولى بالمرشد أن يؤكد على الزوجة حين تبدي له بعض ملاحظات على زوجها، أو تذكر له شيئاً من المعاناة معه، أن يؤكد لها أنها هي (أبصر) الناس بوضعها، وأن القرار قرارها، ونتائجه عليها هي، أو لها؛ إيجاباً أو سلباً. وليؤكد لها ألا تعتقد أن الطلاق سيكون بالتأكيد حلاً، فقد يكون ما بعد الطلاق أسوأ مما قبل الطلاق.

العشرون: حتى في الحالات التي يعدها المرشدون خطأً أحمر، من المهم ألا يستعجل بالتوجيه وإبداء الرأي، فضلاً عن الإدانة قبل أن يتملّى الحدث جيداً، ويضعه في موقعه من لوحة الحياة الزوجية بجملتها. ويمكن أن تبدي الزوجة انسحابها، حتى ولو ذهبت مدة لأهلها، بل ويمكن - كشرط للرضى والمسامحة - أن تطلب كتابة تعهد بعدم تكرار ما جرى، لكن من الحمق الإجهاز على الحياة الزوجية في وضع كهذا، مع ما يلحقه من تشتت الأولاد، وانهدام البيت.

الحادي والعشرون: لابد أن يأخذ المرشد دائماً في اعتباره أن يتحدث مع طرف، وأنه يسمع الصوت فقط، وهو زاده في الحكم، وقد يكون يسمع الكلام أول مرة.. فربما لو تكررت المكالمة لتغير شيء من الكلام، واتضحت أوجهٌ كانت خافية، وربما لو اتصل الزوج (الطرف الثاني بعامة) لكشف شيئاً معيبًا ولاتضحت الصورة قريباً من التكامل.

وما مضى لا يعني أن الزوجة ـ مثلاً ـ حين تكون هي المتصلة ـ أنها تكذب أو تتقصد الكذب، لكنها قد تكون في حالة غضب وانفعال، وقد يكون ذلك الغضب والانفعال أعقب موقفاً اختلفت فيه مع زوجها، أو طلباً قابله زوجها بالرفض، وهي تراه مهما، أو تراه حقاً طبيعيا لها.

ومن يعمل في ميدان الاستشارات، سيلاحظ في اتصالات النساء وشكواهن، بصورة أوضح، أن هناك ـ أحياناً ـ قدراً من الانتقاء.. فمثلاً قد يكون الزوج تاركاً للصلاة، أو يتعاطى، أو حتى يشرب الخمر، لكن الزوجة صامتة.. لكنها الآن بادرت بالاتصال لأنها رأت في جواله اتصالا مع امرأة، فثارت ثائرتها، وجاءت تشكو أنه لا يصلي، أو أنه يشرب الخمر، مع أنهما متزوجان من سنوات، وأن سلوكاته التي تشكوها صَاَحَبَته منذ ارتباطه بها...!!

وهناك زوجات يكون هدفها من الاتصال مجرد التعاطف، لا إصدار الحكم على زوجها، وهو كثير. ومن يعمل في مجال الاستشارات ربما سمع كثيراً قول المتصلة: أنا أريد حلاً، ولكن غير الطلاق...!

الثاني والعشرون: أن يبتعد المرشد عن التعريج على جوانب من حياته الخاصة (اللهم إلا في سبيل التأكيد على (طبيعة) السلوك الذي تأتي الشكوى منه؛ وقوع زوجة المرشد فيما تشكو منه الزوجة، أو أنه سلوك قد يمارسه جملة الرجال).

وتكون المشكلة أكبر حين تبدو (المثاليات) في حياة المرشد.. خاصة وثمة صورة (ذهنية) ساذجة، لدى كثير من العامة عن حياة المرشدين والمتخصصين في موضوعات الأسرة مع زوجاتهم وأولادهم.!! وأنهم دائماً وأبدًا في سعادة، وهذا غير صحيح فالمرشد بشر يحدث في حياته مشكلات أسرية كباقي الناس وأفراد المجتمع.

الثالث والعشرون: عدم حماس المرشد الزائد، وتفاعله مع (كل) مشكلة صغيرة أو كبيرة لمن يتصل عليه من الزوجين، والزوجات خاصة، واجتهاده في تقديم ما يراه من حلول قد يعمّق تصوراً لدى المتصلة بأن حياتها مجموعة من المشكلات، وبالتالي قد تزهد فيها، وتتطلع إلى حياة تحلم أن تكون أكثر هدوءاً. والمرشد العاقل من المهم أن يؤكد أن (كل) البيوت تحوي مشكلات، وأن المشكلة ليست في وجود المشكلات، ولكنها في نظرة أهل البيت لها، وأساليبهم في التعامل معها.

فاجتماع طرفين من بيئتين مختلفتين وبثقافتين متباينتين، ومن جنسين مختلفين، من المؤكد أنه سيوجد أرضية للاختلاف.. وقد تحجب ظهور هذه الاختلافات لباس المجاملة الذي يضفيه كل من الطرفين على علاقته بالآخر أول أيام الزواج، وربما حتى في شهوره الأولى.. لكنّ أثر تلك العوامل سيبقى، وثوب المجاملة ستمزقه الأيام لتظهر تلك الاختلافات.. لكن الزوجين اللذين يدركان هذا، ويستعدان له، ويتزودان بالمهارات اللازمة للتعاطي معه، ستصبح تلك المشكلات عاملاً إيجابياً لتحريك الجو، وتعميق العلاقة.

كما أن من المهم أن يجتهد المرشد في ألا يعطي حلولاً، والأولى أن يعطي وجهات نظر، لما يغلب على ظنه أن من يتصل عليه قد خفيت عليه في لجّة المشكلة.. لكن الأصل من المرشد أن يمنح المسترشد مهارات تساعده في التعاطي مع هذه المشكلة، ومع مشكلاته الأخرى القادمة، أي أن يزوّده بـ(عُدّة) يحملها معه، لتساعده في كل محطة (يتعطل) فيها.

ومثلما يحدث من تخبيب الزوجة، وببعض الأسباب السالفة، يمكن تخبيب الزوج.. ولذا من المهم على كل مستشار عاقل، يقصد الإصلاح، أن يتذكر – دائماً - أنه يسمع من طرف واحد، وأنه حتى مع فرضية صدق ذلك الطرف، فإن ذلك الطرف ينظر للأمر بـ (نظارة) تكوينه النفسي والثقافي والعقلي، وقد يكون له دور فيما يحدث. وربما كان ذلك الدور (كبيراً)، دون أن يدرك ذلك. ولذا فإن مهمة المرشد هي تبصير هذا المسترشد بواقعه الحقيقي بقدر الإمكان. وإعادة رسم سيناريو الموضوع بصورتين؛ الصورة التي رواها الزوج، والقائمة على تفسير سلوك الزوجة – مثلاً - بالفوقية والغضب والعناد وجملة التصورات الخاطئة. والصورة التي يمليها الدين والعقل والواقع والوعي والتفكير السليم.

خاصة والمرشد يدرك أن المسترشد لولا أنه يجد في زوجته جوانب مشرقة، وأنها تلبي له جملة من حاجاته، وهو ما يجعله يحبها، وإلا لبادر بطلاقها. لكن من المؤكد أن الزوج يشكو من جانب يمثل (إزعاجاً) له. وقد يكون زَادَ هذا الإزعاجَ كثرةُ (تكرار) هذا السلوك. ومن ثم فتزويد المسترشد ببعض الأساليب التي تمثل له برنامجاً لمعالجة ذلك السلوك هو أساس المعالجة. ومن المهم جداً اجتهاد المرشد في تزويد المسترشد بصورة (تفسيرية)، توضح له بإن ذلك السلوك لا يقصد منه ـ كما سبق إلى ظنه ـ تحديه، أو عناده أو اللامبالاة، بقدر ما يعني أنه سلوك لحق الزوجة وتبرمجت عليه من محيطها الأسري، الذي قدمت منه.. وقد يكون إبداء قدر من التعاطف جزءاً من عملية الاستشارة؛ كونه يسهم في بناء الثقة، لكن ذلك ـ بالتأكيد ـ لا يستلزم إدانة الطرف الآخر. ومنح الثقة والدعم النفسي للمستشير، وإشعاره بقدرته على التعامل الأمثل مع المشكلة، وأن إقدامه على الاستشارة دليل على نضجه العقلي له دور في مساعدته بالصورة الجيدة والصحيحة.

وأخيراً فإن بعض المرشدين والمرشدات قد يتحدث فيما يرده من مشكلات، في بعض المجالس العامة، التي تحوي أخلاطاً من الناس، من الرجال والنساء، ووقتها قد يلفت نظر بعض ضعفاء العقول، من الجنسين، إلى شكاوى بعض الناس من وجود سلوكيات لدى شركائهم، قد يكون بعض من يسمعونهم يعيشونها،

المرشد والمرأة:

ثمة موضوع لا أرى أن الكتابة في مثل هذا الموضوع يمكن أن تكتمل دون الإشارة إليه، والوقوف عنده، وهو العلاقة التي تحكم المرشد بمن يتصل عليه من النساء.

أن من الطبيعي وجود الميل الفطري بين الرجل والمرأة، وحتى أسوأ الرجال في بيته ـ غالباً ـ حين يلتقي بامرأة (أجنبية) لا تعرفه فإنه سيبدو بصورة (مختلفة) جداً، عما عهد منه من أخلاق.. سيبدو في غاية الأدب واللطف..

وحتى المرأة لو كانت ذات خلق سيئ، وصوت عال حاد في بيتها فإنها – غالباً - حين تحادث رجلا (أجنبياً) ستبدو في صورة (نموذجية) من اللطف والهدوء.

والمرشد في الأصل رجل لديه خصائص الرجال، ومن ثم فما لم ينتبه لسلوكه، ويضبط إيقاع كلامه، مع من يتصل عليه من النساء فإنه قد يترك أثراً سلبياً، أبعد ما يكون عن الوظيفة المهمة التي يلبس ثيابها، والمهنة التي يمارسها وإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قال: (المستشار مؤتمن)، وهو ما يتوجه إلى استشعار الصدق والإخلاص، فيما يقوله المرشد ويراه، لمن تواصل معه، في موضوع يطلب رأيه فيه.. فكيف حين يهتزّ حبل الأمانة، في الضعف أمام المتصلة من النساء.

لذا فإن كثيرين ينادون بتأهيل مزيد من كوادر نسائية، تكون هي من يتلقى استشارات النساء.. لكن في ظني ـ أن هناك أموراً سيبقى الرجل - بعامة - يفيد المرأة فيها أكثر مما تفعل المرأة. وهنا لا يكون الأمر متكئاً على مجرد ابتعاد الرجل عن استقبال استشارات النساء، ولكن وجود ضوابط يؤطر نفسه فيها، حتى يكون بعيداً عن الوقوع في فخ الضعف البشري، ومن ثم تحويل العلاقة إلى علاقة غير مهنية (شخصية) أبعد ما تكون عن هدفها الأصلي.

والعاقل من الأصل حين يعرف من نفسه الضعف أمام كلام النساء فإنه يحرص على البعد، ويربأ بنفسه أن يضعها في امتحان يخشى معه الرسوب.

خاصة وأن من يتصل من النساء، مع الجهة الأخرى، الكثير منهن حال ضعف، سواء منهن من تعاني من مشكلات مزمنة مع زوجها، ومن مضى بها قطار العمر دون زواج، ومن تعرضت للطلاق فكسرها، ومن فقدت زوجها، ومن تعيش مشكلات داخل أسوار أسرتها.

وإذا كان الميل الفطري قاسماً مشتركاً بين الرجال بعامة، فإن هناك بعض الرجال يكون تأثره بالحديث مع النساء كبيراً، بل قد يؤثر في حياته الزوجية، وهنا فعلى الرجل العاقل حين يرى من نفسه شيئا من هذا أن ينجو بنفسه، فالسلامة - كما يقال - لا يعدلها شيء، وسيجد ذلك الرجل من المجالات والميادين ما يفيد فيه، دون أن يوقع نفسه في أمور هو غنيٌّ عنها.

ولا أزال أتذكر، بكثير من الإعجاب، شجاعة أحد الزملاء حين عمل معنا قبل قرابة خمسة عشر عاماً، في مركز للاستشارات، وبعد أن مضى أسبوعان قدَّم للمسؤول طلب إعفاء مصرحاً فيه أن تجربته في الحديث مع النساء جعلته يدرك أنه غير مناسب لهذا العمل، وأن من مصلحته الابتعاد.

وقد يزيد الأمر سوءاً أن يكون المرشد يعاني من مشكلات مع زوجته، أو أنها لم تملأ عينه، ما يجعله يعيش تفكيراً في الزواج من أخرى.!!

وبعض النساء قد تتحدث مع المرشد، بطريقة فيها قدر من تسويق ذاتها؛ فتشير إلى أنها – مثلاً – في الخامسة والثلاثين، ولديها ثلاثة أطفال، ولكنها كثيراً ما تخطب في المناسبات، يحسبون عمرها خمساً وعشرين، وأنها لم تتزوج بعد طلاقها.!!

أو تشير إلى أنها – كما تقول، بحمد الله – جميلة جداً، ومثقفة، ومؤدبة.!!

وسواء أكان هذا التسويق عن قصد أم لغير قصد، فإن المرشد الضعيف قد تهفو نفسه، بينما المرشد الحصيف يدرك ما يكسو ذلك الكلام من المبالغات، وأحياناً لا يلزم أن يكون المرشد لديه قابلية شديدة للتأثر بالنساء، لكن طول الاتصال، والتسكع بالحديث بعيداً عن إطار المشكلة، ومنح الهاتف الخاص، قد يقود للوقوع في أخطاء كبيرة جداً.

وقد وقفت على حالات ضعف فيها المرشد، وحدثت علاقة بينه وبين إحدى المتصلات، انتهى بها الأمر إلى الطلاق، وبالفعل تقدم لها، وتزوجها، لكن زواجهما لم يستطع الصمود أكثر من أشهر، كون قواعده وضعت في رمل العاطفة.!!

وإذا كان غالب من مرّ عليّ نماذج منهم هم من أصحاب دكاكين الاستشارات العشوائية، فثمة نموذج لا أزال أذكره، مع مرور أكثر من عشر سنوات عليه.

وأذكر أن زوجة في الثلاثين تواصلت معي، وذكرت أنها متزوجة من ست سنوات، ولديها طفلان، وراحت تشكو – كما تقول – وجود اختلاف بينها وبين زوجها، ففي الوقت التي تتوق وتنشد الرومانسية (!) وتعشق الثقافة، فإن زوجها يغلب عليه الجفاف والجفاء، وهوايته كثرة الخروج للبر.!

أخذتُ أُذكّر تلك الزوجة بالجوانب الأساسية للحياة الزوجية، مع بعض اقتراحات يمكن أن تسهم – ولو جزئياً – بردم شيء مما تحسّه من الفجوة، وقلت لها: إن الرومانسية تشبه (الكريمة) التي توضع فوق الكيكة، فهي قد تزيد طعمها بالفعل، لكنها بالتأكيد لا يمكن أن تُغني عنها.!

اتصلت علي بعد شهر، وذكرتني بمشكلتها، التي سبق وأن عرضتها علي، ثم قالت: أريد أن أقول لك شيئاً، ولكني أخشى أن تغضب مني.!

قلت لها: ولم أغضب.؟ الحياة حياتك، وتصرفاتك محسوبة عليك، وما أنا إلا مرشدٌ أُبْدِي وجهة نظري، فيما يعرض علي، كوني خارج دائرة المشكلة.

قالت: كنت أستشير مرشداً في أحد المراكز، وبعد مدة أعطاني رقمه الخاص، وزاد تواصلي معه، وأحسست أنه أقرب إلى طبعي من زوجي، وحين أحسن ذلك مني، صارحني هو بإحساسه بذلك، وأن زوجته بعيدة عن اهتماماته وطبيعته.! وأردف بأنك لو تطلقت فإنني سأتقدم لك.. قلت لها: إن القرار قرارك - كما أسلفت - لك.. لكن خبرتي في الاستشارات، تؤكد لي بشكل جازم بأنك لو فعلت هذا فإن زواجكما

– إن صمد – لن يزيد عمر شجرته عن ستة أشهر إلى سنة، لتذوي وتموت، لأنها غُرست في أجواء عاطفية، وعلى أرضية هشّة.

وحاولت وقتها، بعيداً عن اتهام ذلك المرشد، أن أذكر أن القواسم بينها وبين زوجها (أكثر) من الاختلاف، وأن الاختلافات بينهما (هامشية) في مقاصد الزوج، بينما القواسم (أساسية)، وأن عليها أن تتمسك – جيداً – بزوجها، وأن تتذكر أن ما (جمّل) صورة ذلك المرشد هو (كثرة) الاتصال، وإطلاق الخيال.!

وأذكر أن فتاة مطلقة ولها طفل، تواصلت معي مرشدة، وذكرت أنها تتواصل منذ سنتين (!!) مع مرشد، وأنه عرض عليها أن يبحث لها عن زوج، ومع مرور الوقت، ومتابعتها إياه بالسؤال، عرض عليها نفسه..!!. وقد حذرتها – وقتها – بشدة، وأن زواجاً تم الوصول إليه بمثل هذه الطريقة هو زواج – أراه – فاشلاً.

ومرة استشارني زميل يعمل في الإصلاح عن كونه دخل في قضية فتاة تورطت بزوج مدمن، وأنه كان يضربها، ويتعامل معها أسوأ التعامل، وأنه جمع لها مبلغ المهر، لتخلع ذلك الزوج، وتدفع إليه مهره، لتتخلص من رحلة العذاب، التي عاشتها أكثر من سنتين. وبعد أن انتهت الإجراءات عرض عليه أهلها أن يتزوجها إعجاباً به، وارتياحاً له.! لكني قلت له: إنني أرى أنه مهما كانت مقومات المرأة، التي دخلت في قضية لها، انتهت بالطلاق، ألا تفكر مجرد تفكير بالزواج منها، فمهما كانت نيّتك فإن أول ما يثب إلى ذهن من يعرف الموضوع أنك إنما دخلت في موضوعها، منذ البداية، وفي نيتك الزواج منها.. وكأنك كنت تقصد بطلاقها من زوجها أن تتزوجها.

أ - كيف ينجو المرشد الأسري من الوقوع في التخبيب

أ. مها العومي

يواجه الإرشاد الأسري الزواجي تحديات صعبة لما يكتنفه من مسؤولية مهنية وممارسة أخلاقية من قبل المرشدين الأسريين، وأبرز تحدياته الإخلال بأهدافه في منفعة الزوجين وإعادة الوفاق والوئام لعلاقتهما وبدلاً من ذلك إحلال النفور والشحناء والتباعد بينهما.

السؤال: هل يمكن أن تتسبب مشورة المرشد الأسري بضرر للزوجين؟

إن الأصل في الاستشارة الزوجية ألا تكون ضارة بالزواج، إلا إنه رغم تمتع المرشد الأسري بالمهنية والخبرة وحسن النية في الإصلاح، إلا أنه بشر يعتريه الصواب والخطأ، وقد يقع في أخطاء قد تضر حياة عملائه وتضر مهنة الإرشاد الزواجي ومقاصدها بقصد أو بدون قصد.

ومن أهم هذه الأخطاء قضية (التخبيب) وهو تخبيب المرأة على زوجها وإفسادها عليه بأي نوع من أنواع الإفساد، أو العكس إفساد الرجل على زوجته، وينشأ هذا الخلل عندما يقدم طرف ثالث مشورته بطريقة تتسبب في تقويض العلاقة الزوجية والإضرار بها، وتكون المشكلة أعظم عندما يكون هذا الطرف معالجًا أو مرشداً أو شيخاً مؤثرا. لذلك يُقال "العلاج السيئ أسوأ من عدم وجود علاج على الإطلاق"

يتناول هذا المحور كيف ينجو المرشد الأسري من التخبيب بين الزوجين، من خلال نقاط استبصار تزيد من يقظة المرشد وسعة إدراكه في هذا الموضوع الكبير ويمكن اعتبارها سبل النجاة من التخبيب بين الزوجين، وتحتوي هذه السبل على كل ما يقوي إدراك ووعي المرشد الأسري لمسؤوليته الأخلاقية والمهنية في العملية الإرشادية من حيث الضر والنفع، وتتداخل هذه السبل لتشكل منظومة ووحدة واحدة لما ينجي المرشد بعد عون الله وتوفيقه من الوقوع في التخبيب بين الزوجين، ومن ذلك:

أولا: الخوف من الله عز وجل:

إن أعظم منجاة للمرشد الأسري من (التخبيب) هو خوفه من الله عز وجل وتقواه له فيما يقوم به من أمانة الإرشاد الأسري، وامتثاله لتعاليم ديننا الحنيف في الإصلاح بين الناس ونبذ كل ما يؤدي إلى الفرقة والشحناء بين الناس، وقد اختص الله عز وجل العلاقة الزوجية بكثير من الأحكام الشرعية التي تحفظها وتصونها، ومنها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده) أخرجه أبو داوود.

إن استشعار المرشد لعلم الله سبحانه بما يفعله في إرشاد الناس، وأمانته في الخوف من الإفساد بين الزوجين قصداً أو بدون قصد، وما يترتب عليها من حرمة وإثم يلحق مرتكبها لهو كاف لحرص المرشد على أن تبرأ ذمته مما يحاسبه الله عليه في الدنيا والآخرة.

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أهلهِ وَحَكَمًا مِّنْ اهلهَا إن يُرِيدَا إصلاحا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَاۗإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)٣٥النساء.

إن تقوى الله ومخافته عز وجل مصباح ينير البصيرة، ويكسب العقل رُشداً وتوفيقاً، وهذا ما يرجوه المرشد من الله سبحانه وتعالى في رسالته الإرشادية بين الأزواج.

ثانيا: التركيز على المنطقة المركزية في الإرشاد

إن الغاية العظمى للإرشاد الأسري هي مساعدة المسترشد/ة لرأب صدع علاقته مع شريك حياته، واستعادة الوفاق من جديد معه، لذا يُجمع متخصصو (العلاج والإرشاد الزواجي) على أن (**العلاقة هي العميل الحقيقي**) وهي النقطة المركزية في الإصلاح، وعليه فإن أدوات المرشد وممارساته الإرشادية الصحيحة تنطلق في منظورها في هذا الاتجاه وتركز عليه.

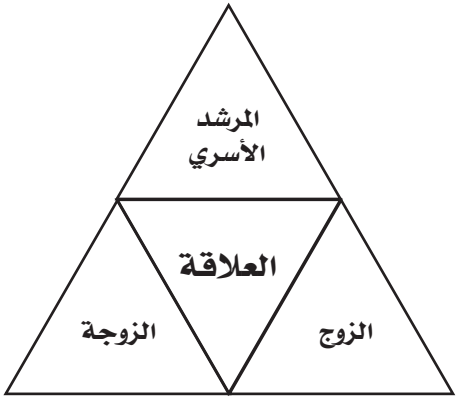

فمن خلال هذا التركيز بالإمكان إنقاذ حتى أسوأ الزيجات بعون الله وتوفيقه، فالمرشد يعمل على إنعاش العلاقة بين الزوجين وبث الحياة من جديد داخلها، بتعزيز الرؤية الإيجابية للزواج وتعزيز السلوكيات المحبة والاحترام المتبادل والتصرف بطريقة زوجية مسؤولة.

وهي تُعدُّ بمثابة بوصلة الطريق للمرشد، وقد اعتبرها (د. وليام جلاسر) صاحب نظرية الاختيار والعلاج بالواقع بأنها دائرة الحل التي تحدث التغيير الأمثل بين الزوجين، كما يرى أن الزوجين شخصان والعلاقة ثالثهما.

وكل ما سبق هو مصداق قول الله تعالى: (**إِن يُرِيدَا إصلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**) فالإرادة لدى طرفين، والإصلاح في الطرف الثالث "العلاقة"، والمرشد في ذلك حَكَمُاً يقود للتوفيق بحول الله عز وجل وليس إلى التخبيب.

ثالثا: مراقبة المنفعة والضرر في العملية الإرشادية

إن القضايا الأخلاقية في التخبيب مرتبطة بالسياق الذي تمت فيه، وتعتمد على ما يجري في العملية الإرشادية نفسها، ويستطيع المرشد فهم هذه السياقات وتأثيراتها من حيث النفع والضرر، ومراقبتها بذكاء وفطنة ومهنية عالية، وذلك بالانتباه للمسارات التالية:

مسار "تشخيص المشكلة"

فخ القصة الأولى:

في بداية الاستشارة يقوم المسترشد بسرد قصة من طرف واحد فقط، حول مشكلة أو مواقف سببت له الألم والتعاسة مع زوجه/زوجته، يبدو فيها الشريك الغائب بوصفه جانيًا وراوي القصة كضحية، وفي العادة قد يبالغ "المشتكي" في التأثير العاطفي ليحصل على التعاطف، مما يشكل على المرشد فيتماهى عاطفياً مع القصة المروية ويكون تصورًا مباشرًا دون التثبت.

ورغم أن الاستماع للمسترشد/ة من أولويات الإرشاد، إلا أنه في العادة تكون الرواية الأولى مفلترة ومعدلة لا شعوريًا من المسترشد، حيث يروي وقائع المشكلة لصالحه والتي يتضح بعد السؤال والتثبت أنها ليست كما رويت نقصاً أو زيادة.

لذا لابد للمرشد الأسري أن يحافظ على مساحة تقييميه خاصة به بعيداً عن تأثير القصة الأولى والتي يرى من خلالها أبعاد مختلفة للاستشارة دون تسرع في الأحكام وظلم للطرف غير الموجود.

الانزلاق في المنطقة الميتة "dead zone":

حينما يستشير المسترشد يكون عالقاً فيما يسمى (المنطقة الميتة) وهي حالة ذهنية غير متزنة انفعالياً متبادلة مع شريك الحياة، تتسم بانخفاض الثقة والصبر وتتسم بالصراع بغضب والإحباط والحنق والاتهامات المؤذية للآخر، وسميت ميتة لأنها تفتقر للاهتمام والحب والألفة تجاه شريك الحياة.

على المرشد أن يحذر الانزلاق في هذه المنطقة مع المسترشد وتفاصيلها المشحونة بالصراع، فمما يشكل على المرشد اعتقاده أنها لبّ المشكلة بينما هي عرض من أعراضها.

وقد قيل إن تقديم المشورة للأزواج في المنطقة الميتة "يشبه تجميع طائرة في رحلة مرهقة شديدة التقلب" لذلك تحتاج إلى فني ماهر في السيطرة، وليس كل المرشدين مدربين على التغلب على الرياح العاتية لعلاقة في أزمة وضيق.

وقد فطن بعض علماء العلاج الزواجي لهذا الأمر مثل: د. وليام جلاسر في منهجه في "العلاج بالواقع"، و د.

جون جوتمان في منهجه "المبادئ السبعة للزواج الناجح"، حيث أجمعا أولاً على مساعدة المسترشد للخروج من هذه المنطقة وليس مشاركته صراعاتها، حيث يمكن مساعدته بأدوات الإرشاد الزواجي للوصول لأرضية مشتركة في علاقته الزوجية تؤدي به إلى مستوى أعلى من المودة والرضى الزوجي.

ويلعب ثبات شخصية المرشد دوراً كبيراً في التعامل مع هذه المنطقة، مع تمكنه من أدوات إرشادية فعالة في الاستفادة القصوى للمسترشد لتجاوز الصراع والخصومة، لذا لابد للمرشد الأسري من تطوير مهاراته الإقناعية والتدرب على الأساليب العلمية في إدارة الحوار مع الأزواج ليقود دفة الإرشاد الزواجي الصحيح، وبذلك ينجو من أخطاء التخبيب المحتملة في هذه المنطقة بعد توفيق الله عز وجل.

تخريب التحليل النفسي:

يلجأ بعض المرشدين الأسريين للتحليل النفسي داخل الاستشارة ويتبنى فكرة معالجة الزيجات المختلة باعتبارها مشكلة نفسيّة أكثر من كونها مشكلة زوجية.

حيث يبني إرشاده على هذا التشخيص، مثال: قول المرشد للمسترشدة "أخشى أنك متزوجة من رجل لديه اضطراب الشخصية النرجسية"، ونفس الأمر قد يقال للزوج عن زوجته كأن يصفها المرشد "باضطراب الشخصية الحدية".

مما يشوه صورة الطرف الآخر ويؤدي للتنافر والاستياء بين الزوجين، كما يؤدي إلى مزيد من المشاكل والإحباط في العلاقة.

كما أنه سيؤثر تأثيراً عميقاً في الطريقة التي ينظر بها أحد الزوجين لصاحبه، فبينما كان يؤمل تحسن علاقته الزوجية بالاستشارة، أصبح مقتنعاً بأن شريكه مضطُرب نفسيا، فيتوقف عن محاولة إصلاح العلاقة وسيتنصل من مسؤوليته داخلها، لأن المرشد أخبره بأن الخلل في الطرف الآخر وليس فيه هو، ناهيك عن الضرر الأكبر إذا اتخذ المسترشد قرار الطلاق نتيجة لذلك.

وعليه فلابد من وعي المرشد بالحقائق التالية لكي ينجو من هذا التخريب:

١. هناك فرق بين العلاج والإرشاد الزواجي وبين العلاج النفسي، الأول يتعامل مع قضايا الأسرة والأزواج، أما الثاني فيتعامل مع قضايا الصحة النفسية والعقلية للأفراد ولكل منهما مدارسه الخاصة، والجمع بينهما في الإرشاد الأسري لابد له من الخبير المتخصص والمؤهل علمياً وعملياً في العلاج الزواجي والصحة النفسية معا.

٢. أنه ليس كل مرشد أسري معالجًا نفسيًا، وليس كل معالج نفسي مرشدًا أسريًا.

٣. عدم استخدام المعلومات النفسية في الإرشاد إلا وفق مصادرها العلمية الموثوقة، بشرط التدرب عليها عملياً بإشراف خبير أو ممارسة ميدانية في المراكز المتخصصة.

٤. إن الثقافة النفسية الهجينة المنتشرة هذه الأيام، والمركبة من الجهل والحماقة في تشخيص نفسيات الناس والحكم عليهم بناء عليها لهو من أكبر المصائب في التخبيب.

٥. يجب على المرشد تجديد ممارساته بالتعلم المستمر، ومواكبة الاتجاهات الجديدة في العلاج الزواجي والإرشاد الأسري كبرنامج "العلاج الزواجي المتكامل".

٦. التخمين النفسي من المرشد لأحد الزوجين بدون دلائل علمية أو قياسات نفسيّة متخصصة، وسواءاً أكان صحيحًا أم لا، فإنه سيلحق لا محالة الضرر بالعلاقة، وبذلك يكون الإرشاد في الاستشارة فقد بوصلته وغايته من الإصلاح.

٧. يستطيع المرشد الكفء التمييز بين الاضطرابات النفسية وما يترتب عليها من صعوبات ومعاناة زوجية، وبين الأعراض النفسية التي تصاحب ضغوطات المشكلات الزوجية.

٨. في المحصلة المرشد مسؤول عما يتلفظ به في هذا الشأن، وعما يحدثه من تأثير على حياة المسترشد من حيث الضرر أو النفع.

الحيادية لا التحيز:

ينطوي العمل مع المشكلات الزوجية على إدارة تحالفات متعددة فقد يكون للزوجين احتياجات متضاربة أو متنافسة، فلا ينبغي للمرشد أن ينحاز لجانب واحد ويفضله على الآخر.

المرشد الأسري ليس محاميًا عن طرف دون طرف، وأن مساعدته ليست لإثبات نقطة أو كسب القضية لأحد دون الآخر ومن ذلك:

١) مراعاة الحدود المهنية والأخلاقية في التدخل حياة المسترشد فهي حياته وليست حياة المرشد، ومن ذلك التوغل الزائد وغير المناسب في خصوصياته.

٢) ألا يصدر المرشد أحكاما بناء على أفكاره الخاصة عن الصواب والخطأ والتفضيلات الشخصية حولها وما يراه شرعيًا من وجهة نظره، ومن ذلك إثارة الشكوك حول سلوك الزوج/الزوجة، مثال أسئلة:" هل تعتقدين أن زوجك على علاقة بامرأة؟" أو "هل تثق في زوجتك لهذه الدرجة؟ ".

٣) تحييد القناعات الشخصية تجاه المواقف الخاصة بالجنسين (رجال ونساء) مثل تحيز المرشد ضد النساء مثلا: اللواتي يسيئون لفظيًا، أو كره المرشدات "للسيطرة "عند الرجال، يجب ألا تؤثر هذه القناعات الشخصية في الاستشارة لكيلا تسقط على الأزواج فيؤثر في توجهاتهم ضد بعضهما البعض ويحدث التخبيب.

٤) أن يتجنب تضارب المصالح ولا يوافق على رؤية المسترشدين ذوي المصالح المتنافسة مثل الأشخاص في المعارك القانونية أو معارك الوصاية (باستثناء عندما يتم تعيينه صراحةً كوسيط).

٥) أن يحذر تعميم الأوصاف المسيئة على السلوك الزوجي العادي باعتباره إساءة نفسيّة أو جسدية أو علاقة سامة، فقد يتأثر المرشد بقصص الإساءة الزوجية في الاستشارات الصعبة، فتصبح نظرته سوداوية لأي مشادة أو تفاعل زوجي سلبي فيختلط لديه تشخيص الحالات بشكل صحيح.

٦) على المرشد عمل فلترة دورية وإجازة من تقديم الاستشارات ليستعيد فيها توازنه النفسي والذهني حتى يعود لمنطقة الحياد والموضوعية في الاستشارات.

مسار "استبصار الحلول"

تتفق جميع مدارس الإرشاد والعلاج الزواجي على حقيقة أن الزوجين هما (الخبير الحقيقي) في استبصار الحلول التي تناسبهما، فالمرشد الأسري لا يقدم الحلول للمسترشد، وإنما يساعده في التفكير والاستبصار السليم بما يناسب الاستشارة، ومع ذلك قد يقع التخبيب حينما يثق المسترشد ثقة عمياء بالمرشد ويقبل ما يعرضه عليه دون فحص أو تقييم.

لكي ينجو المرشد من التخبيب في هذا الجانب عليه بالآتي:

١) لكل مرشد أسري طريقته الخاصة التي يمارس بها الإرشاد الأسري، ولكن هذا لا يضمن عشوائية الأدوات المستخدمة فيها، ومن جهة أخرى لا يضمن عصمتها من الأخطاء، لذا لابد أن يتبنى المرشد نموذجًا علاجيًا واضحاً يتقنه من مناهج العلاج والإرشاد الزواجي ليبتعد عن هذه العشوائية، بما يمكن قياسه وتقييم فائدته أو ضرره للمسترشد.

٢) يتطلب العمل في الإرشاد الزواجي أفكارًا حكيمة ذات إطار إصلاحي مناسب في معالجة العلاقات الزوجية وهو ما يصنع الفرق في الإرشاد، إنَّ الأفكار المعقدة تعني تطبيقًا خاطئًا ضارًا، وكلما اشتملت الخطة الإرشادية على "إصلاحات" سهلة سهل فهمها وتطبيقها وكان الأثر دائماً وإيجابياً وأكثر إسعاداً للمسترشد بما يعينه على إحداث التغيير البناء.

٣) ألا يضخم المرشد صعوبة إصلاح العلاقة مما هي عليه بالفعل لغرض في نفسه، فكما يوجد مرشد صالح سوي، فيوجد بالمقابل مرشد دنيء قد يتحكم بالمسترشد أو يتلاعب به، ويقنعه بفعل ما يعتقد أنه يجب عليه القيام به أو ما يريد منه القيام به.

٤) المرشد مسؤول عن تسليح المسترشد بالبصيرة الأخلاقية، يمكنه أن يخبره عن حقه في التراجع عن الاستشارة عندما يرى ضررها وعدم نفعها.

٥) قبول المرشد أنه لن يكون كاملاً وملماً بكل الإجابات عن جميع قضايا المسترشد، فلا يبالغ في المسؤولية عنها ويتعامل بعفوية في حلولها وبهذا ينجو من سياقات الضرر بالمسترشد من غير علم، عن ابن عباس "إذا أخطأ العالم (لا أدري) أُصيبت مقاتله".

٦) الاحتراز من الوصفات الإرشادية الجاهزة والمنقولة من مرشدين آخرين، حتى لو بحسن نية فقد تكون ضارة، فما يناسب حالة لدى مرشد قد لا تناسب مرشداً آخراً مع حالة أخرى، ويغني عن ذلك اقتراح دورات وبرامج تدريبية أو مواد مسموعة أو مرئية تناسب مسار الاستشارة وتفتح أبواب الاستبصار وتحفظ العلاقة الزوجية مما يفسدها.

٧) أن يعي المرشد أن الأصل في الاستشارة المساعدة على استمرار الزواج، فإذا قادت إلى مزيد من التوتر في حياة المسترشد، فهذا تنبيه كبير للمرشد لعمل تقييم ذاتي لنهجه في الاستشارة، فقد يطبق المسترشد المشورة بسلوك وفهم خاطئ أو يخبر من حوله بأن المرشد من نصحه فيتهمه الطرف الآخر بالتخبيب.

٨) مهما بلغ ذكاء المرشد ونجاحه في الإرشاد فلا يتوهم وجود قوة خارقة له ولا يوحي بذلك للمسترشد، فليست كل فكرة ذكية أو حيلة مفيدة فما يصلح لحالة قد يتسبب بكارثة لحالة أخرى.

٩) ألا يعزز المرشد السلبية لدى المسترشد، فالاستشارة هي الرغبة في العلاج وليس الرغبة في التصعيد والشحناء، فهو يعزز ويُرسخ العادات الجديدة الجميلة ذات السلوك المفيد للعلاقة، والمساعدة بتحويل الأفكار والمواقف والسلوكيات بين الزوجين لتعبيرات "صديقة للزواج" مع الآخر لتتحول العلاقة إلى الود والتلاقي من جديد.

١٠) لابد للمرشد أن يتسلح بأقوى مهارة من مهارات الإرشاد الأسري وهي "فن توجيه الأسئلة الصحيحة" والتدرب عليها، لأنه بعد توفيق الله ستوفر له حصانة ويقظة عالية لتجاوز سياقات التخبيب أيا كانت.

١١) في بعض الحالات يتوقع فيها المسترشد أن يمده المرشد بما يجعله يتحكم بشريك حياته. وهنا لابد للمرشد أن يكون واضحاً بأنه لا أحد يملك تغيير الأخر، ما يستطيع فعله هو التركيز فقط على السلوك الشخصي للطرف الحاضر، وليحذر أن يوافق المسترشد على حلول ضارة بشريكه، ولا يتحدث عنه بسوء بما يوحي موافقته على هذا الضرر.

١٢) أجمل ما يقوم به المرشد أن يتعلم الزوجان على يديه بعد توفيق الله كيفية الارتباط ببعضهما من جديد واستعادة الرعاية والاهتمام في العلاقة، كما تقوى لديهما عضلة التحمل والصبر لحل المعضلات في حياتهما، ويجمع مختصو الزواج أن أفضل طريقة لإصلاح العلاقة الزوجية هي أن يعمل كلا الزوجين على زواجهما معًا، إن هذا ينطوي على ما هو أبعد من حل المشكلات أو تغيير السلوك".

سؤال مهم: إذا لم يهتم أحد الزوجين بطلب المشورة هل هذا يعني أن الآخر لا يجب أن يطلب المساعدة؟

الجواب: ستكون الاستشارة الفردية مفيدة في مساعدة أحد الزوجين على معرفة المزيد عن نفسه وما يحتاجه ليكون مسؤولاً في زواجه، فالمرشد يدرك جيداً أنه عندما يكون واحدًا فقط "جاهزًا" للقيام ببعض بناء الجسور فبالإمكان أن يعود الزواج إلى المسار الذي كان عليه في أبهى صور بعد توفيق الله وعونه.

مسار اتخاذ قرار الطلاق.

يُعدُّ هذا المسار من أخطر مسارات العملية الإرشادية، إذا وقع فيها التخبيب فسيكون كما يقال: "كدق المسمار الأخير في نعش الزوجية".

ومن المعلوم بالضرورة أن أي صراع زوجي ليس دليلاً على أن الزواج محكوم عليه بالفشل، فلا تخلو كثير من الزيجات من بعض المشكلات التي يمكن إصلاحها.

وللأسف يتبنى المجتمع اليوم النص الثقافي الذي بات يعتبر الزواج أسلوب حياة يمكن التخلي عنه إذا لم يعمل جيداً، وهو بذلك يعامل كسلعة استهلاكية يمكن استبدالها في أي وقت.

إذن كيف ينجو المرشد الأسري من تخبيب الطلاق في ظل هذه الثقافة الجديدة:

١) لا ينصح المرشد الأسري ولا يشجع ولا يقنع بالطلاق لا تلميحاً ولا تصريحاً، حتى لو رأى أن هذا الزواج لا يستحق عناء الإصلاح، فالمسترشد هو صاحب الحق الوحيد في هذا القرار المصيري دون تحريض أو إيعاز من أحد، فهو المسؤول عن زواجه وخياراته فيه.

٢) المرشد الأسري ناصح أمين فلابد أن ينصح المسترشد أولاً بالعمل والتدرج في المعالجة قبل اتخاذ هذا القرار، حتى لو قام بدعوة الطرف الثاني للانضمام إلى الجلسة الإرشادية.

٣) لابد أن يتعلم المسترشد لغة الاختيار، فإذا أبدى الرغبة بهذا القرار فيؤكد له المرشد أن هذا اختياره ولا يوحي بتأييد قراره أبدا، يجب أن يستشعر مسؤوليته عما يريده لنفسه.

٤) المرشد يساعد في رؤية العيوب الخطيرة وتضارب المصالح في قرار الطلاق كجزء من استبصار المشكلة وعدم تجاهل الصورة الكبيرة بأنه عندما يفكك زواجًا فإنه غالباً ما تفكك أسرة، الطلاق له آثار مدمرة على جيل الأسرة كاملة وليس لزوجين فقط.

٥) وجود المرشد داعم لحاجة المسترشد إلى مناقشة أي قرار وليس اتخاذه عنه، فمن واجب المرشد مساعدته بالأسئلة الذكية بشأن ما هو الأفضل لعلاقته، حيث سيكون الشخص الذي سيتعايش مع أي قرار يتخذه، وقد تساعده المناقشة في استبصار قرارات قبلية متدرجة ثم هو حر في قراره النهائي.

٦) قد يُعرض المرشد بالانفصال لأجل إزالة ضغوط العلاقة الزوجية عن المسترشد، معتقداً أن أموره ستتحسن مستقبلا بهذا القرار، ليس عليه أن يحرر المسترشد من هذا الزواج، بل مساعدته في تحقيق احتياجاته بأفضل الطرق في علاقته الزوجية، وكيف يكون فاعلاً وليس عاجزاً فيها، دور الإرشاد في العمل على الزواج وليس الحث على الطلاق.

٧) المرشد لا يلغي مناقشة فكرة الطلاق كصمام أمان للحماية من الزواج المؤذي، فمرشدو الزواج

يعرفون جيداً الجوانب المظلمة والمأساوية لمثل هذا النوع من الزيجات، ومدى احتياج أصحابها للمرشد الخبير المتخصص مثال: زوجة اكتشفت أن زوجها شاذ مع الأطفال وهو لا يعترف بخطأ ولا يطلب المساعدة.

٨) قد يتفق الزوجان على الطلاق ويطلبان المشورة من المرشد إذا كان متخصصاً في ذلك ليصلا للطلاق الناجح، وكيفية التصرف بخصوص الأبناء وهذا في صلب مجالات الإرشاد الأسري، ويمكن للمرشد المساعدة بالإرشاد إلى برامج متخصصة مثل "الكوتشينج في التعامل مع الطلاق" أو دورات مساعدة لذلك.

٩) لابد من دراسة فقه الطلاق وفق الشريعة الإسلامية حيث تتناوله بكل مبرراته العادية وغير العادية بما يكون عادلاً للزوجين.

١٠) يستطيع المرشد المتمكن أن يرفض استشارات الطلاق، ذلك ليس عيباً أو انتقاصاً من مهنته في الإرشاد، بل هو دال على الاحترافية والتمكن من مهنته مثال: حضر زوجان لمعالجة زواجية فاستهل الجلسة معهما بسؤال: هل أنتما عازمان على الطلاق؟ إذا كنتما كذلك فمحامي الطلاق هو المناسب، أما إن كنتما تريدان العمل على زواجكما فأرحب بتقديم المساعدة لكما.

التخبيب الخفي:

هناك جانب خفي في العلاقة بين المرشد والمسترشد تتسبب في الإفساد بين الزوجين، وتوجد قضايا معقدة انتهكت فيها حدود العلاقات المهنية خلال عملية الإرشاد، ولأجلها وضعت المواثيق الأخلاقية للمسؤولية المهنية، لما يكتنفها من إشكالات أخلاقية وعلى رأسها التخبيب، ولكي ينجو المرشد منها عليه بالآتي:

- ألا يزيل المرشد/ة الحدود بالذات في الإرشاد الهاتفي، والأفضل تقديم هذا النوع من الإرشاد من خلال مركز استشارات أسرية.
- وضع إطار رسمي محدد بتوقيت الاتصال" ليلاً أو نهاراً" ومدته وهذا أضبط لحدود العلاقة مع المسترشد.
- عدم الاعتماد على رسائل الواتساب والرسائل الصوتية المسجلة، لأنها بيئة خصبة لتجاوز الحدود، كما يمكن إطلاع غير المسترشد عليها، فيتهم المرشد بالتخبيب وإفساد الزوجة أو الزوج بحسب جنس المرشد رجلاً أم امرأة.

- أن يعي المرشد أن المسترشد قد يتعلق به شعوريا، حيث يعوض نقص الأمان في علاقته الزوجية بتحويل شعوره للمرشد/ة لتوفره الدائم ولحصوله على دفء الرعاية والتفاهم الذي يفتقده في زواجه، فلابد أن يفطن المرشد لهذا الأمر كالتزام أخلاقي مهني من جهة، ومن جهة أخرى فإن مساعدة المرشد لن تكون بديلاً لأي من الزوجين في حياة الآخر وأن الهدف من عمله الإرشادي هو مساعدتهما بأن ينعما بوجودهما معاً.
- أن يكون المرشد مطلعاً بصورة دورية على مستجدات المشكلات الأسرية في المجتمع، وكذلك مراجعته لسلوكه الأخلاقي داخل الإرشاد خاصة فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية المستجدة للأسر والأزواج.
- الابتعاد عن التقارب من خلال وسائل التواصل الاجتماعي مع المسترشد/ة خارج إطار الاستشارة، مثل إرسال طلبات صداقة عبرFacebook، أو Snapchat لكيلا تتحول لعلاقة وصداقة محتملة، أو مقصودة فيُفتح باب للشيطان على المرشد قبل المسترشد/ة.

سؤال: هل مساعدة المسترشد في التبليغ عن علاقة زوجية مسيئة يعد من التخبيب؟

في الواقع هناك زيجات تواجه مشكلات حقيقية صعبة وخطيرة للغاية، يتعرض فيها المسترشد لسلوكيات مروعة من اعتداءات الزوج تتصل بالمرض العقلي أو إدمان الكحول والمخدرات والاعتداءات الجنسية كزنا المحارم مما يستدعي حماية المسترشد.

هنا يتحول الدور الإرشادي للمرشد من التركيز على العلاقة إلى أولوية تمكين الحماية للمسترشد من الأذى، وفق الأمور التالية:

١. التأكد من صحة المعلومات ببينة وبرهان بما لا يقبل الشك.

٢. ألا يكون التواصل عشوائياً مع المسترشد في ظل ظروفه الخطيرة، حتى لا يتورط المرشد مع الطرف الآخر الذي قد يتهمه بالتخبيب، والأسلم تحويل الحالة منذ البداية لمرشد يعمل مع هذه الحالات وله صلة بالجهات الرسمية أو إلى إدارة مركز الإرشاد، أو الجمعيّة الأسرية التي يمارس من خلالها تقديم الإرشاد الأسري.

٣. ألا يلعب المرشد دور المحقق الأمني أكثر من اللازم، فلابد أن يعرف الإجراءات القانونية المتصلة بالتبليغ عن هذه الحالات لكيلا يتورط مع أصحابها.

٤. ألا يجبر المسترشد على التبليغ مالم يكن مستعداً أو موافقاً، ويكتفي بمدِّه بأرقام الجهات الرسمية المتخصصة لمثل هذه الحالة.

٥. يلزم المرشد قانونًا وأخلاقًا بانتهاك السرية في حالة علمه بإساءة معاملة طفل أو تعرض فتاة لاعتداء جنسي من محارمها، مع التأكد من صحة الإجراءات مهنياً وقانونياً. وضرورة العمل في مثل هذه الحالات من خلال الجهات الرسمية عبر إدارة مركز الإرشاد أو الجمعيّة الأسرية التي يعمل فيها.

٦. يلزم المرشد قانونًا وأخلاقًا بانتهاك السرية إذا كان المسترشد نفسه يخطط لإيذاء أو قتل شخص ما أو يلمح للانتحار بسبب علاقة مسيئة، مع التأكد من صحة الإجراءات مهنياً وقانونياً. وضرورة العمل في مثل هذه الحالات من خلال الجهات الرسمية عبر إدارة مركز الإرشاد أو الجمعيّة الأسرية التي يعمل فيها.

في النهاية..

يلزم المرشد الأسري الاطلاع المستمر على المستجدات الاجتماعية والقانونية المرتبطة بشكل خاص بموضوع التخبيب، وأن يسلح نفسه بالمعرفة الكافية حول الإجراءات القضائية التي تتصل به كمرشد أسري، ومنها حماية نفسه من الدعاوي الباطلة التي قد يتهم بها زورا في التخبيب، وكيفية التعامل الأمثل معها قانونياً، وقضائياً، وإدارياً.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

المراجع

- المبادئ السبعة للزواج الناجح/د. جون إم جوتمان، نان سيلفر- ٢٠١٦م.

- تخبيب الزوجة وآثاره " دراسة فقهية مقارنة / د. فهد صالح اللحيدان مجلة قضاء/ العدد (٢٠)، ١٤٤٢هـ

- ثمانية دروس لزواج أكثر سعادة/ د. ويليام جلاسر، كارلين جلاسر- مكتبة جرير ٢٠١٠م.

- كيف تثبت الزوجة تعنيفها من الزوج؟ لقاء تلفازي- برنامج سيدتي، روتانا خليجية- قناة you tube.

- هل سمعت بالتخبيب في السعودية؟ / لقاء تلفازي- برنامج سيدتي، روتانا خليجية- قناة you tube.

- Marriage counseling: Saving, or sabotaging, a marriage By Alexia Elejalde-Ruiz and Tribune Newspaper Apr ٠٩, ٢٠١٣.

- HOW THERAPISTS HARM MARRIAGES AND WHAT WE CAN DO ABOUT IT, William J. Doherty Journal of Couple and Relationship Therapy, ٢٠٠٢, ١, ١-١٧.

- choice theory: new psychology of personal freedom by-William glasser, M.D.

أ - كيف ينجو المرشد الأسري من الوقوع في التخبيب

أ. نورة آل هملة

الأسرة هي قلب الإنسانية النابض بالحياة وهي القوة الناعمة للوطن، وصمام الأمان للمجتمع؛ فالزواج جعله الله عز وجل اية من آياته قال تعالى: - ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أزواجا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١]

الأسرة هي عمق استراتيجي لأي بلد؛ بقوتها يقوى المجتمع وبضعفها يضعف ثم ينهار، ولذلك هي عمق استراتيجي للوطن وأحد المستهدفات المهمة في التنمية في رؤية المملكة ٢٠٣٠، والأسرة اليوم تقابل كثيراً من التحديات، ويقابل العاملون في المجال الأسري عقبات متعددة، لتنوع مصادر الهدم وتلونها.

ويأتي التخبيب أحد أضخم عوامل الهدم في العصر الحديث لأنه يشبه السيل الهادر يتعرض له الإنسان على مدار الساعة؛ لذا يحتاج إلى جرعة مركزة تعتبر مثل جرعة وقائية وعلاجية تساعد أهل الاختصاص على التعامل الواعي الواضح مع الحالات المتعرضة له، وهذا الفصل من الدليل يعتبر لقاحاً ضد التخبيب ويقدم أفكاراً إجرائية مبسطة وعميقة في نفس الوقت تعطي سعة أفق للعاملين في الإرشاد الأسري مع ذكر حالات إرشادية واقعية المضمون من الاستشارات التي تعاملت معها الكاتبة وقد تم الاستئذان ممن لم تتكرر قصته مع تغيير الأسماء والتفاصيل الشخصية من أجل المحافظة على خصوصية المسترشدين.

مدخل

(حالة نجوان [1] كما روتها بنفسها)

أنا طبيبة، متزوجة منذ عشر سنوات ولدي طفلتان جميلتان، زوجي مهندس. كانت حياتنا تسير بشكل جيد جداً ولله الحمد، كان لزوجي دور كبير في نجاحي الوظيفي بعد الله عز وجل، حيث ضحَّى بفرص وظيفية متميزة -كانت تتطلب أن ينتقل إلى خارج المدينة - من أجل مساعدتي على إكمال دراستي فلقد

(١) الاسم رمزي.

في السنوات الثلاث الأخيرة تعرض زوجي لمجموعة من المشكلات في العمل، ثم بدأ وضعه النفسي يتدهور، أصبح عصبياً جداً يثور لأتفه الأسباب حاولت التفاهم معه لكنه كان يرفض حتى أبسط أنواع الحوار. ثم بدأ يتمادى علي في بعض المواقف لأسباب كثيرة منها مطالبتي ببعض أموالي من وظيفتي تعويضاً عن مساندته لي، وكنت أراه ينفق المال على أهله ويضيق علينا. وأنا أساهم بقدر معين في المنزل لكنه يطلب الأكثر.

عندما شعرت بضغطه عليّ نفسياً ومالياً كوني موظفه قررت التوجه للاستشارات لأنني أعلم أن تدخل الأهل يمكن أن يفاقم المشكلة. كان الجواب من أحد المرشدين الذين تواصلت معه يجب أن تكوني قوية ولا ترضي بالظلم، حتى لو وصل الأمر إلى الطلاق -علماً أنني أبلغتهم أنه قد تم طلاقي مرتين فقالوا: - شرعاً هو المسؤول عن الإنفاق ولا يحق له أن يطالبك مالياً هذا استغلال.

ازددت إصراراً على عدم التنازل فزادت المشكلات وأصبحت خائفة أكثر من الطلاق، لأنها ستكون الثالثة حتى هداني الله عز وجل لمركز استشارات عن طريق إحدى صديقاتي. حضرت الجلسة الأولى مع المرشدة وسألتني عن ماضي زواجنا وعن شخصية زوجي. وبعد عدد من الجلسات وعمل مقياس لنمط الشخصية قالت: زوجك بسبب نمط شخصيته العاطفي يتصرف بطريقه مختلفة هو يشعر أنه ضحَّى بالكثير من أجل محبته لك وفي نفس الوقت يشعر أنك ترفضين المساندة.

من الناحية الشرعية والقانونية لا يحق له أن يأخذ من مالك شيئاً وأنت شرعاً يحق لك الرفض، ولكن هناك أبعاد أكثر عمقاً للموضوع، فهو لا يقصد المال بذاته وهو ليس طماعاً من الماضي الذي ذكرتيه عنه، وليس رجلاً مستغلا، هو يحتاج للمساندة النفسية وبسبب تعرضه للضغوط أصبحت تصرفاته غير متزنة، هو يريد أن يشعر أنه أهم بالنسبة لك من المال، وكل هذه القسوة الظاهرة قشور لمعاناة نفسيّة.

هو يحتاج في هذا الموقف مساندتك ووقفتك إلى جواره ولا تتعاملي معه بطريقه حقي وحقك. أنتم الآن في عنق زجاجة، من المهم أن تخرجوا سالمين من هذا المأزق في مثل هذا الموقف الصحيح أن ينحني الإنسان للعاصفة حتى تمرّ.

وقالت أيضاً: الأسرة أعظم من المال أنتم تحتاجون الآن إلى الهدوء والاستقرار، ساعديه يتخطى أزمته في العمل، فنمطه العاطفي يحتاج أن تكوني مصدر المحبة والعون له، فكري بخطوات عملية تعيد الأمان والهدوء إلى أسرتك.

شعرت بالكثير من الراحة مع المرشدة وأحسست أن هذا ما أحتاجه لأنه كان يلامس مشاعري الداخلية.

دعوت زوجي إلى مطعم يحبه وقلت له أنت أغلى إنسان عندي وفضلك سابق علي، وسيعيننا الله عز وجل ونتغلب على كل المشكلات بحول الله وقوته.

كانت ملامحه تعبر أنه شعر بصدمة من كلامي لأنه لم يكن متوقعاً ذلك مني - فقد كنت عصبية وهجومية في الفترة الماضية - قال: كل من كان حولي كان يقول هذه الإنسانة التي أضعت مستقبلك من أجلها هي أول من سيتخلى عنك، كان رفضك التعاون يعزز هذا الكلام ويجعلني أشعر كأنني أموت في كل يوم ألف موتة.

صحيح أنني طلبت منك مبلغاً مالياً لكن؛ في الحقيقة كنت أختبر محبتك لي لأن من حولي شككني فيها عندما تعرضت لضائقة مالية، وأيضا لأنك زوجتي توقعت أنك أول شخص سيقف إلى جانبي. عموما المبلغ أنا أعتبره دين وبإذن الله أُسدده لك.

وذهبت تلك الأزمة بفضل الله ثم الجلسات الإرشادية وها نحن اليوم نعيش في سعادة.

فعلياً كان الذي يحتاجه الموقف في تلك الفترة هو الإحساس بالمساندة وأنه أهم عندي من الوظيفة والمال حتى المبلغ الذي طلبه أعاده بعد سنة واستقراره النفسي والأسري ومساندتي له جعله بعد فضل الله يتخطى مشاكل العمل.

وهنا قاعدة مهمة وهي إن معرفة المرشد لدوره يعتبر صمام أمان للنجاة من الوقوع في التخبيب

الدور الأول للمرشد الأسري هو أن يكون (مساند التوافق)، ونستلهمه من هذا الحديث العظيم: أنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ امْرَأَتي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، وإنِّي أَنْكَرْتُهُ، فَقالَ له النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: هلْ لكَ مِن إبِلٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: ما أَلْوَانُهَا؟ قالَ: حُمْرٌ، قالَ: فَهلْ فِيهَا مِن أَوْرَقَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: فأنَّى هُوَ؟ قالَ: لَعَلَّهُ يا رَسولَ اللهِ، يَكونُ نَزَعَهُ عِرْقٌ له، فَقالَ له النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: وَهذا لَعَلَّهُ يَكونُ نَزَعَهُ عِرْقٌ له. (متفق عليه)

ستفيد المرشد الأسري من هذا الحديث أموراً عظيمة أهمها أن دوره في التعامل مع المشكلات هو التركيز على التوافق الأسري وتثبيت أركان الأسرة وزيادة تماسكها وتبصير الزوجين بطرق التفاهم والتوافق وإيجاد مخارج منطقية للإشكالات الزوجية كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وليس دور المرشد دور القاضي الحكم بين المتخاصمين.

إن استيعاب هذه القاعدة يجعل تفكير المرشد بنائيًا وألفاظه انتقائية، فلا يقع هو في التخبيب من حيث لا يشعر وليستفد من قاعدة أخف الضررين حتى في بعض الحالات التي يرى كمرشد أن الطلاق حل لها، لا يوجه للطلاق بشكل مباشر وصريح حتى في أسوأ الظروف يقول من حقك طلب العشرة بالمعروف قضائياً، أو يمكنك استشارة مستشار قانوني لمعرفة تبعات الانفصال إذا كان قرارك أنت هو الانفصال فقد تعاني الحالة من مشكلة زوجية وبالطلاق تدخل في دوامة مشكلات أكبر من التي كانت تعاني منها من قبل فالحكمة هي العمود الفقري للإرشاد الأسري.

الدور الثاني للمرشد الأسري، هو دور (المناضل)، ونستلهمه من هذا الحديث العظيم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ علَى الماءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَراياهُ، فأدْناهُمْ منه مَنْزِلَةً أعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: فَعَلْتُ كَذا وكَذا، فيَقولُ: ما صَنَعْتَ شيئًا، قالَ ثُمَّ يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: ما تَرَكْتُهُ حتَّى فَرَّقْتُ بيْنَهُ وبيْنَ امْرَأَتِهِ، قالَ: فيُدْنِيهِ منه ويقولُ: نِعْمَ أنْتَ) (رواه مسلم)

فإذا كان أهم هدف لإبليس هدم الأسرة فان أعظم دور للمرشدين هو عدم تمكين إبليس من هدم الأسرة، وإيجاد كل مخرج يمكن أن يبنى هذه الأسرة لتقليل الفرص للطلاق ليكون في أضيق نطاق، حيث ينبهنا النبي صلى الله عليه وسلم للدور الشيطاني في الطلاق ليحذر الناس ومنهم المرشدون من إلقاء كلمات بحسن نية تدفع في سبيل هدم الأسرة.

كلما تذكر المرشد الأسري أن المحافظة على الأسرة هي مجاهدة ومقاتلة للشيطان سيركز على إيجاد سبل التوافق الممكنة وهي كثيرة بإذن الله، وسينبه المسترشد أيضا لينتبه للدور الشيطاني في قراره، أن هدم الأسرة أحد عوامل فرح الشيطان، وما فرح الشيطان بها إلا لتبعاتها الوخيمة على الزوجين والأبناء والمجتمع.

ب - توجيه المسترشد كيف يحمي نفسه من تخبيب من حوله

حالة ارشادية (ضحى[1]):

تقول ضحى: أنا زوجة في الثلاثين من عمري كثيراً ما كانت تقع خلافات بيني وبين زوجي ومن طبيعتي أنني لا أرتاح حتى أتكلم مع أحد في المشكلة التي أتعرض لها لذلك أتكلم مع أخواتي. أما أمي فلا أتحدث معها بشيء يخص مشاكلي الزوجية حتى لا تتضايق وأحياناً أتكلم مع صديقتي (.....)، أو صديقتي (.....)، ولكن مع طول المدة أصبح لأخواتي وصديقاتي أثر سلبي على حياتي. ولم أكن أدرك خطورة كلماتهن عليّ وأنها كانت تترسب بعيداً في أعماق نفسي حتى غدت تلك الكلمات مسيطرة على تفكيري. فواحده تقول هذا ظلم لماذا

(١) الاسم رمزي.

تصبرين على زوج بهذه الأخلاق؟ والثانية تقول أعانك الله لو كنت في مكانك لطلبت الطلاق منذ زمن. والثالثة تقول كلما صبرت أكثر سيتمادى.

وكل ما حدثت مشكلة جديدة ظهرت قائمة التعليقات من أرشيف ذاكرتي لدرجة أنني لم أعد أحتمل أي تصرف أو تعليق من زوجي. ومع تراكم المشاعر السلبية شعرت بنفور كبير منه وهو ازداد سوء خلق.

عندما رأيت حياتي على حافة الخطر قررت أن ألجأ إلى جلسات الإرشاد الزواجي.

في جلسات الإرشاد الزواجي تعلمت معاني مختلفة للحياة مثل كيف أفهم نفسي، والمعنى الحقيقي للأسرة، وعالم الرجل والأساليب الفاعلة للتعامل معه، ومهارات حل المشكلات، وكان من أعظم ما تعلمت من المهارات مهارة كشف التخبيب الخفي وطرق التعامل معها لأنني كنت أقع ضحية للتخبيب الإعلامي وتخبيب المقربين دون أن أشعر. تعلمت مهارة تجميد التخبيب بحيث أتصور الفكرة بشكل مادي وأضعها في مجمد الدماغ. ثم أستخدم مهارة قلب التخبيب إلى تحبيب بحيث أخرج الفكرة من مجمد الدماغ وأعكسها وأذكر الإيجابيات.

مثال ذلك، عندما اشترينا البيت كان من التعليقات لبعض الأقارب والصديقات ألم يجد زوجك إلا هذا البيت الضيق ليشتريه؟ وغيرها كثير.

مما جعلني أكره البيت وأشعر بالضيق منه، وكنت أثناء حواري مع زوجي أنتقد اختياره وأنه أضاع المال في بيت لا يستحق أن يسكنه أحد. بعد جلسات الإرشاد كنت إذا أتت كلمة صديقتي في رأسي- زوجك لماذا لم يشتر لكم بيت أكبر مثلاً - أقول لنفسي جمدي الفكرة الآن وضعيها في مجمد الدماغ لحين التعامل معها في وقت لاحق، ثم أخصص وقتاً للتعامل معها يكون وقتاً هادئاً، وأكتب قاعدة قلب التخبيب إلى تحبيب التي تعلمتها من المرشدة وهذا تطبيق عملي لها:

زوجك لماذا لم يشتر بيتاً أكبر؟ (تخبيب)

أحذف النقطة وأكتب كيف أحول الموضوع إلى (تحبيب) وأكتب كل ما يدور في ذهني من صور إيجابية مثل

١) الحمد لله الذي يسر لنا شراء بيت فهذه الصديقة التي تنتقد بيتنا تسكن بيتاً مستأجرا.

٢) زوجي استدان وتعرض لضائقة مالية من أجل أن يشتري هذا البيت وهنا أكتب رسالة شكر لزوجي وأرسلها له بالجوال.

٣) البيت الصغير يجمع الأسرة.

٤) البيت الصغير أسهل في التنظيف.

٥) إذا وسع الله علينا في المستقبل نشتري الأرض التي إلى جوارنا ونتوسع إذا كانت باقيه، أو نبني أدواراً إضافية.

عندما تعودت هذه المهارات بدأت نفسيتي تتحسن بفضل الله وبدأت أكتشف كل التخبيب المحيط ولا أقع ضحيته.

اتخذت قراراً بأن مشاكلي لا يناسب أن أشاركها مع الصديقات أو القريبات، تحسن وضعي كثيراً مع زوجي وقلت الخلافات بفضل الله.

طرق التعامل مع التخبيب

١-كشف التخبيب:

يتم شرح معنى التخبيب للمسترشد ثم يقال له إذا سمعت كلمة تخبيب بعد أن فهمت معناها أعمل على الانتباه لها حيثما سمعتها، أو رأيتها ويمكن أن يتم طلب تكليف منه لإحضار صور متنوعة للتخبيب يتعرض لها بعد أن يفهم معناها أو يجدها في وسائل التواصل ويبدأ بنشر فكرة لا للتخبيب

٢- تحييد التخبيب

يساعد المرشد المسترشد على تحييد التخبيب من خلال هذه الفكرة يقول له كلمات التخبيب المتكررة حولك والتي تخشى أن تؤثر عليك قم بالتعامل معها بالحيلة النفسية التالية، جمدها في مجمد مخك تخيلها شيء سائلاً ثم قم بوضعه في المجمد حتى لا تتسرب إلى حياتك.

٣- قلب التخبيب إلى تحبيب

عندما نحذف النقطة نعكس المعنى تماما، كل كلمة تزهدك في شريك حياتك هي أحد أشكال التخبيب، بعد أن تجمد كلمات التخبيب كما في الفقرة السابقة قم بحذف النقطة من خاء التخبيب لتصبح حاء (تحبيب) ثم في هذا الموقف تذكر كل شي يتعلق بشريك حياتك يحببك فيه.

وهذه المهارات الثلاث تم تطبيقها مع الحالة الإرشادية (ضحى) سالفة الذكر.

٤- عدم مد العين:

تدريب النفس على عدم مدّ العين قال تعالى (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) (سورة طه، الآية: ١٣١)، يمكن للمسترشد أن يكتب هذه الآية بشكل مستمر كلما قارن نفسه بأحد -لأن المقارنات صورة تخبيب خفيّة - حتى يربي نفسه بهذه الآية الكريمة، أي: لا تمدّ عينيك معجباً، ولا تكرر النظر مستحسناً إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجملة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجاباً بأبصار المعرضين، ويتمتع بها - بقطع النظر عن الآخرة - القوم الظالمون، ثم تذهب سريعاً، وتمضي جميعاً، وتقتل محبيها وعشاقها، ولعل عدم إشغال الانسان نفسه بمتابعة وسائل التواصل التي تعرض تفاخر الناس بما يملكون أحد أشكال التطبيق الواقعي لهذه الآية لا تنشر خصوصياتك ولا تتابع خصوصيات غيرك إذا نشرها.

٥- تعزيز الصبر على الأسرة:

أن مساعدة المسترشد على إدراك قيمة الصبر الأسري من خلال شرح هذا المعنى له يمكن إعطاؤه تكليفًا بالبحث في الآيات التي تعزز الصبر الأسري، وتعود على تعزيز الصبر لمصلحة الأسرة وثق أن الله عز وجل سيرزقك الخير إن عززت النظر بمنظار هذه الآية الكريمة قال تعالى: **(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كثيراً)** (سورة البقرة، الآية: ١٩)

الأسرة تستحق أن يتحمل كل طرف بعضاً من المشاعر السلبية ويغير زاوية الرؤية لينظر بميزان رباني للأمور كلما وثقت بربك وتعبدت بتنفيذ هديه في حياتك رزقك الله وبارك لك حتى في الأمر الذي لا تحبه، الأسرة شأنها عظيم فقط تحتاج منك أن تنظر لها من كل الزوايا.

ج - خطوات معالجة التخبيب: حالات إرشادية وقواعد منهجية

حالة ارشادية

(سامية [1])

قابلتها في ملتقى للعمل الخيري سلمت عليّ بحرارة وقالت: أستاذة هل تتذكرينني أنا سامية ابتسمت بلطف وقلت: اهلاً أستاذة سامية أتذكرك جيداً، كان وقت الاستراحة وجلسنا معاً نشرب القهوة ونسترجع ما كان في لقائنا القديم.

قالت: أتيتك قبل خمس عشرة سنة بعد أن تزوج زوجي علي، وقد أتيتك لأطلب منك طريقة من أجل أن يطلق زوجته الثانية، كان وضعي النفسي سيئًا جداً، ولكنك ابتسمتِ وقلتِ: في الجلسات القادمة نناقش موضوع الزوجة الثانية. الأهم الآن كيف تتعاملين مع نفسك، وفي كل الجلسات أسالك كيف يمكن أن يطلقها وكنت تقولين: نناقش هذا الأمر لاحقاً بإذن الله.

وفي الجلسة الرابعة كنتُ أكثر هدوءًا وعقلانية والتي اعتقدت أنها ستكون الجلسة التي يتمّ فيها تعليمي كيف يطلقها قلتُ لك: أنا متحمسة لمعرفة الطريق المناسبة لكي أجعله يطلق زوجته الثانية.

قُلتِ ليّ: لو كان هذا الأمر يحل ليّ من الناحية الشرعية، أو لك لناقشتك في طلاقها.

فقلت: ماذا تقصدين؟ فأخرجتِ كتاباً وقلتِ اقرئي وكان في الصفحة حديث نبوي وهو قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (لا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلَاقَ أُخْتِها، لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَها، فإنَّما لها ما قُدِّرَ لَها) رواه البخاري

ثمّ قُلتِ ليّ: هل تريدين أن تخالفي أمر النبي صلى الله عليه وسلم؟

فقلتُ لك: لا ولكن؛ ماذا أفعل بالغيرة؟

وأذكر قُلتِ ليّ كذلك: في زواج الرجل بالثانية، هناك ثلاثة أطراف سنرتبهم حسب أكثرهم تعباً في هذه العلاقة الزوجية:

الأول: الزوج وهو أكثرهم تعباً، انتقل من الحرية إلى القيد.

الثاني: الزوجة الثانية بدأت حياتها بنصف رجل، فاليوم الذي ليس عندها الزوج هو يوم ممل مخيف هي لوحدها لمدة يوم وليلة كاملة.

الثالث:

الزوجة الأولى وهي أنت هنا سنجد أنك تمتعت بزوجك ١٢ سنة ما شاء الله لوحدك والآن ستفقدينه ليلة بعد ليلة ويمكنك استثمارها. حياتك ممتلئة بأمور كثيرة ولديك أهداف كثيرة يمكن أن تفكري فيها ومن ثم تحققينها ولديك أبناؤك.

أتذكر أنني شعرت بالانزعاج جداً من هذه الكلمات وقلتُ لك: أتمنى الانفصال ولا أتحمل زوجة ثانية. فما دام الشرع لا يحل لي أن أطلب طلاقها ويبيح لي طلب الخلع للضرر ومنها شدة الغيرة وعدم تحملي لها أنا سأطلب الانفصال عنه.

أذكر أنكِ قُلتِ ليّ: من حقك طلب الانفصال إن لم تتحملي الغيرة لكن؛ لا تتخذي قرارك الآن وأنت مازلت تعانين من أثر الصدمة النفسية لزواج زوجك، وقبل أن تطلبي الانفصال هناك قاعدة سنناقشها في جلسة مستقلة بإذن الله.

وعندما أتيتك لجلسة طلب الانفصال قُلتِ ليّ: هذه ورقة، اكتبي فيها وصفًا لحياتك الآن من ناحية المعيشة.

وكتبت أني أسكن شقة من ٥ غرف وصالة ولدي خادمة، وعندنا سواق، وزوجي يعطيني مصروفاً شهرياً، وإذا احتجت لأي مناسبة مالاً يعطيني فهو كريم، ويشتري كل احتياجات البيت.

قُلتِ ليّ: وإذا انفصلت كيف سيكون الوضع؟، هل فكرت في كيفية وضع السكن والمصروفات؟، وإذا كنت ستذهبين عند أهلك هل سيتحملون أبناءك؟، وإذا تحملوهم هل أبناؤك سيتحملون البُعد عن الأب أم يعيشون أيتاماً ووالدهم على قيد الحياة؟

من المهم عمل دراسة جدوى لقرار الانفصال، يعنى ما المكتسبات والخسائر ثم تطبقين قاعدة تسمى قاعدة أخف الضررين، وقاعدة مالاً يدرك كله لا يترك جله وشرحت هاتين القاعدتين، ثمّ طلبت مني أن آخذ استشارة قانونية لأتخذ قراري على بصيرة.

ثمّ قُلتِ لي: أمامك خياران الانفصال وتبعاته وهذا خيارك إذا رغبت، أو تتقبلين الواقع وتتعلمين طرقًا للتعايش مع المشكلة ومجرد فكرت بهذه الطريقة اختلفت زاوية الرؤية عندي ١٨٠ درجة وعرفت أنني سأعيش واقعياً بحوالي ٢٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ ريال شهرياً، وذلك على أفضل حال، وتشمل كل احتياجاتي، ومعنى ذلك أنه حتى راتبا الخادمة والسواق اللذان زوجي يدفعهما الآن لا تغطيها، وعرفت أنني سأحرم أبنائي من أبيهم، وأعيش عالة على اهلي، نعم أمي وأبي الآن موجودان، ولكنهما كبار السن من حقهما الراحة.

وهذا كله غير مراجعات المحكمة لأن زوجي قال أنا لن أطلق عندما قلت له طلقني، وذلك يعني أنه لابد أن أرفع قضية وأطلب الخلع، حينها شعرت أن الموضوع سيدخلني في دوامة صعبة.

ثم قلت لك: وماذا أفعل تجاه كلام الناس؟ كلام الناس ليس سهلاً، كيف أتصرف؟ واحدة تقول ما الذي ينقصك ليتزوج عليك؟، والثانية تقول كلها فترة وينساكم، والثالثة تقول قولي له لا أرجع لك حتى تطلقها، والرابعة ترسل لي عبارات كيف أكون قوية وما أسكت.

أتذكر قُلتِ ليّ: كلام الناس هو أصعب الأمور في قضية الزواج بأخرى وأكثرها تأثيراً في نفسك حتى من زواج زوجك، فكري في عبارات لو قلتيها لمن حولك سيتوقفون عن تدخلهم في حياتك.

في الحقيقة تعبت كثيراً حتى أجد عبارات تحل هذه المعضلة لكن بعد جهد وجدت كلمات أستطيع أن أقولها لمن حولي وكان منها: بعد زواجه بالثانية أدرك قيمتي وأصبح يعاملني بطريقة أفضل بكثير. هذا

بشكل خاص وبشكل عام كنت أرد على من يسأل عن زواج زوجي بجواب هذي حياتي ولا أحب أن يتدخل بها أحد.

وفعلياً كانت معركة الناس أصعب معركة ولن أنسى تدريباتك لي على إدارة مشاعري وتخطي عبارات الناس ونظراتهم السلبية وأفكاري أنهم ينظرون لي كزوجة ناقصة.

والجزء الثاني كان التعامل مع زوجي وأتذكر قُلتِ لي: الزوج جزء مهم من حياتك وليس كل حياتك لديك كثير من الأهداف، وهناك الكثير من المهارات يمكنك تعلمها لتكون حياتك سعيدة مع زوجك وأبنائك وإن تزوج عليك. وفعلاً قررت أكمل مع زوجي. والحمد لله الذي جعلك في طريقي وجعلني أختار إكمال حياتي الزوجية، فأبنائي اليوم رجال ولله الحمد، تزوج ولدي الكبير الله يحفظه، وزوجي كتب لي شقة تمليك باسمي ست غرف وصالة، أبنائي كلهم ذكور ورزقهم الله بأخوات من زوجة أبيهم، وأكملت دراستي العليا ولله الحمد. الله يجزاك خير ما أنساك من دعواتي.

ولا زلت أتذكر مثالاً كنت تقربين لي فكرة قرار الانفصال وتبعاته، فكنت تقولين لي: إذا شخص لوى يدك فلا تقطع أنت رجلك، زواج الرجل على زوجته مؤلم لها مثل شخص يلوي يد شخص آخر أما طلبها الانفصال فكأنها تعالج ألم لي اليد بقطع رجلها.

مثال حاضر في ذهني كلما كنت أشعر بالضيق من مشاكل الغيرة يجعلني أسعى في حلول أخرى غير الانفصال. وكلما تطلقت واحدة ممن أعرف ثم شاهدت معاناتها ومعاناة أو ضياع أبنائها أو أمراضهم النفسية أسجد لله شكرا أنني لم أتهور ولم أدمر حياتي وحياة أبنائي بطلب الانفصال. أعتذر أطلت عليك لكن يشهد الله أنني سعيدة جداً أنني قابلتك قالت وأنا أسعد وفخورة- ما شاء الله - بك وبإنجازك، والله يبارك لك في ذريتك ودعتها بحرارة ووعدتها أن أزورها.

حالة إرشادية:

أسمي (سماهر) [1] قصتي غريبة نوعاً ما فقد ترملت في بداية حياتي الزوجية حيث توفى زوجي رحمه الله بعد سنة من زواجنا عمري في تلك الفترة كان خمسًا وعشرين سنة.

بعد انتهاء عدتي بسنة تقدم لخطبتي رجل مطلق بدون أطفال، وللأسف كان سؤال الأهل عنه سطحياً، تزوجت به، بعد فترة من الزواج رأيت وجه الزوج الحقيقي كان سيء العشرة وسيء الخلق ويتعامل بالضرب، لم أستطع تحمل الحياة معه وطلبت فسخ النكاح بعد اعتدائه علي بالضرب وهو في حالة سكر.

أصبحت مطلقة بعد عدة أشهر فقط من زواجي. وقررت بعدها عدم الزواج مرة أخرى رغم تقدم أكثر من خاطب ليّ، بعد ٤ سنوات تقدم لخطبتي صديق أخي الأكبر تقريباً عمره أربعون سنة، وهو رجل معروف للعائلة بحسن أخلاقه ودينه. رفضت في البداية لأنه متزوج لكن الوالد رحمه الله أصر، وقال لي هذا رجل لا يُرد، معروف لدينا بدينه وأخلاقه ولا نزكي على الله أحداً وأنت العمر يتقدم بك فلا تفرط

وافقت بعد الاستخارة واشترطت ألا يطلب مني التعرف على زوجته الأولى لأنني لا أُريد المشاكل. وتم الزواج في جو ودي مختصر. وفعلاً كان زوجًا -ما شاء الله - به كل الصفات التي تتمناها المرأة فهو حسن الأخلاق، وكريم، ومتحدث لبق، وحنون.

وبعد مرور ثلاثة أشهر تقريباً على زواجنا كنت في زيارة لأهلي وإذا بجوالي يرن الرقم لا أعرفه. رددت، كلمتني سيدة عرفتني على نفسها أنها أم لؤي أي زوجة زوجي الأولى.. أصبت بصدمة كانت تتحدث بصوت مشحون وقالت لي لا بد أن تطلبي الطلاق، أنت دخلت إلى حياتنا وأفسدتها، قالت الكثير من الكلام الذي أشعرني أني مجرمة ومن ضمنه أنت خطافة الرجال. حمدت الله أنه لم يكن إلى جواري أحد من أهلي ذلك الوقت شعرت أني في دوامه كيف أتصرف هل أُبلّغ زوجي؟ هل أسكت؟ وبعد أن هدأت تذكرت المستشارة الأسرية التي تعالجت عندها بعد طلاقي من زوجي الثاني حجزت موعدًا وذهبت إليها وسأذكر خلاصة

(١) الاسم رمزي.

الجلسات للفائدة حيث كانت الجلسات تحوي الكثير من التفاصيل وهذه لمحات منها:

قالت المستشارة: هل تعرفين ما الذي يمكن أن تفعله المرأة إذا تزوج زوجها عليها وشعرت بالغيرة؟

قلت: تصبر.

قالت: ممتاز، ولكن ماذا إن لم تستطع الصبر هل يحق لها أن تتصل على زوجة زوجها لتطلب منها الطلاق؟

قلت: الصراحة لا أعرف لكن اتصالها جعلني أشعر بالذنب وبعد ذلك أصبحت خائفة وأحس بقلق كبير.

قالت: هل تذكرين المرتكزات النفسية التي تدربت عليها في جلساتك السابقة؟

قلت: نعم.

قالت: سنطبق التعامل مع مرتكز نفسي يتعلق بهذا الموضوع، وهو حديث للرسول صلى الله عليه وسلم. قال صلى الله عليه وسلم (لا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلَاقَ أُخْتِها، لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَها، فإنَّما لها ما قُدِّرَ لَها). ثم قالت: ما هو قرارك بعد هذا الحديث؟

قلت لها: كأن جبلاً انزاح عن صدري. وفعلاً زوجها هو الذي أتى وخطبني ولست من بحث عنه وإذا بينها وبين زوجها مشاكل هي مسؤولة تحل مشاكلها مع زوجها، ليس لها الحق أن تتصل بيّ.

حضرت ٥ جلسات مع المستشارة كانت أغلبها عن فن إدارة المشاعر وفن التعامل مع المشكلات ثم أكملت حياتي بفضل الله ولم أسمح لها أن تتواصل معي بعد ذلك.

قواعد عامة في التعامل مع التخبيب

من خلال الحالات السابقة ومن خلال النصوص الشرعية نرى أن هناك مجموعة من القواعد والمهارات التي تُعين المستشار كخطوات عملية للتعامل مع مشكلات التخبيب، ومنها:

١- قاعدة إدراك المشاعر وفن إدارتها:

المشاعر هي الجزء الأعمق والأكثر تأثيراً في قضايا العلاقات الإنسانية بشكل عام والأسرية منها بشكل خاص والمشاعر تتأثر بشكل كبير بالأفكار والعمل على إدارة الأفكار يعمل على تغيير المشاعر وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي الذي شك في زوجته لأنها أنجبت طفلاً مختلف اللون فرغم أن نهاية الحديث فيها رفض للفكرة الخاطئة لم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم: أنت مخطئ ثم صحح له وإنما سكت وظل يسأله أسئلة من بيئته حتى جعله يتوصل للجواب بنفسه، وأيضاً لم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم: حرام عليك لماذا تشك بزوجتك وقد تكون بريئة ثم يتركه في حيرة وصراع نفسي وصراع اجتماعي كيف يقابل الناس وإن عرضُوا بلون طفله ماذا سيقول، ولكن بعد حوار النبي صلى الله عليه وسلم معه يستطيع أن يقول للجميع بكل ثقة: نزعه عرق.

من الحكمة في التعامل مع مشاعر المسترشد حتى وإن بدا أنها خاطئة منذ البداية عدم رفضها وعدم موافقته عليها. إذا استطاع المرشد مساعدة المسترشد أن يعبر عن مشاعره بشكل صحيح ثم يعلمه فن تجميد العاطفة ليعلي لديه القدرة على التفكير المنطقي من خلال مهارات التفكير والتي نجدها جميعها في حديث لعله نزعه عرق سيستطيع بإذن الله مساعدة المسترشد على التعامل بشكل أكثر حكمة مع مواقف التخبيب التي يتعرض لها .

٢-قاعدة رد المسترشد للنص الشرعي:

الحمد لله الذي أعطانا منهجاً واضحاً نحلُ به خلافتنا ونلم به شتات أنفسنا وننظم به علاقاتنا يحتاج المرشد أن يكون لديه معرفة بالأحكام الأساسية الشرعية التي تنظم حياة الناس فهو يحتاج أن يرد المسترشد إلى نص شرعي يعدل تفكيره وسلوكه كما رأينا في الحالتين السابقتين ويمكنه في حالة عدم معرفته أن يقول للمسترشد سنناقش الموضوع في جلسة قادمة ثم يسأل ليكون تعامله على بصيرة.

والمرشد هنا ليس مفتياً ولا قاضياً ولا واعظاً وإنما هو مرشد أسري والناس يحتاجون من يرشدهم للصواب في مشاكلهم الأسرية بطريقة النبي صلى الله عليه وسلم لأن الإنسان قد يطلب ما ليس له بحق جهلاً بالحكم مثل قصة المرأة (سامية) سالفة الذكر، أو قد يطلب منه الناس ما ليس لهم بحق مثل قصة المرأة (سلافة).

٣- قاعدة تعزيز الإنصاف:

تكمن أعظم مشكلة في التخبيب أنه يخرِّب العلاقة من خلال تزهيد الشخص في شريك حياته، وقاعدة تعزيز الإنصاف قاعدة تبني الحياد النفسي فمهما كانت مشاعرك تجاه الآخر من المهم أن تحِّرك مشاعر العدل والإنصاف عند المسترشد/ة وتجعلها سيدة الموقف في أي تعامل معه ومع الغير وذلك نستمده من قول الله تعالى(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**) (سورة المائدة، الآية:٨)

عندما يريد شخص إفساد حياته بالطلاق نتيجة التخبيب من أي طرف خارجي، نساعده على وزن نفسه بميزان العدالة ليكون منصفاً، نركز على كتابة كل صفات شريك الحياة الإيجابية، ويكون لدى المستشار قائمة جاهزة فيها الكثير من الصفات والأدوار ليساعد المسترشد في كتابة الإيجابيات كما مرّ في قصة المرأة (سامية) سالفة الذكر، لان أغلب المسترشدين عندما يكتب إيجابيات شريك الحياة استجابة لطلب المرشد يتذكر أشياء قليلة، ويحتاج معها إلى تذكيره ببعض الإيجابيات بشكل عام، ليكتبها إن كانت موجودة بالفعل.

٤-قاعدة إدراك العواقب:

التخبيب يجمل وضع الفراق بحيث يعمي بصيرة المسترشد فلا يدور في تفكيره إلا كلمات المخببين طوال الوقت وقد يندفع في إفساد حياته لمصالح أقل، وقد لا يكون هناك مصالح وإنما يتوقع أنه سيتخلص

من سلبيات الزواج ومنغصاته بالفراق ليكتشف أنه أصبح في مشاكل أكبر. وهذه القاعدة تتطلب كتابة كل تبعات الاختيار ليكون المسترشد/ة على بصيره عند أي قرار يتخذه وقد يكتب المسترشد/ة تبعات قليلة وهنا يكون المرشد جاهزًا بالتذكير بالتبعات الأخرى كما في قصة المرأة (سامية) سالفة الذكر.

٥-قاعدة تدريب النفس على اكتشاف نزغ الشيطان والتصدي له:

قال تعالى (**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**) (سورة الاسراء، الآية: ٥٣)، وقوله (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزغُ بَيْنَهُمْ) يقول: إن الشيطان يسيء محاورة بعضهم بعضاً لنزغ بينهم، يقول: يفسد بينهم، يهيج بينهم الشر (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) يقول: إن الشيطان كان لآدم وذرّيته عدوّا، قد أبان لهم عداوته بما أظهر لآدم من الحسد، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة.

الخاتمة

تبقى الأسرة نعمة عظيمة من الله عز وجل على البشرية، فهي مصدر لسعادة الإنسان تزرع فيه القيم والفضائل، وتمده بخبرات الحياة المتنوعة، وهي مصدر للاحتواء ومرتع للنماء تحتاج أن يزرع حبها في النفوس، فهي الآسرة للقلب، معناها مستمد من الأسر لهذا المعنى حبس القلب على محبتها ولأن التخبيب اليوم يُعدُّ الأفعى السامة التي تنفث سمها في كيان الأسرة، والسرطان المدمر الذي يحتاج المرشد الأسري أن يتعامل معه بوعي وحكمه وحزم كانت هذه الصفحات التي سطرت فيها عصارة خبرة الكاتبة في التعامل مع قضايا التخبيب صيغت بشكل قصصي وقدمت بشكل سلس واقعي بسيط ليسهل تذكرتها وتم ربطها بشواهد من القران الكريم والسنة الشريفة ليكون هناك مرجع موثوق للفكرة. وأدعو الله عز وجل أن ييسر الانتفاع بها والله الهادي إلى سواء السبيل.

المراجع

- التخِبيب وأثره في الفقه الإسلامي والقانون السعودي
- تفسير الطبري
- موقع الدرر السنيةhttps://www.dorar.net/hadith
١١٧٥٥/١٠٨١١٩/https://journals.ju.edu.jo/DirasatLaw/article/view

خاتمة

مراجع مقترحة عن التخبيب (مكتوبة - مقروءة - مشاهدة)

الأستاذة/ مها العومي

خاتمة

مراجع مقترحة عن التخبيب (مكتوبة - مقروءة - مشاهدة)

الأستاذة/ مها العومي

أولا:(أبحاث ودراسات علمية)

التخبيب وأثره في الفقه الإسلامي والقانون السعودي. جامعة المجمعة-٢٠٢٠م.	بندر عبد العزيز اليحيى
أحاديث التخبيب "رواية ودراية". جامعة أم القرى/مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية عدد (٨٦) محرم ١٤٤٣هـ- سبتمبر ٢٠٢١م	د. بدر حمود الرويلي
التخبيب وصوره المعاصرة في النكاح: دراسة فقهية تأصيليه. الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا -كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية -قسم الفقه وأصول الفقه/ ديسمبر ٢٠٢٠م	علي محمد السلامي
الانحرافات في إنشاء عقد الزواج وفُرَقِه في ميزان الفقه الإسلامي جامعة الأزهر/مجلة الدراسات الإسلامية بأسوان المجلد:٤ عدد (٤) ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م.	د. أحمد قياتي شلقامي
تخبيب الزوجة وآثاره: دراسة فقهية مقارنة تطبيقية قضائية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ مجلة قضاء – عدد (٢٠) الجمعية العلمية القضائية السعودية -٢٠٢٠م.	فهد صالح اللحيدان
تخبيب الزوجة: دراسة تأصيلية مقارنة بالقانون. جامعة الكويت/مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية مجلد:٣٤، عدد (١١٩)،١٤٤١هـ-٢٠١٩م.	د. عبد الرحمن المطيري
التخبيب وأثره في النكاح. وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية/ دورية: - دراسات إسلامية- عدد (١١٥)،١٤٢٩هـ.	د. سعد محمد المقرن
تخبيب المرأة على زوجها بُغيَة الزواج منها-دراسة فقهية. مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، عدد (٤) -٢٠١٦م.	د. محمد مرعي الحارثي
المسؤولية الجنائية في التخبيب: دراسة تأصيلية تطبيقية. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العدالة الجنائية، ٢٠١٣م.	يوسف التويجري

ثانيا: مواد مرئية "you tube"

التخبيب وسحر التفريق بين الزوجين. https://youtu.be/Tgvk٨d٨٦Gq٨	د. جاسم المطوع
لماذا لا يدخل الجنة مخبب؟ https://youtu.be/BmOQWvBsx٣w	د. جاسم المطوع
ما أنواع التخبيب والتفرقة بين الزوجين؟ https://youtu.be/١lQW١upcv٦٠	د. جاسم المطوع
التخبيب https://youtu.be/Ql٣OUisfGYg	الشيخ سعد العتيق
نصيحة لمن يخبب الأزواج https://youtu.be/g٣KnRzN٦Qrc	د. عثمان الخميس
حكم التخبيب الزوجة على زوجها في مواقع التواصل الاجتماعي https://youtu.be/BbQnJcgccKs	أ.د. عبد الله السلمي
التخبيب كبيرة من كبائر الذنوب https://youtu.be/٩JoHfS٥KxXI	د. سعد الخثلان
تخبيب الزوجات "برنامج زوايا الزير" https://youtu.be/٨aXG٦HhBDvY	د. عبد المحسن البكر
التخبيب أداة ماكرة لإفساد الحياة بين الزوجين https://youtu.be/DqdZUnCUy٤٨	ثامر الصالح
التخبيب بين الزوجين من الظلم https://youtu.be/fAawfu٢znN٤	د. عزيز العنزي
https://youtu.be/Raxb٣m٣Brlo ما المقصود بدعوى التخبيب؟	دقيقة حقوقية
https://youtu.be/Dmnyd٢xb-Dk دعوى التخبيب -قانون	نايف بن حمد
https://youtu.be/tDnpWJBhhYw التخبيب بين الزوجين خراب البيوت	الشيخ عمر العمر
https://youtu.be/bbJZeh١gHEI التخبيب وأثره على الأسرة	د. سليمان العجلان
https://youtu.be/UAS١LVUJpIc التخبيب وما وراءه	المحامي فايز العنزي
https://youtu.be/jVuBkgP-JmM التخبيب: الداء والدواء	د. خالد الحليبي
https://youtu.be/٨٣M٤IEYfPGw التخبيب دمر الأزواج	رائد النعيم
https://youtu.be/aAp٩PdVcrus كيف نحمي أسرنا من التخبيب	هاني المعاليق
https://youtu.be/COMvSthOMns إفساد العلاقات الأسرية (التخبيب) كيف نتعامل معه	هاني المعاليق
https://youtu.be/GZPYrWATxnU معنى التخبيب بين الزوجة وزوجها	الشيخ صالح الفوزان
https://youtu.be/Vui٦gS١YgMc هل للزوجة رفع قضية على من يحرض زوجها على الزواج	سيدتي، روتانا
https://youtu.be/vex٩Czqmkfk هل سمعت بقانون التخبيب في السعودية؟	سيدتي، روتانا
https://youtu.be/JkZdYwZNGaI الأخطاء الشائعة في قضايا الأحوال الشخصية	بودكاست ميثاق

السير الذاتية المختصرة للكُتاب*

- الدكتور/ تركي بن حسن القحطاني.
- الدكتور/ خالد بن حمد الرشيد.
- الدكتور/ خالد بن سعود الحليبي.
- الأستاذة/ خديجة بنت علوي بافقيه.
- الدكتورة/ سناء بنت محسن العتيبي
- الدكتور/ عبد العزيز بن عبد الله المقبل
- الأستاذة/ مها بنت عبدالله العومي
- الأستاذة/ نورة بنت مسفر آل همله
- الأستاذ/ يحيى بن عبد الله الحربي

* تمّ الترتيب أبجدياً.

الدكتور/ تركي بن حسن القحطاني

- موجه أسري أول بدائرة القضاء أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة.
- دكتوراة في الفقه وأصوله من جامعة الشارقة،٢٠١٩م.
- ماجستير في الفقه وأصوله من جامعة الشارقة، ٢٠١٤م.
- ليسانس آداب دراسات إسلامية - كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي، ٢٠٠٨م.
- مدرب معتمد في الموارد البشرية لحكومة أبو ظبي.
- مدرب معتمد للمقبلين على الزواج ورخصة الحياة الزوجية في أبو ظبي.
- ممارس للتعلم السريع، والإشراف الوظيفي.
- شارك في عدة من المؤتمرات، والندوات الاجتماعية والأسرية.
- شارك في عدد من البرامج التلفزيونية فيما يخص العلاقات الزوجية وشؤون الأسرة.
- شارك في مجموعة من الورش العملية للمقبلين على الزواج، ومبادرة دعم استقرار الأسرة.
- للباحث مجموعة من البحوث العلمية المنشورة في الفقه المقارن منها.

الدكتور/ خالد بن حمد الرشيد

- دكتوراه التربية-مناهج وطرق تدريس/جامعة الملك سعود.
- ماجستير التربية-مناهج وطرق تدريس/جامعة الملك سعود.
- عضو لجنة شؤون الأسرة بمنطقة القصيم.
- عضو مجلس إدارة معهد تمكين للتدريب بمنطقة القصيم.
- معد ومشرف على عدد من المبادرات في مجال التنمية الأسرية في جمعيات التنمية.
- مدرب ومستشار في الشؤون الأسرية والتربوية وتطوير الذات.
- معد ومقدم لعدد من البرامج التدريبية الأسرية والتربوية في جمعيات التنمية الأسرية.
- حضر وشارك في عدد من المؤتمرات والندوات والدورات التدريبية داخل وخارج السعودية.
- عضو مؤسس لعدد من الجمعيات الاهلية وعضو مجلس إدارة سابق لعدد منها.
- معد ومشارك في بناء عدد من الوثائق والخطط والمبادرات التربوية.

الدكتور/ خالد بن سعود الحليبي

- دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعضو في هيئتها التدريسية بالأحساء.
- المدير التنفيذي لمركز بيت الخبرة للبحوث والدراسات الاجتماعية الاهلي (خبرة).
- مدير عام جمعية التنمية الأسرية بالأحساء، والأمين العام لمجلس إدارتها منذ عام 1426هـ.
- رئيس لجنة إصلاح ذات البين في الأحساء التابعة لإمارة المنطقة الشرقية منذ نشأتها 1430ه
- الأمين العام، ورئيس اللجنة التنفيذية، في المجلس الفرعي للتنمية الأسرية في المملكة.
- الأمين العام ورئيس اللجنة التنفيذية في المجلس التنسيقي لمراكز البحوث والدراسات الاجتماعية.
- عضو الجمعية العلمية السعودية للدراسات الاجتماعية بجامعة الملك سعود.
- عضو الجمعية العلمية السعودية لعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بجامعة الإمام.
- رئيس مجلس إدارة مركز بوح للاستشارات التربوية (مركز يعنى بالشباب والفتيات).
- المشرف العام على المجلس التنسيقي لمراكز التنمية الأسرية بالمنطقة الشرقية.
- قدم استشاراته في مجال الإرشاد الأسري في عدد من الجهات الحكومية.
- قدم عددا من البرامج الإذاعية والفضائية، ونشر نتاجه، في معظم الصحف السعودية.
- طبع له أكثر من عشرين كتابا في الأدب والثقافة، والتوعية الشرعية، والتربوية، والأسرية.
- مدرب معتمد رسمياً في المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني.

الأستاذة/ خديجة بنت علوي بافقيه

- بكالوريوس في الآداب في علم الاجتماع، جامعة الملك عبد العزيز جدة 1400هـ
- ماجستير في الآداب و العلوم الإنسانية من جامعة نورث ايسترن، بوسطن ، الولايات المتحدة الأمريكية
- باحثة دكتوراه في الإرشاد والعلاج العائلي يناير 2018م
- عضو هيئة تدريس – الجامعة العربية على مدى خمسة أعوام متتالية.
- ممارس إرشاد نفسي وتربوي مرخص من معهد وليام جلاسر.
- مدربة المقبلات على الزواج معتمد من وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية.
- رئيسة الخدمة الاجتماعية الطبية بمستشفى الملك خالد للحرس الوطني بجدة.
- تشغيل عيادة العلاج الزوجي والأسري بمستشفى الملك خالد للحرس الوطني بجدة.
- مرشدة تربوية وأسرية للطالبات – المعهد السعودي الألماني بجده لمدة سنة دراسية كاملة.
- استشارية علاقات أسرية وزوجية متعاونة مع جمعية الشقائق الاجتماعية بجدة.
- مدرب تطوير اجتماعي وتربوي معتمد متعاون مع مركز سمو الفكر للاستشارات التربوية.
- مستشار ومدرب معتمد لبرامج تدريب وتأهيل المقبلات على الزواج في عدد من الجمعيّات الاهليّة.
- تأليف عدد من الحقائب التدريبية ذات المحتوى الاجتماعي والإرشادي
- تقديم العديد من الدورات التدريبية ذات المحتوى الاجتماعي والنفسي والمهاري.

الدكتورة/ سناء بنت محسن العتيبي

- دكتوراه في علم اجتماع القانون، كلية الآداب، جامعة الملك سعود عام 1439 هـ.
- أستاذ مساعد في جامعة الملك سعود، قسم الدراسات الاجتماعية منذ عام 1439 هـ.
- عضو مجلس الإدارة والأمين العام للجمعية السعودية لدراسات الاجتماعية منذ 1441هـ.
- عضو مجلس إدارة مركز الأبحاث الاجتماعية الواعدة ودراسات المرأة منذ 1443هـ.
- مستشار غير متفرغ في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن منذ عام 1441هـ.
- عضو لجنة المرأة في مجلس شؤون الأسرة منذ عام 1441هـ.
- عضو المجلس التوجيهي للمرصد الوطني لمشاركة المرأة في التنمية 1440هـ.
- مساعدة وكيلة كلية الآداب للدراسات العليا والبحث العلمي لمدة ثلاثة أعوام
- أخصائية بالمركز الخيري للإرشاد الاجتماعي والاستشارات الأسرية لأربع سنوات.
- عضو الهيئة الاستشارية النسائية للجنة الوطنية لرعاية السجناء والمفرج عنهم وأسرهم " تراحم".
- المشاركة في إعداد دراسات ومشاريع وطنية مع وزارة الداخـــلية ومجلس شؤون الأسرة والمركز الوطني للدراسات والأبحاث الاجتماعية والمركز الوطني للمرأة.
- المشاركة في تقديم أوراق عمل في المؤتمرات والندوات ذات العلاقة بالتخصص.

الدكتور/ عبد العزيز بن عبد الله المقبل

- عضو هيئة تدريس سابق في جامعة القصيم.
- اهتمام بالجوانب التربوية والأسرية من أكثر من ثلاثة عقود.
- عضو مؤسس وعضو مجلس إدارة سابق في جمعية التنمية الأسرية (أسرة) في بريدة.
- قدم آلاف الاستشارات الهاتفية والمكتوبة بالمشاركة مع عدد من الجهات الرسمية والاهلية.
- لديه العديد من الاعتمادات التدريبية
- شارك وألقى عدداً من الدورات، وورش العمل، واللقاءات التربوية، والأسرية، والزوجية.
- كبير مستشاري مركز إسعاد في جمعية أسرة في بريدة.
- أعد وقدم وشارك في برامج تلفزيونية ومرئية.
- يشرف على مركز أسري خاص باسمه.
- ألف عدداً من الكتب والنشرات التي تهتم بالجوانب الأسرية.

الأستاذة/ مها بنت عبدالله العومي

- بكالوريوس أصول دين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالأحساء عام 1415هـ.
- دبلوم عالي في الإرشاد الأسري باعتماد أكاديمي من جامعة الملك فيصل.
- حاصلة على البرنامج التأسيسي للعلاج العائلي والزواجي التابع للدراسات العليا في الطب النفسي في مستشفى الحرس الوطني عام 1427هـ.
- حاصلة على المستوى (الثاني والثالث) من برنامج "تنمية مهارات المستشار الاجتماعي".
- حاصلة على مستوى الـ(basic) في نظرية العلاج بالواقع من معهد وليام جلاسر.
- مدربة معتمدة للتدريب على (الحوار الأسري) من مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- مدربة لبرامج إعداد المقبلات على الزواج والمتزوجات لأكثر من 17سنة.
- دربت في كثير من الملتقيات الأسريَّة داخل الرياض وخارجها.
- مارست الإرشاد الأسري الهاتفي والإلكتروني في موقع المستشار وموقع لها أون لاين.
- مارست الإرشاد الأسري الإلكتروني على مواقع التواصل الاجتماعي.

الأستاذة /نورة بنت مسفر آل هملة

- دبلوم الإرشاد الاسري جامعة الملك عبد العزيز 1441هـ.
- دبلوم إعداد قيادات من مركز دراسات القيادة بالرياض للعام 2017م.
- دبلوم الإرشاد الأسري بتقدير امتياز من مؤسسة الفرحة للإعلام الأسري 1429هـ.
- الدبلوم التربوي من جامعة الملك عبد العزيز بتقدير ممتاز 1420هـ.
- استشارية تربوية واسرية متخصصة في أنماط الشخصية.
- مؤسسة ومديرة (مركز قيادة الإرشاد) للإرشاد الأسري.
- عضو لجنة الإصلاح الاسري بجمعية مراكز الاحياء في منطقة مكة المكرمة.
- المشاركة مع مجلس الشورى في مناقشة الاستراتيجية الوطنية للشباب للعام 1434
- تصميم عدد من الدورات في تنمية المهارات الشخصية للقيادات الشابة.
- مديرة مشروع تأهيل القيادات النسائية (معتمد من المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني)
- مؤسسة ومديرة أول نادي للأمهات الأم الرائدة مع جمعية مراكز الاحياء بجدة.
- مديرة مشروع تأهيل القيادات النسائية للجمعيات الخيرية بمدينة جدة في جمعية الشقائق
- مؤسسة ومديرة مركز التطوير بجمعية الشقائق بجدة.
- مديرة الاستشارات والتدريب بجمعية الشقائق بجدة.

الأستاذ/ يحيى بن عبد الله الحربي

- بكالوريوس في الشريعة الإسلامية. كلية الإمام مالك للشريعة والقانون.
- بكالوريوس في الشريعة والقانون. كلية الإمام مالك للشريعة.
- طالب درجة الماجستير تخصص (القانون الخاص). كلية الإمام مالك للشريعة والقانون.
- دبلوم الإرشاد الأسري من جامعة الإمارات العربية المتحدة.
- دبلوم التوجيه الأسري من معهد دبي القضائي.
- دبلوم التحكيم الأسري من معهد دبي القضائي.
- الكثير من الدورات التخصصية في مجال الإرشاد الأسري من جهات ومعاهد مختلفة.
- موجه أسري في دائرة القضاء بأبوظبي
- مدرب ومحاضر معتمد في دائرة القضاء بأبوظبي
- مدرب ومحاضر معتمد في برنامج إعداد المقبلين على الزواج التابع لوزارة تنمية المجتمع.
- مؤسس خدمة مودة ورحمة للاستشارات.
- مدرب معتمد في التنمية الأسريَّة بأبوظبي
- يقدم العديد من الدورات والمحاضرات في مجال الأسرة والتطوير الشخصي.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
في البدء كلمة:	١
مدخل: عاصفة التخبيب تضرب خيمة الأسرة	٣
الفصل الأول: تعريف التخبيب وماهيته	١١
الفصل الثاني: التخبيب في الأنظمة والتشريعات في المملكة العربية السعودية	٢٥
الفصل الثالث: الصور القديمة والمعاصرة للتخبيب.	٣٧
الفصل الرابع: دوافع التخبيب وأسبابه	٥٧
الفصل الخامس: الآثار المتوقعة من التخبيب على الزوجين	٩٩
الفصل السادس: كيف يتعامل المرشد الأسري مع مشكلات التخبيب الأسرية	١١٩
خاتمة: مراجع مقترحة عن التخبيب (مكتوبة – مقروءة – مشاهدة)	١٧٣
السير الذاتية للمشاركين:	١٧٥
الفهرس:	١٨٦